
رسالة على خطى الحبيب
صلى الله عليه وسلم



حين انتهت حلقات " على خطى الحبيب " شعرنا برغبة داخلية في إعادة دراستها بكل تأن و روية، و أن علينا استخراج ما أمكن منها من العبر و العظات لتكون رفيقا لنا في درب الحياة ... و يبقى التطبيق الفعلي مفتوحا دون أجل محدد. و من ثم هدانا الله لجمع الحلقات على شكل كتاب يستفيد منه الجميع ...

كانت رحلة مميزة .. نقلنا من خلالها الأستاذ عمرو خالد من حكايات السيرة إلى مجال واقعي لامسناه بكل دقة و يسر .. و عايشنا من خلاله واقع رسولنا الكريم لحظة بلحظة و حدثا بحدث ...

لم يكن جديدا أن نتطرق لموضوع السيرة النبوية فذلك ما تزخر به مجلدات و كتب ضخمة، لكن المميز أن أستاذنا عمرو خالد قد جعل من سيرة نبينا صلى الله عليه و سلم حدثا يتحرك و يقترب ليلامس عقولنا و قلوبنا ... استطاع أن يجعل حبيبنا صلى الله عليه و سلم وسط بيوتنا... أحسسناه و عرفنا تفاصيل حياته ... طريقة تفكيره ... نظرته للأمور ... حكمته في الحرب و السلم ... طريقة معاملته لزوجاته و صحابته بل و حتى مع أعدائه أيضا ... عايشنا لحظات حنانه و قوته و لحظات غضبه و همته...

أوصلنا كل ذلك إلى نتيجة مهمة تتلخص في جملة واحدة تجمع كل المعاني و الدلالات : **"نحبك يا رسول الله"**.
كان هذا ما أحسسناه و نحن نلخص سيرتك يا رسول الله...

و تنهال علينا مجموعة من الأسئلة يفترض لكل من تابع حلقات على " خطى الحبيب " أن يطرحها على نفسه :

- هل أنت راض عنا يا رسول الله ؟
- هل ستشفع لنا يوم لا ينفع مال و لا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ؟
- هل سنحمل المشعل و نعيش للنهضة كما عشت أنت و صحابتك لها ؟
- هل سنحظى بشربة هنيئة من يديك الكريمتين لا نظمأ بعدها أبدا ؟

اشتقنا إليك يا حبيب الله ... اشتقنا للقائك و لمقامك الكريم ... فلك منا أفضل الصلاة و السلام، أوفيت و استوفيت و نحن على ذلك من الشاهدين.

و لا بد من شكر خاص لمن زرع روحا جديدة بدواخلنا، و لمن أنبت فينا فكرة النهضة، فجزاك الله أستاذنا عمرو خالد على كل ما بذلته لإنجاح هذا العمل الجليل، و جزى الله خيرا أختنا "بنت عمرو خالد" على منتدى الأستاذ عمرو خالد على مجهودها طوال شهر رمضان الذي أعاننا في عملنا هذا كثيرا.

أما أنتم يا قراء هذا العمل المتواضع فنسألكم الدعاء لنا بالقبول و الإخلاص و الثبات على هدي محمد صلى الله عليه و سلم، و اعذرونا إن أخطأنا أو هفونا، فما أصبنا فمن الله، و ما أخطأنا فمن أنفسنا الأمارة بالسوء.

و أخيرا نسألكم الدعاء لنا فإننا " لا نريد منكم جزاء و لا شكورا" لأننا فقط " إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا"...

صناع الحياة في المغرب



الرباط في 15 شوال 1426

18 نونبـــر 2005



الفهرس

أغنى تجربة نهضة في التاريخ

لماذا ندرس سيرة النبي ﷺ ؟؟

هناك ثلاثة أسباب لدراسة سيرة رسولنا الكريم ﷺ :

السيرة النبوية هي أنجح تجربة عرفتها البشرية

فقد غير الحبيب ﷺ نظام العالم إلى أكثر من ألف سنة.

الرسول ﷺ أفضل قدوة لك في حياتك..

فهو الوحيد في التاريخ الذي تقتدي به في كل شيء :

- إذا كنت غنيا ثريا فاقتد بالرسول ﷺ عندما كان تاجرا يسير بسلعة بين الحجاز و الشام ، و حين ملك خزائن البحرين...
- و إن كنت فقيرا معدما فلتكن لك أسوة به و هو محصور في شعب أبي طالب، و حين قدم إلي المدينة مهاجرا إليها من وطنه و هو لا يحمل من حطام الدنيا شيئا...
- و إن كنت ملكا فاقتد بسنته و أعماله حين ملك أمر العرب، و غلب على آفاقهم و دان لطاعته عظماؤهم، و ذوو أحلامهم...
- و إن كنت رعية ضعيفة فلك في رسول الله أسوة حسنة، أيام كان محكوما بمكة في نظام المشركين..
- و إن كنت فاتحا غالبا فلك من حياته نصيب أيام ظفره بعدوه في بدر حنين و مكة...
- و إن كنت منهزما لا قدر الله ذلك، فاعتبر به في يوم أحد و هو بين أصحابه القتلى و رفقائه المثخنين بالجراح...
- و إن كنت معلما فانظر إليه و هو يعلم أصحابه في المسجد...
- وإن كنت تلميذا متعلما فتصور مقعده بين يدي الروح الأمين جاثيا مسترشدا ...
- و إن كنت واعظا ناصحا و مرشدا أمينا فاستمع إليه و هو يعظ الناس على أعواد المسجد النبوي...
- و إن كنت يتيما فوالداه آمنة و زوجها عبد الله توفيا و ابنهما صغير رضيع ...
- و إن كنت صغير السن فانظر إلى ذلك الوليد العظيم حين أرضعته مرضعته الحنون حليمة السعدية ...
- و إن كنت شابا فاقرأ سير راعي مكة ...
- و إن كنت تاجرا مسافرا بالبضائع فلاحظ شؤون سيد القافلة التي قصدت بصرى...
- و إن كنت قاضيا أو حكما فانظر إلي الحكم الذي قصد الكعبة قبل بزوغ الشمس ليضع الحجر الأسود في محله و قد كاد رؤساء مكة يقتتلون، ثم ارجع البصر إليه مرة أخرى و هو في فناء مسجد المدينة يقضي بين الناس بالعدل يستوي عنده منهم الفقير المعدم و الغني المثري...
- و إن كنت زوجا فاقرأ السيرة الطاهرة و الحياة النزيهة لزوج خديجة و عائشة. و إن كنت أبا لأولاد فتعلم ما كان عليه والد فاطمة الزهراء و جد الحسن و الحسين ...

و أيا من كنت، و في أي شأن كان، فإنك مهما أصبحت أو أمسيت و على أي حال بت أو أضحيت فلك في حياة محمد ﷺ هداية حسنة وقدوة صالحة تضئ لك بضوئها ظلام العيش ، فتصلح ما اضطرب من أمورك.

أعظم شخصية في الكون..

و هو بعد كل ذلك عظيم في كل شيء...عظيم في كل المجالات و الميادين :

عظيم في أخلاقه

"ما غضب رسول الله قط"
"ما أخلف رسول الله عهدا قط "
"ما انتقم رسول الله لنفسه قط "
"ما ضرب رسول الله امرأة قط "
"ما كذب رسول الله قط"
قبل البعثة كان الصادق الأمين، و بعد البعثة تصفه أمنا عائشة فتقول : "كان خلقه القرآن"



عظيم في رؤيته السياسية

يوم قال بعد غزوة الخندق : " اليوم نغزوهم و لا يغزوننا "

عظيم في روحانيته

كان ﷺ يصلي حتى تتورم قدماه و يقول : "أفلا أكون عبدا شكورا ؟"

عظيم في عفوه عن أعدائه

" اذهبوا فأنتم الطلقاء "

عظيم في بث الأمل في نفوس الناس

" و الله ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل و النهار، حتى تخرج المرأة من الحيرة وحدها إلي البيت لا تخشى إلا الله "

عظيم في شجاعته

يوم قال: "أنا النبي لا كذب أنا بن عبد المطلب" يوم حنين

عظيم في قدرته على تجميع الناس من حوله

يعرف قدرات الناس، و يضع كل واحد منهم في مكانه الصحيح ...

عظيم مع الشباب

يجمع شباب الصحابة و ينظم لهم مسابقة في رمي السهام، و يقول ارموا بني اسماعيل فان آباءكم كان رمايا و أنا مع فلان و فلان ضد فلان وفلان...فظل فريق النبي يرمي و الفريق الآخر لا يرمي فقال لهم: ما لكم لا ترمون؟ فقالوا: كيف نرمى و أنت معهم ؟؟ فقال: ارموا و أنا معكم جميعا.

عظيم في عين زوجته

شهادة خديجة زوجته "كلا و الله لا يخزيك الله أبدا" لأن أعرف الناس بالرجال و بأخطائهم هو زوجاتهم ..



مولد النبي صلى الله عليه و سلم

عظمة النبي ﷺ

قال تعالى" **وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ** "الحجرات : 7

لنطرح هذا السؤال : كيف فينا رسول الله ﷺ؟ هل هو معنا ؟ نعم هو فينا بسنته و أخلاقه.

من عظمة الحبيب ﷺ أنه يحتك بالناس، احتك بجيش المسلمين، احتك بالمسلمين يوم حجة الوداع حيث كان مع 100 ألف شخص، احتك بالشباب، احتك بعامة الناس كبيرا أو صغيرا. بينما المشاهير لا يحتكون بالناس لكي لا تضيع هيبتهم أمامهم وتتضح عيوبهم .

وتلاحظ عظمة الحبيب ﷺ أيضا في الحوار الذي دار بين هرقل ملك الروم و ألذ أعداء النبي ﷺ:
هرقل:فكيف نسبه فيكم؟!
أبو سفيان : هو فينا ذو نسب..
هرقل: هل يكذب ؟
أبو سفيان: لا
هرقل:هل يغدر؟
أبو سفيان: لا
هرقل:فهل أصحابه يزيدون أم ينقصون؟
أبو سفيان:بل هم يزيدون
هرقل: فهل يرتد منهم أحد؟
أبو سفيان: لا
هرقل:و بماذا يأمرهم؟
أبو سفيان:الصلاة والصدق والعفاف وصلة الرحم
هرقل:إن كان هذا الرجل كما تقول فسيملك مقعدي هذا

فهل عرفت لماذا قال الحبيب ﷺ أن سيد ابن آدم و لا فخر

شكل العالم قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم

كان يسيطر على العالم قوتان و هي الفرس و الروم ، و قد ساد الظلم و الجهل و الفسق و ضياع الحقوق في زمن الروم . أما الفرس فقد كانوا ينقسمون إلى ثلاث فئات:

أ- الأكاسرة و الملوك
ب- الكهنة
ج- طبقة العامة

و أما المرأة فلم تكن ذات قيمة ، لا عند الفرس و لا عند الروم. و كانت فترة 6 ميلادي فترة الظلم والجهل والاستبداد لم يشهد العالم فترة مثلها و هي ذات الفترة التي ولد فيها الحبيب المصطفى صلى الله علية وسلم..

لهذا قال الله تعالى **" وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** "الأنبياء: 107

فقد أرسل الله من صحراء مكة هذا النبي الكريم ﷺ و كان مولد الهادي عند سقوط الفرس و الروم ..عندما غاب عندها الحق و العدل.

ليس هدفنا هو القضاء على الغرب بل غايتنا هي قيام الحضارات

أما العرب فقد ساد بينهم القتال إما بين القبائل أو بين بعضهم البعض و كذا الاعتداء عليها، أو قطع الطرق و النصب و السرقة. أما دينهم فأغلبهم كان على عبادة الأصنام و الصخور المربعة.

سأل أحد الأشخاص عمر رضي الله عنه قائلا : ألم يكن فيكم عقل ؟ قال عمر رضى الله عنه : بلى كان لدينا عقول ولم يكن فينا هادية..

أما المرأة فقد كانت تقسم في الميراث، و كانت تقتل عند بلوغها 6 سنوات. قال تعالى" **وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ** " النحل:58

فانظروا إلى تـكريم المرأة في الإسلام..

قال رسول الله ﷺ : **" من كان له ثلاث بنات فأدبهن وعلمهن ورحمهن كان له الجنة"**

فقال أحدهم:ولو كان معه اثنتان؟فقال:ولو اثنتان فقال أحدهم:ولو كان معه واحدة؟ فابتسم النبي ﷺ)
سنن أبو داود.

أما مكة فقد مركزا للتجارة العالمية و للزعامة الدينية ، و كان الإعلام حاضرا في مكة فسادها الأمان "أو لم نمكن لهم حرماً آمناً". كما كان لها برلمان و اتفاقيات بين القبائل. و كان فيها 360 صنم يمثل كل قبيلة.

فكيف سينشر الحبيب ﷺ الدعوة و هنالك نقاط سلبية ؟ و كيف حول الرسول ﷺ هذه النقاط السلبية إلى أخرى إيجابية.

1- يأتي الناس في مواسم الحج لعبادة الأصنام : سيستفيد الرسول ﷺ من اكتظاظهم في موسم الحج فيدعوهم إلى السلام لينشر الدعوة..

2- لغة قريش هي السائدة : مما سيسهل عملية نشر الدين والتواصل بين الناس.
3- العربي حر ..لأنه لم يستعمر : الحر يستطيع العمل في سبيل الله وهو صاحب رسالة.

نعلم أبنائنا الحرية و الاعتزاز بالنفس...

كان النبي ﷺ جالسا مع كبار الصحابة و في جانبه غلام يبلغ من العمر 10 سنوات، فقال النبي ﷺ للغلام: أتأذن لي أن أبدأ بالكبار ، لأننا نعرف أن الأحق بالشرب أولاً الذي هو على اليمين وكان الغلام على يمين رسول الله ﷺ. فقال الغلام: لا أؤثر بنصيبي منك أحد. فقال النبي ﷺ: هذه حقه.

وفي قصة أخرى ، كان عبد الله بن الزبير رضي الله عنه يلعب مع الأطفال ، وعندما أقبل عمر هرب الأطفال إلا عبد الله، فسأله عمر:لم لم تهرب كبقية أقرانك؟ فقال:ليس الطريق ضيقا لأوسع لك ولم أفعل شيئا لأجري..

مولده و اسمه ﷺ

الاسم:محمد
من أطلق علية هذا الاسم؟ جده.

لماذا؟ قال : "أحببت أن يحمد في أهل الأرض من أهل الأرض، و أحببت أن يحمد في أهل السماء من أهل السماء ".

ما معنى محمد ؟: هو الذي يحمد ويحمد و يحمد.
و لماذا بشر باسم أحمد؟ : أحمد: هو الذي يحمد الله.

عائلته ﷺ:

من أجداد النبي ﷺ قصي و هو موحد قريش
ومن أجداده أيضا هاشم الذي وقع اتفاقية مع الروم والفرس

أما جده المباشر فهو عبد المطلب الذي حفر بئر زمزم

أما نسبه فهو ينتهي إلى سيدنا إسماعيل عليه السلام و هو نبي
وكانت عائلة الحبيب ﷺ عائلة ذات نسب متوسطة الحال

أما بنو أمية فكانت عائلة غنية و ليست عائلة محبوبة بين الناس عاشوا لأنفسهم.

ويذكر أن نسب النبي ﷺ ساعده في نشر الدعوة.

نأتي إلى ترابط النبي ﷺ في الأمة:
هاشم توفي في غزة
كنانة من اليمن
هاجر أصلها من مصر
ولد ﷺ في مكة
عاش ﷺ في المدينة
أم أيمن من السودان
حليمة في البادية

آخر إشارة هي حادثة الفيل التي وقعت قبل مولد الحبيب ﷺ بخمسين يوماً ..و كانت الحكمة : استدلال هذا الجيل بعظمة الله و قوته عز وجل و لتكون هذه آخر المعجزات.

أما ولادته ﷺ فكانت ولادة عادية طبيعية لتكون قدوة للناس.

الدروس المستفادة

1 - لا لليأس
2 - التمسك بالحق
3 - تكريم المرأة
4 - الرحمة " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ "الأنبياء: 107
5 - الاستفادة من نقاط الضعف وتحويلها إلى نقاط قوة
6 - الاعتزاز والثقة بالذات

ألم يجدك يتيما فآوى

ولد الحبيب ﷺ في 12 ربيع الأول ساعة شروق الشمس، و كان مولد الحبيب إشراقة للأرض ....

طفولة النبي ﷺ

كان من عادة العرب أن يتخذوا المرضعات من أهل البوادي لأولادهم ليكونوا أصح أجساماً و أصفى ذكاءً و أكثر إتقانا للغة العربية، و كانت قبيلة بني سعد تتولى ذلك و تأخذ الأولاد مدة سنتين من أجل الرضاعة. لكن المرضعات كانت تفضل أخذ أولاد الأغنياء و يتجنبون أخذ الحبيب ﷺ، لأنه ما دام يتيما فإنهم لن يحصلوا على هدايا مقارنة مع غيره، إلا مرضعة واحدة اسمها حليمة السعدية ما وجدت أحدا غيره فأخذته ﷺ.
تقول حليمة : " تفقدت مكة فما من امرأة منا عرض عليها محمد إلا و رفضته، فلم أجد أحداً ، فخفت أن أعود دون طفل فأخذته "، فقال لي زوجي:" و الله ما أراك يا حليمة إلا أخذت رزقاً مباركاً ".
في ذلك الوقت، كانت أرض قبيلة بني سعد عبارة عن صحراء جرداء ، ولكن غنم حليمة كان يتكاثر، فكانت المرضعات الأخريات ترعى غنمها خلفه ومع ذلك كانت أغنام حليمة تتكاثر دون غيرها .
تقول حليمة: " كان محمد يشبّ بسرعة، فكان الذي يشبّ في شهر يشبّه هو في يوم، و كان من يشبّ في سنة يشبّه هو في شهر" .

و عاش الحبيب ﷺ مع حليمة سنتين بعد أن ولد في بيت أمه، و كان وفياً و مخلصا لها. فبعد فتح مكة دخل الناس ليسلموا عليه ﷺ، فإذا به ينظر إلى عجوز كبيرة في السن (و كانت نظراتها تختلف عن بقية نظرات الحاضرين)، فسأل ﷺ الصحابة : من هذه ؟! فقالوا: يا رسول الله مالك و مالها إنها مرضعتك. فإذا بالنبي يتهلل وجهه و يقول: " أمي أمي " و يفرش عباءته في الأرض و يقول: " دعوني أتكلم مع أمي " .

إنه خلق الوفاء لدى رسول الله ﷺ

و بعد غزوة حنين غنم المسلمون غنائم كثيرة، فقال أحدهم للنبي ﷺ: هنالك من المنهزمين أخ لك من الرضاعة. فقال النبي ﷺ إن كان ممكنا إعادة الغنائم لأن فيهم أخا لي من الرضاعة؟ فقالوا : يا رسول الله هل تعرفه؟ فقال ﷺ: لم أره قط. فتعجبوا و قالوا: و لماذا تفعل هذا يا رسول الله؟ فقال ﷺ : "وفاء لأمي حليمة و لأنه أخي".

شباب النبي ﷺ

توفي عبد الله أبو النبي ﷺ و النبي لا يزال في بطن أمه. و كان الحبيب ﷺ رغم فقدانه للأب إلا أنه كان للناس في منزله الأب فقد كان ﷺ يقول لهم: **" إنما أنا لكم في منزلة الوالد "** رواه مسلم
ثم أصبح الرسول ﷺ يتيم الأم أيضا ...

فبعد أن عاش مع حليمة أربع سنوات كاملة رجع إلى أمه، فقررت أخذه إلى المدينة لزيارة قبر والده و ليتعرف على أخواله

**انظروا إلى إخلاص الزوجة لزوجها و حرصها
على صلة الأرحام رغم بعد المسافة**

وقف النبي ﷺ أمام قبر والده، ثم ذهب إلى بيت أخواله، و في طريق العودة إلى مكة مرضت أم الرسول ﷺ مرضا شديدا و توفيت في الطريق، و تم دفنها في منطقة تدعى الأبواء بين مكة و المدينة.

يا له من مشهد مؤلم تعرض إليه الحبيب ﷺ..

لماذا يا رب كل هذا العذاب لرسولك ﷺ؟
إنه ليس عذابا و لا ظلما، كيف يكون كذلك و الله يحب حبيبه و يقول له في سورة الشرح : **" وَ رَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ "** الشرح : 4، بل الله تعالى يريد من الرسول ﷺ أن يدرك حقيقة الموت و الحياة. تذكروا دائما أنه

"ربما منعك الله ليعطيك و ربما أعطاك الله ليمنعك".

نماذج من إدراك الرسول ﷺ لحقيقة الدنيا:

- قال رسول الله ﷺ: **" ما لي و للدنيا، ما مثلي و ما مثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح و تركها "** رواه أحمد

- كان الحبيب ﷺ يملك أغناما كثيرة، و في أحد الأيام قال له أحدهم: أهذه لك؟ فقال الحبيب ﷺ: "إن كنت تريدها فخذها"، فأخذها الرجل، فكان يلتفت إلى الخلف خشية أن يرجع الحبيب عن كلامه حتى رجع إلى قومه و هو يقول: إن محمداً يعطي عطاءً لا يخشى الفقر أبداً.

و بعدما شهد الحبيب ﷺ موت أمه و عمره ست سنوات، عادت به أم أيمن إلى بيت جده عبد المطلب و كان هذا هو البيت الثالث له بعد بيت أمه و بيت حليمة السعدية.

عاش ﷺ مع جده عبد المطلب عامين و كان يحرص على مصاحبته في مجالسه مع كبار القوم. فكان ﷺ متميزا عن باقي الأطفال، و عاقلا بالمقارنة معهم، حتى قال عبد المطلب: " إن ابني هذا سوف يكون له شأن عظيم ".

و حين بلغ النبي ﷺ الثامنة من عمره فقد جده عبد المطلب، فتكفل به عمه أبو طالب بعدما أوصى عليه هذا الأخير.

و رغم كل المحن التي مر بها المصطفى ﷺ، إلا أنه **تميز في حياته بالرحمة**:

- يوم غزوة أحد تلقى رسول الله ﷺ ضربة عنيفة، فرفع يده إلى السماء، فظن الصحابة أنه سيدعو على الذين ضربوه إلا أن محمد ﷺ قال: **" اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون "**

- قال أنس بن مالك: " ما رأيت أرحم من الرسول في ملاعبة و مجالسة الأطفال" : كان هنالك ولد اسمه عمير، و كان لدية طائر جميل.. و كان الحبيب ﷺ ينادي هذا الطائر الصغير بالنُقير، فيقول لعُمير: "يا عُمير ماذا فعل النُقير؟" و في إحدى الأيام مات النقير، فوجد النبي ﷺ عميرا يبكي فقال له: "لماذا تبكي يا عمير ؟" قال عمير: "مات النقير". فأراد الحبيب ملاعبة عمير، فسأله بعض الصحابة: ماذا تعمل يا رسول الله؟ فقال: "مات طائر عمير فقمت ألاعبه".

ما أعظمك يا رسول الله

فرغم مسؤولياتك الجسام إلا أنك لم تبخل بوقتك لمحاورة طفل يتألم بسبب فقدان طائره

- و لنتأمل قوله ﷺ **" أنا و كافل اليتيم كهاتين "** رواه أبو داود**.**

ثم انتقل الرسول ﷺ للعيش في بيت عمه أبي طالب بعد موت جده، و تربى ﷺ بين أولاده العشرة.

إن الله تعالى يأخذ و يعطي، أخذ منه أباه فعوضه بأمه، و أخذ أمه فعوضه بجده، و أخذ منه جده فعوضه بعمه.

و بعد مدة قضاها الحبيب ﷺ ببيت عمه أبي طالب، توفيت زوجة هذا الأخير فاطمة بنت أسد، فكفنها ﷺ بعباءته، و حزن على فقدانها لأنها ربته.

ثم عرض الرسول ﷺ على عمه أن يعمل معه و هو في سن الثامنة فبدأ يرعى الغنم، و بعد الخامسة عشر اشتغل معه في التجارة.



ما الذى تعلمه الحبيب في مدرسة الحياة ؟

1- رعي الغنم يعلم الإنسان الصبر و الحلم و التجميع و الحفاظ عليها من الذئاب و مثله كمثل الأم.

2- الجدية و الصلابة و الاعتماد على النفس و المرونة في التعامل مع الظروف عند انتقاله من بيت أمه إلى بيت حليمة إلى بيت أمه مرة أخرى إلى بيت جده، ثم إلى بيت عمه.

3- فن الحرب عندما شارك ﷺ في حرب الفجار، و فن السلام من خلال اتفاقية حلف الفضول مع قريش.

4- معرفة صفات الناس عن طريق التجارة.
5- معرفة حقيقة الحياة.

الدروس المستفادة

1- الوفاء
2- العمل
3- استعد للمشاركة في نهضة بلدك
4- معرفة حقيقة الحياة

الإعداد الرباني للنبي صلى الله عليه وسلم

بطاقة الحبيب ﷺ

- الوضع الاجتماعي: وحيد، يتيم الأم و الأب و الجد.
- الإقامة : يتنقل بين أربعة بيوت (من بيت أمه إلى بيت حليمة ثم إلى بيت أمه مرة أخرى ثم إلى بيت جده ثم إلى بيت عمه).
- العمل : من 8 سنوات إلى 15 سنة راعي الغنم (7 سنوات)، و من 15 سنة إلى 35 سنة اشتغل في التجارة (20 سنة).
- الوضع المالي : فقير(قريب من الفقراء و ليس بعيدا عن الأغنياء).
- الانتماء الاجتماعي: من أعرق العائلات العربية.
- الوضع التعليمي : لا يقرأ و لا يكتب.
- الخبرات : اكتسبها من مدرسة الحياة و بالاحتكاك مع الناس.

شباب النبي ﷺ

لما بلغ الحبيب ﷺ سن الخامسة عشرة سنة، أخبره عمه عن امرأة تعمل بالتجارة (السيدة خديجة رضي الله عنها) و سأله إن كان يود العمل معها، على أن يذهب بتجارتها إلى اليمن و الشام،

فلم يرفض ﷺ لكونها امرأة، بل قبل العرض خاصة
و أنه ما يزال فقيرا و في حاجة إلى عمل يعيش منه

اختيار خديجة رضي الله عنها

وافقت السيدة خديجة أن يعمل الحبيب ﷺ معها، و لكنها أرادت اختبار أمانته و مدى خبرته في التجارة فأرسلته ثلاث مرات إلى اليمن و معه ميسرة الذي كان يخبرها في كل مرة بأنه رجل أمين ذو كفاءة عالية في التجارة، كما أخبرها أنه لا يسجد للأصنام.

فأعجبت السيدة خديجة بالحبيب ﷺ و أعطته أكبر تجارة إلى الشام، و بحكم كفاءته و حسن تدبيره، باع البضاعة كاملة قبل الوصول إلى الشام و أخذ قيمتها. و كان الحبيب ﷺ سهلا في التجارة، سمحا في التعامل مع الناس من تجار و غيرهم.

زواج الحبيب ﷺ

أعجبت السيدة خديجة رضي الله عنها بأخلاق و عظمة الحبيب ﷺ و بدأت تخبر عنه نفيسة أعز صديقاتها، التي أظهرت استعدادها أن تكلمه ﷺ و تعرض عليه فكرة الزواج من السيدة خديجة بالشكل الذي لا يسبب إحراجا لها، فذهبت إليه ﷺ و قالت له: لماذا لم تتزوج يا محمد؟ فقال الحبيب ﷺ: و من يتزوجني و أنا فقير؟ قالت السيدة نفيسة: خديجة، فسألها الحبيب ﷺ: أو ترضى؟! فأجابت السيدة نفيسة: سوف أكلمها. و بعد يومين جاءت لتخبره بأن السيدة خديجة قبلت الزواج.

و تزوج الحبيب ﷺ في الخامسة و العشرين من عمره من السيدة خديجة رضي الله عنها و كان عمرها آنذاك أربعون سنة و قد سبق لها الزواج مرتين.
و لم يخلق فرق السن بينهما أي مشكل على الإطلاق لأن الفرق بين الرجل والمرأة ليس فرق عمر و إنما فرق مستوى النضج.



و أنجبت السيدة خديجة للحبيب ﷺ أربع بنات و ولدين: زينب، رقية، أم كلثوم، فاطمة، قاسم و عبد الله. و فقد الحبيب ﷺ ابنه قاسم و عبد الله و سنهما لم يتجاوز على التوالي: ثلاث و أربع سنوات.

الإعداد النهائي للنبي ﷺ

بعد أن نجح الحبيب ﷺ في حياته كإنسان، كتاجر و كزوج، عاش حدثا أبرز قدرته ﷺ على حسن الإدارة و حل المشاكل بشكل سلمي. فقد قررت قريش أن تعيد بناء الكعبة من جديد بسبب السيل، على أن تبني كل قبيلة ركنا، وبنيت الكعبة و جاء دور الحجر الأسود حيث حدث الشجار حول من يدخل الحجر و يجد التكريم، فجاء الوليد بن المغيرة يحكم بينهم فقال: أو ما ترضون بالقرعة؟ قالوا: بلى. قال أول من يدخل من هذا الباب هو من يضع الحجر مهما كان من قبيلة، فدخل الحبيب ﷺ فقالوا: ارتضينا الأمين. ففكر النبي ﷺ بسرعة و قال: أحضروا عباءة و ضعوها بعيداً عن الكعبة، و أدخلوا الحجر الأسود داخلها و كل قبيلة تحمل طرفا من العباءة و عندما وصلوا إلى الكعبة أدخل الحبيب ﷺ الحجر.

و عندما حج الحبيب لم يشأ أن يلمس الحجر الأسود خوفاً أن يتضارب الناس لتطبيق سنته، و هذا من رحمته ﷺ.

قال أنس رضي الله عنه: "دخل يوم الاثنين فأضاءت الدنيا و مات يوم الاثنين فأظلمت الدنيا. قالوا: و ماذا تريد يا أنس؟ قال: ألقاه يوم القيامة و أقول له خادمك أنس يا رسول الله".

الدروس المستفادة

1- فكرة التدرج فكرة إسلامية
2- فن اختيار الزوجة
3- عدم الانعزال على المجتمع

في غار حراء

بداية الوحي "الرسالة"

لماذا لم ينزل الوحي على الحبيب ﷺ في الثلاثين من عمره ؟

لأن الله تعالى كان يعد نبيه ﷺ إعدادا ربانيا لأنه لم يرسل للمؤمنين فقط بل أرسل رحمة للعالمين، لذلك استمر الإعداد أربعين سنة و استمرت الرسالة بعد بداية الوحي ثلاثا و عشرين سنة.

اكتمل إعداد النبي ﷺ في سن الثامنة و الثلاثين، و لم يبق إلا التمهيد لنزول الوحي.

التمهيد لنزول الوحي

عاش الحبيب ﷺ مجموعة من الأمور كتمهيد لنزول الوحي، نذكر منها:

- سلام الحجر والشجر.

- رؤية الرؤيا مثل فلق الصبح: قال الحبيب ﷺ: **" كان أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح"** رواه البخاري. فقد كان الحبيب ﷺ يرى الرؤى الصالحة ستة أشهر قبل نزول الوحي.

- تحبيب الخلوة إليه: فقد اعتاد الحبيب ﷺ الانزواء في غار حراء بنية التأمل و التفكر في مخلوقات الله. و قد سئلت السيدة خديجة رضي الله عنها عما كان يعمل ﷺ في الغار، فقالت: "يتحنث الليالي ذوات العدد" أي يجلس الأيام العشر الأواخر من رمضان. و كانت السيدة خديجة تجلس معه ثلاثة أيام في الغار تتفكر معه وهي في سن الخامسة و الخمسين. و كان الحبيب ﷺ يسأل نفسه : ما هي رسالتي في الحياة ؟؟

هل سألنا أنفسنا ما هي رسالتنا في الحياة؟

اتصال الأرض بالسماء

لماذا حضن جبريل عليه السلام الحبيب ﷺ ؟

حضن جبريل عليه السلام الحبيب ﷺ لثلاثة معاني:
- الاحتضان رمز للرحمة و السلام و الحب.
- التأكيد على أن محمدا مستيقظ و ليس بنائم.

- التأكيد على أخذ أول الكتاب بقوة و حجم الرسالة و العمل الذي ينتظره ﷺ، إذ أن زمن عصا موسى قد انتهى و حان زمن العلم و العمل و الاجتهاد.

اقرأ

أول ما نزل على الحبيب ﷺ هو كلمة **" اقْرَأ"** إشارة إلى أهمية طلب العلم و تأكيد على و جوبه.

و تتجلى معجزة الحبيب ﷺ في أن الأمي الذي لا يقرأ و لا يكتب هو من سيهدي العالمين لخير الدنيا و الآخرة، وهو الذي ألفت البشرية آلاف الكتب حول سيرته العظيمة.

الدروس المستفادة

1 - لا للانغلاق
2- العلم هو الأساس
3- حب الله و حب الحبيب ﷺ



نزول الوحي على سيدنا محمد ﷺ

ماذا عن الأسبوع الأول من بعثة الحبيب ﷺ ؟

لما نزل جبريل على الحبيب ﷺ و هو معتكف في غار حراء ضمه جبريل إليه بكل قوة ثم تركه و وخاطبه قائلا :

"إقرأ " فقال الحبيب ﷺ : "ما أنا بقارئ "، فضمه إليه أخرى و قال له: " إقرأ " فقال الحبيب ﷺ: " ما أنا بقارئ " فضمه ثالثة و قال له: "إقرأ باسم ربك الذي خلق ".

و كان ذلك أول عهد الحبيب بجبريل و لم يكن يعرف من هو و لم يخبره جبريل بذلك بل لم يفهم الحبيب ﷺ أي شيء مما وقع له ، فنزل من الغار قاصدا بيته، و هو يقول :"زملوني، زملوني" . ثم قال لخديجة:لقد خفت على نفسي. و قص عليها ما كان فقالت له : "كلا و الله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، و تحمل الكل، و تكسب المعدوم، و تقري الضيف، و تعين على نوائب الحق"، فاطمأن الحبيب ﷺ.

تأملوا عظمة هذه المرأة و عقلها الراجح و كيف ثبتت الحبيب ﷺ.

لقد ذكرت له خمس صفات أخلاقية و ليست دينية تحلى بها ﷺ منذ ولادته

يقول الحبيب ﷺ :" **ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق ، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة** " رواه الترمذي، و قال أيضا :" **ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة ؟ فسكت القوم فأعادها مرتين أو ثلاثا قال القوم : نعم يا رسول الله قال أحسنكم خلقا** " رواه أحمد.

و بعد تثبيت خديجة للحبيب ﷺ ذهبت به إلى ابن عمها ورقه بن نوفل، و كان يقرأ الإنجيل و التوراة، و هو المسيحي الوحيد الموجود في مكة آنذاك و كان يبلغ عمره 90 سنة، فقد بصره بسبب القراءة الكثيرة و كبر السن.

و أخبر الحبيب ﷺ ورقة بما وقع في غار حراء و قصته مع جبريل، فأجابه بأربع جمل:

1- إنك لنبي آخر الزمان، إنك لنبي آخر الأمة
2- لقد أتاك الناموس الذي جاء موسى
3- إن قومك سوف يكذبوك و يقتلونك و يؤذونك و يخرجوك
4- ليتني أكون شابا إذ يخرجك قومك، و إن يدركني يومك أنصرك نصراً مبزراً. فقال ﷺ : " أو مخرجي هم؟ " قال: "نعم لم يأت رجل قط بما أتيت به إلا و أوذي ".

و خرج الحبيب ﷺ ، فقال ورقة لخديجة رضي الله عنها : " ثبتيه ". و بعد أيام يموت ورقة و في ذلك حكمة من الله تبارك و تعالى.

جلس الحبيب ﷺ ينتظر نزول جبريل و مرت أربع أيام و لم يأت جبريل، و كأن الله سبحانه وتعالى يعطي للحبيب ﷺ وقتا للتفكير، فينتظر رسول الله ﷺ أمر كبير و مسؤولية عظيمة و لا بد له من بعض الوقت لاستيعابها ، و بعد أسبوع ينزل جبريل ليقول للحبيب ﷺ : " يا محمد أنت رسول الله، و أنا جبريل من السماء ".

و تعلم الحبيب ﷺ في تلك الليلة أول درس من جبريل و هي الصلاة فقال له : " يا محمد افعل مثلما أفعل".

ثم كان مع الحبيب أربع سور و هي:

- العلق : إقرأ -------> العلم
- المزمل : الصلاة -------> الطاعة و الروحانية
- المدثر : أنذر -------> تحرك و عمل
- الفاتحة : المنهج -------> مختصر العمل



و اختار الحبيب ﷺ الأقرب إليه لدعوتهم للإسلام و هم زوجته خديجة بنت خويلد، و علي ابن عمه ذو العشر سنوات، و صاحبه أبو بكر، و كان اختياره لهم مرتكزا على تميزهم فخديجة امرأة عاقلة و رزينة، و علي غلام يفكر و ذو ذكاء، و أبو بكر صاحبه و هو أعرف الناس بالقبائل و أنسابها.

و عندما عرض النبي ﷺ الإسلام على علي أجابه قائلا : "دعني أفكر ". ثم جاء في اليوم الثاني و سأله ﷺ : يا علي؟ فقال علي : " أعد علي ما قلت بالأمس "، فأعاد عليه الرسول ﷺ، فقال : " أشهد ألا إله إلا الله و أشهد أنك رسول الله ".

الدروس المستفادة

هذا درس للنساء :

1- تثبيت الزوج و رفع روحه المعنوية

2- طاعة الزوج وتفادي تأنيب

3- مشاركته اهتماماته



و أنذر عشيرتك الأقربين

عش للحق و للإصلاح .. عش على خطى الحبيب

بعث الله نبيه ﷺ لإصلاح الأرض كلها، و لكن ماذا كان يملك ﷺ في بداية الأمر ؟
إنه الإيمان القوي بالرسالة، و الأخلاق العالية، و أربعة سور من القرآن آنذاك، إضافة إلى الإعداد الرباني. كما أنه ﷺ اختار أشخاصا مميزين لينشروا معه الدعوة كل منهم يتصف بالرجولة الحقة.

مضى زمن النوم و جاء زمن حمل الأمة على أكتافنا

في أول أسبوع من إسلام أبي بكر، أسلم على يده ستة من العشرة المبشرين بالجنة: عثمان بن عفان "34 سنة"، طلحة بن عبيد الله "15 سنة"، الزبير بن العوام، عبد الرحمان بن عوف "32 سنة"، سعد بن أبي وقاص "22 سنة"، أبو عبيدة بن الجراح "24 سنة".

هذا ما قام به أبو بكر في أول أسبوع من إسلامه!!
و نحن مسلمون منذ سنوات، فما الذي فعلناه؟؟
ما الفرق بيننا و بينهم يا ترى؟
الفرق في الغيرة على الدين ..الفرق هو أنهم حملوا الدين على أكتافهم

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : "لو وزن إيمان أبي بكر رضي الله عنه بإيمان أهل الأرض لرجح بهم"

من مع الحبيب المصطفى ﷺ ؟ و كيف كان اختياره للأشخاص؟

كان معه ثلاث فئات: كبار السن كخديجة و سمية رضي الله عنهما، وصغار السن كعلي و طلحة، و متوسطو السن الذين كانوا يمثلون الأغلبية كسعد و عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما. و كان منهم 34 غنيا و 13 فقيرا. و كانوا من 16 قبيلة مختلفة. لم كل هذا الاختيار؟

للاندماج داخل المجتمع و معرفته...
حتى يتسنى له نشر فكرته و دعوته

دعوته ﷺ لأهله : " وَ أَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ"

- **الدعوة الأولى:** أقام رسول الله ﷺ وليمة، و استدعى إليها جمعا من 45 فردا من بني عبد المطلب، و بني هاشم رجالا و نساء. و بعد الانتهاء من الطعام، و قبل أن يتكلم ﷺ، قام أبو لهب معلنا عن معارضته لدعوته، فسكت الحبيب ﷺ.
- **الدعوة الثانية:** أقام النبي ﷺ وليمة كسابقتها الأولى، و لكن في هذه المرة تكلم ﷺ ، و استطاع أن يجد الحماية من لدن القبيلة. و لكن لم يؤمن به أحد إلا علي كرم الله وجهه الذي قال له: أنا أبايعك.

الدعوة في مكة

و في أحد الأيام وقف رسول الله ﷺ فوق جبل الصفا (أكثر مكان مشهور بمكة) معلنا دعوته للإسلام، فقاطعه عمه أبو لهب مرة أخرى قائلا: "تبا لك، أ لهذا دعوتنا" فتنزلت فيه سورة المسد.

و كان أبو لهب يحب النبي ﷺ ، و كان يدرك تمام الإدراك أن ما يدعو إله ﷺ هو عين الحق و الصواب و لكنه اختار مصلحته على الحق.

و أدركت قريش أن النبي ﷺ سوف يؤثر دعوته على مصالحها الشخصية و يجلب لها المعاداة بين القبائل، فحاربته بالتشكيك (أنه ساحر و مجنون) ، و الاستهزاء (أنه يحكي أساطير الأولين) و الإيذاء النفسي و البدني إلى جانب محاولات القتل المتعددة (تسع محاولات قتل في حياة النبي ﷺ) .

الدروس المستفادة

1- عش للحق للإصلاح...عش على خطى الحبيب
2- انشر الحق و لا تختر مصالحك
3- مضى زمن النوم و جاء زمن حمل الأمة على أكتافنا
4- الدخول بين المجتمع و معرفته ثم الدعوة إلى الله

تضحية النبي ﷺ و الصحابة

الإيذاء

بعدما لم ينفع قريش الاستهزاء و السخرية من الحبيب ﷺ، استخدمت الإيذاء المعنوي، فنشرت بين القبائل بأن محمدا مجنون و ساحر، فكانت كل قبيلة تحذر أبناءها قبل الذهاب للحج قائلة : " احذروا غلام قريش، لا يفتنكم بجنونه ". لكن النبي ﷺ لم ييأس بل كان هادئا صابرا.

و كانت أم جميل زوجة أبي لهب ترمي بالأوساخ و الأشواك أمام بيت رسول الله ﷺ. فما كان ﷺ يصرخ أو يشتكي أبدا، بل يكتفي بقوله ﷺ :" أي جوار هذا!" فنزلت الآيات على النبي ﷺ فيها: **"وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ، فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ"** المسد:4-5.

فذهبت تبحث عنه ﷺ و بيدها حجارة، فقيل لها بأنه عند الكعبة مع صديقه أبي بكر، فلما أدركت أبا بكر قالت له: أين صديقك؟ فتعجب لسؤالها لأن الحبيب كان جالسا بجواره!
فقالت أم جميل: هو قال شعرا في، و أنا أيضاً أقول فيه شعرا:
مذمما عصينا
و أمـــــرة أبينا
و دينـــــه قلينا

فأصبحت قريش تناديه بمذمم. فاستاء الصحابة من ذلك، فقال لهم الحبيب ﷺ: " دعوهم إنما يشتمون مذمما، و أنا محمد " .

لقد كان الرسول ﷺ مصرا على أداء الرسالة، و لم تنفع السخرية و الاستهزاء و الإيذاء النفسي مع كفار قريش؛ فكانوا يقولون: محمد أبتر، أي مقطوع النسل، فتتألم السيدة خديجة لعدم قدرتها على الإنجاب بسبب كبر سنها، فتنزل سورة الكوثر للتخفيف عنهما و لتثبيتهما: **"إِنَّآ أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ* فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ*إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأبتر"**

و بعدما لم ينفع ذلك مع قريش، أمر أبو لهب ابنيه أن يطلّقا ابنتي النبي رقية و أم كلثوم، فتزوجت رقية بعدها عثمان بن عفان، أما أم كلثوم فكانت أكبر سنا فلم تتزوج.

و مع ذلك لم يكن النبي ﷺ ليبأس أبدا، فكان يدعو أبا جهل إلى الإسلام، فرد عليه قائلا: "يا محمد أتريد أن أشهد عند ربك أنك بلغت الرسالة؟" فانصرف الحبيب ﷺ. فقال أبو جهل لصاحبه: " أعرف أنه على حق".

لقد كان أبو جهل و أبو لهب و غيرهم يعلمون أن الحبيب ﷺ على حق، لكنهم فضلوا مصالحهم على الحق.

و لما لم ينفع الإيذاء النفسي انتقلوا إلى الإيذاء البدني، فذات مرة كان الحبيب ﷺ يصلي عند الحرم، فجاء عقبة بن أبى معيط، و خنق الحبيب ﷺ حتى سقط على ركبتيه. و في مرة أخرى جاء حاملا معه أمعاء الجمل، فرماها على الحبيب وهو ساجد يصلي، فلم يستطع ﷺ القيام حتى جاءت زينب تمسح عنه ﷺ و هي تبكي فقال لها: "لا تبك يا بنيتي إن الله ناصر أباك"

لماذا فعل عقبة كل ذلك؟؟!!

الواقع أن عقبة كان قد تأثر بكلام النبي و أوشك على الإسلام، لكنه حين حدّث أبا جهل- أعز أصدقائه- بذلك أجابه قائلا: "وجهي من وجهك حرام، و كلامي من كلامك حرام حتى تبصق على وجه محمد". ففعل عقبة ذلك. فتنزل الآيات: **" وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً، يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً، لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً "** الفرقان : 27 - 29 .

و ذات مرة عمد أبو جهل إلى وضع قدمه فوق الحبيب و هو ساجد فهرب فجأة ، فلما سألوه عن السبب أجاب: " رأيت بيني و بين محمد خندقا من نار لو اقتربت لاحترقت ". فكانت تلك معجزات من الله تعالى لتثبيت حبيبه ﷺ فالله لا يرضى الذل له أبدا.

و دخل أعرابي مكة ذات يوم فأخذ أبو جهل ماله، فذهب إلى قريش يطلب منهم أن يعيد له ماله، فقالوا له: اذهب إلى ذلك الشخص الذي يصلي و هو سيعيد لك مالك. فذهب إلى الحبيب ﷺ فقال له: أخبروني بأنك سوف تعيد لي مالي من أبي جهل. فنهض ﷺ و قال: إذاً قم معي. و ذهب إلى أبي جهل و قال له: "أأخذت من الرجل مالاً؟". قال: نعم . فقال ﷺ : "أعد للرجل ماله". فأعاده. فلما سألوا أبا جهل عن سبب ذلك: "قال لقد رأيت خلف محمد فحل جمل! "



و عانى أصحابه ﷺ كثيرا من الإيذاء البدني، فضُرب عبد الله بن مسعود و أبو بكر، و عُذِّب بلال في الصحراء و كانوا يقولون له: قل اللات و العزى، فكان يجيب : "لساني لا يحسنه". و كان يردد: أحد..أحد..أحد..أحد

و عانى الزبير بن العوام رضي الله عنه و عمره 16 سنة، حتى أُصيب بمرض صدري، فأجاز له الحبيب ﷺ لبس الحرير لمرضه.

أما آل ياسر فقد لقوا أشد العذاب من قريش، فكان الرسول ﷺ يقول لهم :"صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة". فقتل أبو جهل سمية أم عمار بن ياسر، و بذلك كانت أول شهيدة في الإسلام، ثم لحق بها زوجها بعدها بعدة أيام.

مع كل هذا الإيذاء، لماذا لم يدعوا الحبيب ﷺ لأصحابه؟

1- لأنه كان يريد رجالا حقيقيين
2- حتى نعلم بأن الإسلام غال، و لم يصلنا على طبق من ذهب

إسلام حمزة

مر أبو جهل يوما برسول ﷺ فآذاه و شتمه ، و الرسول ﷺ ساكت، فقام ﷺ و دخل المسجد. و كانت هناك جارية تسمع ما يقول أبو جهل، فلما أقبل حمزة من الصيد قالت له: يا أبا عمارة، أتكون أنت بالصيد و ابن أخيك يهان؟ فغضب، و دخل المسجد أبو جهل جالس في قومه، فقال له حمزة: تشتم ابن أخي و أنا على دينه ؟ ثم ضربه بقوسه، فثار رجال من بني مخزوم، و ثار بنو هاشم . فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة، فإني سببت ابن أخيه سبا قبيحا.

فعلمت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز، فكفوا عنه بعض ما كانوا ينالون منه .

فذهب حمزة إلى الحبيب ﷺ و أخبره بما قاله، و أنه لا يستطيع العودة عن كلامه. فعرض عليه الحبيب ﷺ الإسلام فأسلم.

إسلام عمر

أما إسلام عمر رضي الله عنه فكان بالتدرج:

الوقفة الأولى: كان رضي الله عنه شديد الغلظة على الدين، و كان النبي ﷺ يدعو للإسلام و عمر يتبعه و يقول للذي يسمعه ابتعد، فقال له ﷺ: يا عمر ما تتركني ليلاً أو نهاراً!

الوقفة الثانية: كانت لعمر جارية أسلمت، فأخذ يضربها حتى أنهكه ذلك، فقالت له: انظر كيف أتعبك الله و قواني، و الله لم أتعب.

الوقفة الثالثة: كان عمر يذهب ليسهر و يسكر مع أصدقائه كل يوم، و ذات مرة لم يجدهم فقرر الذهاب إلى الكعبة للاستماع إلى ما يقوله الحبيب ﷺ ، فقال إنه شاعر. فقرأ ﷺ و هو لا يعلم بوجود عمر، الآية التالية: **"وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ"** الحاقة: 41. قال: إذا كاهن. فقرأ ﷺ : **"وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ"** الحاقة: 42، قال: إذا ما هو؟ فقرأ ﷺ : **"تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ"** الحاقة: 43. فخاف عمر و ذهب.

الوقفة الرابعة: قرر عمر ذات يوم قتل الحبيب ﷺ، و بينما هو في طريقه إليه استوقفه أحد الصحابة قائلا: إلى أين يا عمر ؟ فأجابه: لأقتل محمدا. فخاف الصحابي على النبي ﷺ ، فأراد أن يعيق سير عمر فقال له : أتقتل محمد و أختك اتبعته.

و بينما كانت أخته فاطمة بنت الخطاب جالسة مع زوجها و خباب يقرؤون القرآن إذا بعمر يدق الباب، فاختبئ خباب و أخفى زوجها المصحف، ففتحت فاطمة الباب ودخل عمر و ضرب زوجها، فقالت له بشجاعة: أ رأيت إن كان الحق في غير دينك، فصفعها حتى سقطت على الأرض فأعادت كلامها.

و كان بيدها صحيفة قرآن فأمرها أن تناوله إياها، فقالت: أنت رجل نجس اذهب و اغتسل. ففعل ثم أخذ الصحيفة و قرأ فيها سورة طه، فشرح الله صدره للإسلام، فسأل عن الحبيب ﷺ فقيل له : هو في دار الأرقم .

فأتى الدار ثم دق الباب، فخاف من بالبيت. فخرج إليه رسول الله ﷺ ، و أخذ بمجامع ثيابه، ثم نتره نترة حتى جثى على ركبتيه فقال ﷺ: "ما أنت بمنته يا عمر ؟" فقال عمر رضي الله عنه : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله، فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد. فقال : يا رسول الله ألسنا على الحق إن متنا أو حيينا ؟ قال: بلى . فقال



عمر : ففيم الاختفاء ؟ و الذي بعثك بالحق لتخرجن، فخرجوا في صفين، حمزة في صف و عمر في صف حتى دخلوا المسجد. فلما نظرت إليهم قريش أصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها قط . فسماه ﷺ الفاروق، و قال له أنت الفاروق يفرق الله بك بين الحق والباطل.

فأراد عمر رضي الله عنه أن تعرف قريش بإسلامه، فاخبروه أن هنالك شخصا يدعى جميل لا يدع خبرا إلا وأذاعه لكل قريش، فذهب إليه و قال له: يا جميل أ أكتمك سرا؟ قال: قل يا عمر. قال و لا تخبر به أحدا؟ قال نعم. فقال أشهد أن لا اله إلا الله و أن محمد رسول الله، فذهب و أخبر الكل بذلك، فعلمت قريش بإسلام عمر.

و لما عاد رضي الله عنه إلى بيته، جمع أبناءه يحدثهم عن الإسلام، فقال ابنه عبد الله : أنا مسلم منذ سنة. فقال عمر: أو تسلم و تترك أباك!

يقول الإمام الحسن البصري: يأتي الإسلام يوم القيامة، يمر على الناس و يقول: يا رب هذا نصرني، يا رب هذا خذلني، حتى يصل إلى عمر بن الخطاب فيأخذ بيده و يقول: يا رب كنت غريبا حتى أسلم هذا الرجل.

الدروس المستفادة

1 - الحق منتصر
2- لا تعش للمصالح مثل أبي لهب و أبي جهل
3- ضح لأجل الرسالة مثل سمية و ياسر و خباب
4- اتسم بصفة الرجولة، و كُنّ يا نساء كفاطمة بنت الخطاب
5 - كن كعمر و حمزة
6 - يا فقراء، لا تقولوا لا رسالة لنا فنحن فقراء، بل خذوا بلالا رضي الله عنه قدوة لكم
7- المعجزات لم تأت إلا بعدما تحرك الحبيب ﷺ و أصحابه، فكن مبادراً مثله ﷺ و مصرا على الرسالة



النبي صلى الله عليه وسلم بين الثبات على الحق و الرحمة

تعريف بدار الأرقم بن أبي الأرقم

دار اجتمع فيها المسلمون لمدة ثلاث سنوات، من السنة الثالثة إلى السنة السادسة من بعثة النبي ﷺ، بعد أن اشتد إيذاء الكفار و تأثرت روح المسلمين المعنوية من شدة ما لقوه من تعذيب و اضطهاد.

المغزى من الاجتماع بدار الأرقم بن أبي الأرقم

- دورة تدريبية للمسلمين من أجل توسيع مداركهم الفكرية و تزكية إيمانهم بالله عز وجل و حثهم على التشبث بالصبر عند الإيذاء.
- صعوبة كشف قريش لاجتماعات المسلمين، حيث أن الأرقم بن الأرقم لم يتجاوز ربيعه السابع عشر.
- توسط المنزل لقبيلة الأرقم بن الأرقم مما يصرف قريش عن مهاجمته إن هي اكتشفته.

نتائج هذه الدورة الإسلامية العظيمة

- ثبات الصحابة الذين شهدوا التدريب مع النبي ﷺ في غزوة حنين، حين تفرق المسلمون في الجولة الأولى من المعركة و فر منهم من فر.
- غرس أسس العمل كفريق في أنفس الصحابة و تشبعهم بروح الجماعة. قال تعالى: **" وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ "** سورة العصر
- نقاء القلب و القرب من الله عز وجل. قال تعالى: **"قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ "** الأنعام: 162
- حب الوطن و التحلي بالصبر و عدم الانتقام: سورة هود و يوسف
- تعلم الصحابة الرؤية الواسعة للعالم : قال تعالى: **"الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ "** الروم 1 - 5.

بعد ذلك اقتنعت قريش بفشل أسلوب الإيذاء في ظل تزايد عدد المسلمين و لجأت لأسلوب التفاوض المبني على الإغراءات و المساومات.

سبل قريش التفاوضية

- مع أبي طالب عم الرسول ﷺ: اختلفت وسائل قريش في المرات الثلاث التي فاوضت فيها أبا طالب، فبعد أن فشلوا في إقناعه بالتخلي عن نصرة ابن أخيه ﷺ في المرتين الأوليتين, هددوه بإعلان الحرب على بني هاشم إن هو أصر على موقفه.

فما كان من أبي طالب إلا أن استدعى رسول الله ﷺ و أخبره بما قالت قريش، وقال له: "ابق على نفسك و علي و لا تحملني من الأمر ما لا أطيق " فظن الرسول ﷺ أن عمه قد تخلى عن نصرته فرد قائلا: **"** و الله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني و القمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أموت في سبيله**"** ثم سكت ﷺ و بكى. فتأثر أبو طالب بكلام الرسول ﷺ و قال شعرا انتشر بين قريش جاء فيه:

و الله لن يصلوا إليك بجمعهــم حتى أوسد في التراب دفينــا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة و ابشــر بذلك و قر منك عيـونا

- مع رسول الله ﷺ: بعثت قريش عتبة بن ربيعة ، و هو أكبرهم سنا، عارضا على رسول الله ﷺ المال و الجاه و السلطة و الزوجة الجميلة، فتركه النبي ﷺ حتى فرغ تماما و قرأ عليه آيات بينات من سورة فصلت، حتى إذا عاد أبو الوليد إلى باعثيه طلب منهم أن يتركوا رسول الله ﷺ لشأنه فحسبوه قد سُحر و حاولوا مرة أخرى بأنفسهم فما استطاعوا زعزعة رسول الله ﷺ عن موقفه.



درس كبير في آداب الحوار : أسمع لغيرك يسمع لك

و قد يتساءل أحد فيقول : لماذا لم يقبل النبي ﷺ العروض ثم يستفيد منها في دعوته؟

لأن الغاية لا تبرر الوسيلة و سياسة النبي ﷺ نظيفة

- ثم ساومت قريش النبي ﷺ على أن يعبدوا الله يوما و يعبد آلهتهم يوما.فأنزل تعالى سورة الكافرون: **" قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ "**

- ثم طلبت قريش من رسول الله ﷺ أن يطرد الفقراء فيومنوا به فنزل قول الله تعالى: **"وَ لاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَ الْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ "** الأنعام : 52

- ثم سألت قريش رسول الله ﷺ معجزات خارقة فأبى، و قال : " ما أنا بالذي يسأل ربه ذلك". فأنزل تعالى قوله : **" وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعاً أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَراً رَّسُولاً "** الإسراء 90 – 93.

فشل قريش

و بعد كل المحاولات فشلت قريش في نهجها التفاوضي كما فشل من قبل ذلك إيذاؤها للمسلمين.

الدروس المستفادة

1 - لنكن عملة حقيقية لا مزيفة (التواصي بالحق)

2 - رسالة إلى كبار العالم العربي لحماية الحق كما حما أبو طالب ابن أخيه ﷺ

3 - نداء إلى الشباب لصناعة النهضة في جميع الميادين

4- التدريب قيمة أساسية تحتاجها الأمة (دار الأرقم بن أبي الأرقم)



هجرة المسلمين إلى الحبشة

الأوضاع العامة و أحوال الرسول ﷺ و أصحابه

عرفت هذه المرحلة معاناة الرسول ﷺ و أصحابه. فقد كان كفار قريش يلزمون رسول الله ﷺ، حتى اذا أراد أن يحدث أحدا بما جاء به من الحق، اعترضوا طريقه و منعوه من تبليغ الرسالة، أما الصحابة فكانوا يعانون يوميا من الإيذاء الجسدي الشديد.
و الغريب في الأمر أن سادة قريش مثل الأخنس و أبي جهل و هم الأكثر كفرا و تجبرا، عند فراغهم من تعذيب المسلمين كانوا يجتمعون عند بيته ﷺ في جوف الليل، دون موعد أو معرفة أحدهم بالآخر، لعلمهم أنه يقوم الليل و يتلو القرآن جهرا فكانت قلوبهم و سمعهم تتأثر من ذكر الله. و كانوا يتعاهدون ألا يرجعوا فيرجعون الغد.

الكفار تأثروا بعظمة القرآن
فأين نحن من خشوع قلوبنا و جوارحنا له ؟؟

و تستمر الأوضاع على حالها بل وتزيد شدة و تعقيدا، إذ يئس الصحابة من الوضع و اشتكوا لرسول الله ﷺ فكان الحل الحكيم هو **الهجرة.**

الهجرة إلى الحبشة

نتيجة للأوضاع القاسية التي عاشها المسلمون ، أمر الرسول ﷺ الصحابة بالهجرة فرارا بدينهم من الظلم و الطغيان فكانت أول هجرة في تاريخ الإسلام إلى الحبشة.
فلماذا الحبشة و ليست قبيلة عربية؟
لأن قريشا هي سيدة القبائل العربية، فلن يختلف الوضع في غيرها من البلدان بخلاف الحبشة ففيها حاكم لا يظلم عنده أحد.

كيف عرفت يا حبيب الله؟
لأنه ملم بمحيطه و دارس للمنطقة كلها

و هاجر فيمن هاجر : عثمان بن عفان و زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ، و جعفر بن أبي طالب، و عبد الرحمان بن عوف و أم حبيبة بنت أبي سفيان و غيرهم، و كان مجموع من هاجر مائة مهاجر. و هذه النوعية من المهاجرين أراد بها ﷺ بعث رسائل إلى:

- **حاكم الحبشة النجاشي :** أنه ﷺ لم يرسل له فقراء بل أرسل مهاجرين من سادة قريش.
- **قريش** : إيذاؤها لن يمنع من تبليغ الرسالة.
- **الفقراء الذين هاجروا** : أن ﷺ لم يتخل عنهم فمن المهاجرين ابنته رقية و ابن عمه جعفر.

و دامت الهجرة 15 سنة، حتى إذا وقعت المدينة يكون للمسلمين منفذ آخر. و أثناء أجواء استعداد الصحابة للرحيل نزلت سورة مريم و الكهف.
- سورة مريم تعرف بالدين المسيحي فكان لابد من ذلك حتى يمثل الإسلام أحسن تمثيل في البلاد المسيحية الحبشة.
- سورة الكهف فهي تتحدث عن هجرة أهل الكهف، ذي القرنين و موسى الذين فروا بدينهم من الظلم و من أجل الرسالة حتى يبين الله تعالى للمهاجرين أنهم ليسوا أول من يهاجر من أجل نصر الرسالة.
و هاجر المسلمون إلى أرض الحبشة تاركين وطنهم و منازلهم و أموالهم و تجارتهم في سبيل الرسالة، فكانت ضربة قاسية لكفار قريش الذين لم يستسلموا بل بعثوا عمرو بن العاص و عبد الله ابن ربيعة محملين بالهدايا إلى النجاشي حاكم الحبشة يسألونه عودة أصحاب محمد بحجة أنهم فتنوا في القبيلة و فروا منها. فأعرض الملك أن يسلمهم حتى يسمع منهم فاستدعاهم وسألهم.



- النجاشي : ما الذي جاء بكم؟

فتقدم جعفر بن أبي طالب للرد بصفته ابن عم الحبيب ﷺ و جده المطلب الذي وقف أمام أبرهة.
- النجاشي : أعرض علي الإسلام
- جعفر ابن أبي طالب: "أيها الملك كنا قوم نعيش في الجاهلية، يأكل القوي منا الضعيف، نسيء الجوار و نقطع الأرحام، فجاءنا رجل نعرف نسبه و صدقه وخلقه و أمانته، فأمرنا بالإسلام و أمرنا بصدق الحديث و أداء الأمانة و صلة الأرحام و حسن الجوار، فعدى علينا قومنا فظلمونا و قهرونا و عذبونا، فقال لنا نبينا اخرجوا إلى أرض الحبشة فإنها أرض صدق و أن بها ملك لا يظلم عنده أحد فخرجنا إلى أرضك و اخترناك على من سواك".

لنحلل مقالة جعفر :

<u>الفقرة الأولى</u> "أيها الملك كنا قوما نعيش في الجاهلية، يأكل القوي منا الضعيف، نسيء الجوار و نقطع الأرحام" : أول فقرة عدد له مساوئ الجاهلية، و اختار المساوئ التي يتفق عليها كل البشر.

<u>الفقرةالثانية</u> " فجاءنا رجل نعرف نسبه و صدقه، وخلقه و أمانته " : فعرفه بكلمات موجزة بالحبيب ﷺ.

<u>الفقرة الثالثة</u> " أمرنا بالإسلام و أمرنا بصدق الحديث و أداء الأمانة و صلة الأرحام و حسن الجوار" : فعدد له جعفر كل الأشياء الحسنة التي يتفق عليها جميع الناس.

<u>الفقرة الرابعة</u> " فعدى علينا قومنا فظلمونا و قهرونا و عذبونا"

<u>الفقرة الأخيرة</u> " فقال لنا نبينا اخرجوا إلى أرض الحبشة فإنها أرض صدق و أن بها ملك لا يظلم عنده أحد فخرجنا إلى أرضك و اخترناك على من سواك" : رد فيه صون لكرامة المسلم و عزته أنهم اختاروه عمن سواه وفي نفس الوقت فيه مجاملة للنجاشي .

و استرسل النجاشي قائلا : هل لك مما جاء به نبيك من شيء؟
- جعفر : نعم، القرآن.
- النجاشي : اقرأ لنا منه شيئا
فقرأ عليه جعفر بذكائه أول سورة مريم. فلما انتهى رد النجاشي :و الله لا أسلمكم أبدا، ابقوا في بلادي حيث شئتم فو الله لا يظلمكم أحد و أنا على هذه الأرض" و توجه إلى عمرو بن العاص قائلا "أنا لا أقبل رشوة في ملك ملّكني الله إياه".
فعاش المسلمون في أرض الحبشة و هم يعملون غير متكلين على غيرهم و تخصصوا في المصنوعات الجلدية التي يحبها أهل الحبشة فأحبوهم...
في هذه الأثناء تسري إشاعة أن قريشا أسلمت، فعاد ربعهم ليعذبوا عذابا شديدا...و حدث ذلك أن مرة وقف الحبيب ﷺ أمام الكعبة و بصوت عالي قرأ سورة النجم فسكت الجميع إلى أن وقف إلى آخر السورة **" فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا"**، فسجد الجميع من تأثرهم بالقرآن فقالوا أن قريشا أسلمت و عندما سألوا قريشا لماذا سجدتم؟ قالت أن محمد
تكلم عن آلهتنا و قال اسجدوا لها. فعاد ممن عاد عثمان بن مظعون إلى مكة و كان بجوار أبي الوليد، فكان يرى الصحابة يضربون و يهانون و هو بجوار أبي الوليد، فذهب إلى أبي الوليد و قال له وجدت جوارا أفضل و أعظم من جوارك! قال: و من هو؟ قال: جوار الله. فذهب إلى الكعبة و كان هناك شاعر يشعر فقاطعه مرتين فقال الشاعر لقريش: أتكذبون الشعار ؟ فقالوا دعه فإنه بجوار أبي الوليد. قال: لقد تركت جواره فضرب و ضرب و ضرب و قال: الحمد لله الذي أوذيت كما أوذي أصحاب رسول الله. فضحك أبو الوليد و قال: ما هذا الجوار انظر إلى عينك، فقال له عثمان: و الله إن عيني الأخرى تشتاق لما فعل بأختها فقال الحبيب ﷺ : أين عثمان فمسح الحبيب ﷺ في عينه.

و أما النجاشي فقد أسلم، و صلى ﷺ عليه صلاة الغائب حين توفي و قال لهم : "قوموا و صلوا مات أحمصة عبد يحبه الله و رسوله".

الدروس المستفادة

1 - التخطيط الهادف.
2- التضحية.
3- عظمة القرآن
4- لا يدوم مال ولا ملك بل العمل الصالح
5- جوار الله أفضل وأعظم من جوار أي شخص



حصار المسلمين في شعب بني هاشم

بعد إصدار رسول الله ﷺ لأصحابه أمر الهجرة إلى الحبشة، و نتيجة لفشل قريش في استعادتهم من النجاشي، زاد كفر و مقت المشركين لرسول الله ﷺ، فلم يستسلموا فكان حلمهم الوحيد هو قتل رسول الله ﷺ. فكثرت اجتماعات كفار قريش في دار الندوة لمناقشة خطتهم و ذلك دون استدعاء عم رسول الله ﷺ أبي طالب الذي أحس بحركة قريش فعلم بما ينوون فعله.
أسرع أبو طالب بجمع شباب القبيلة فأمر كل واحد بأخذ حديدة و الجلوس وراء كل رجل من كبار قريش في مجمعهم، فقال أبو طالب لقريش: يا معشر قريش هل تدرون ما هممت به؟ قالوا: لا ، فنادى الشباب أن يخرجوا الحديدة و قال: و الله لو قتل محمد لنقاتلنكم. فسكتت قريش و انكسرت.

و كانت خطة عم الحبيب ﷺ تجميع القبائل لحماية رسول الله ﷺ و جعله بينهم، و من القبيلة من هم مسلمون و غير مسلمين قبلوا حمايته. فاستغلت قريش ذلك الحصن و أعلنت حربا جديدة فقرروا محاصرة المسلمين اقتصاديا و اجتماعيا في شعب بني هاشم :
- **اقتصاديا** :لا نبيع و لا يباع لهم.
- **اجتماعيا**:لا نتزوج منهم و لا نزوجهم.

فكتبت قريش صحيفة بذلك و علقتها في جوف الكعبة، فكان الحصار على المسلمين و غير المسلمين.
و عانى شعب بني هاشم طيلة فترة الحصار من الجوع الشديد، فمن فرط قلة الطعام كانوا يأكلون أوراق الشجر حتى أصبحت مخرجاتهم كمخرجات البعير، و تقيحت أفواههم و تألم أبناؤهم، و كان هدف الحصار إما تسليم محمد ﷺ أو تنازله عن فكرته، لكن لم يتنازل أحد حتى الكفار ، حتى إنه من كثرة الجوع يقول سعد بن أبي وقاص : " في ليلة ذهبت أتبول و إذا بي أسمع طقطقة بولي ففرحت، فبعد أن انتهيت تحسست فإذا هي جلدة تركتها في النار لترطب و أكلتها فإذا هي قاسية فشربت معها ماء ".

> **فيالها من معاناة....بل و الأكثر من ذلك ثبات**
> **المشركين من بني هاشم حماية لرسول الله ﷺ**

و تتجمد الدعوة طيلة الحصار الذي دام ثلاث سنوات و يتوقف عدد المسلمين غير أن ذلك لم يزدهم إلا ثباتا و تمسكا بالرسالة.

و مع انقطاع الطعام و الشراب على شعب بني هاشم بما فيهم رسول الله ﷺ كان الكفار يهربون لهم ما يسد رمقهم، و منهم عمر العامري الذي كان، رغم أنه على غير دينهم ، يضع الطعام على البعير و يضربها لتوصله للقبيلة، فعلمت قريش بأمره و قالت له: أتبعت دين محمد؟ قال: لا، فقالت قريش :و لم تفعل ذلك؟ فقال عمر: من أجل صلة الرحم، فقالت قريش :لا تفعل ذلك. و مرت ثلاثة أيام فعاد و أمسكت به قريش مرة أخرى، فأقسم ثم عاد لفعلته فضرب ثم عاد فضرب حتى جاء أبو سفيان و قال : "دعوه ، رجل يصل رحمه، لا تفسدوا كل أخلاقنا؟ "

و تعب الصحابة : ألف و ثمانون يوماً و هم محاصرون دون أمل في مكة، و كانت قريش تفك عنهم الحصار في موسم الحج حتى لا يفتضح أمرهم بين القبائل.

> **ثلاث سنوات...هي استمرارية وترسيخ للرسالة...**
> **فالحق غال و الثبات ضرورة لتجاوز المحن**
> **هؤلاء الذي ثبتوا في الشعب هم الذين ثبتوا في غزوة حنين فالفكرة ثبتت بالعقل والصبر**

و يئست قريش أمام هذا الثبات العظيم و التمسك القوي بالرسالة فقرر شباب منهم تمزيق الصحيفة، فنزل جبريل على الحبيب ﷺ ليخبره أن الله أرسل الأرضة على الصحيفة فأكلتها إلا "باسمك اللهم". فذهب أبو طالب ليخبر قريش ما أخبره رسول الله ﷺ. فكانت آية من آيات الله التي شهدها المشركون و استرسلوا في الكفر رغم ذلك.

و انتهى الحصار الذي دام ثلاث سنوات، و أنهك الصحابة و غيرهم بما فيهم عم الرسول ﷺ و أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها اللذان لم يستطيعا مقاومة المرض لشدته و كبر سنهما.

فمات أبو طالب الذي كان عضدا و حصنا لرسول الله ﷺ احتمت به الدعوة الإسلامية من هجمات الكفار و السفهاء، و في نفس السنة توفيت السيدة خديجة رضي الله عنها التي كانت وزير صدق لرسول الله ﷺ على الإسلام، آزرته على إبلاغ الرسالة و واسته بنفسها و مالها، و قاسمته الأذى و الهموم، حيث أن الحبيب ﷺ قال: **"آمنت بي حين كفر بي الناس، وصدقتني حين كذبني الناس، و أشركتني بمالها حين حرمني الناس، و رزقني الله ولدها وحرم ولد غيرها".**

و اشتد البلاء و الحزن على الحبيب ﷺ بعد وفاة عمه و زوجته و سمي ذلك العام **بعام الحزن**.

الدروس المستفادة

1 - العبودية الشديدة لله
2- الاخلاص وسيلة لتحقيق النهضة من أجل نصرة دين الله
3- الدعاء بالإعانة على الثبات
4- الثبات على الحق



رحلة النبي ﷺ إلى الطائف

وفاة أبي طالب و السيدة خديجة

في السنة العاشرة للدعوة و بعد الحصار و كل أنواع الأذى الذي لحق المسلمين في مكة، توفي أبو طالب عم الحبيب ﷺ الذي رباه و صد عنه كيد كفار قريش و حماه منهم، فحزن الحبيب ﷺ لوفاته حزنا كبيرا. و بعد أقل من شهر توفيت السيدة خديجة التي كانت تثبّته ﷺ و شكلت سندا ومعينا له على الدعوة إلى الله، فحزن لوفاتها حزنا شديدا حتى قال له الصحابة: خفف عليك يا رسول الله.

و كان ﷺ إذا ذبح شاتا يجعل أول ما يخرج منها نصيبا لصاحبات خديجة تكريما لها.

و حدث أن سألت إحدى الصحابيات الحبيب ﷺ إن كان سيتزوج بعد خديجة فبكى بشدة و قال: "أفيوجد خير من خديجة؟"

و سمي هذا العام " **عام الحزن** " لفقدانه ﷺ أشد الناس حرصا عليه.

> **ماتت خديجة و أبو طالب ولكن الفكرة لم تمت**
> **ليتعلم ﷺ التوكل على الله وحده**

رحلة الطائف

لما اشتد أذى قريش للحبيب ﷺ و نضجت فكرة قتله لديهم بعد ذلك، حتى قال: " و الله ما أوذيت كما أوذيت بعد ممات أبي طالب "، بدأ يفكر في الرحيل إلى مكان آخر من أجل نشر الإسلام و حماية نفسه من بطش قريش، فكانت الطائف ، التي تبعد عن مكة بحوالي مائة كيلومتر، وجهته لكونها أقوى بلد بعد قريش، فقصدها ﷺ صحبة زيد بن حارثة، مشيا على الأقدام بدل ركوب الراحلة حتى لا تشك قريش في رحلته التي استغرقت أربعة أيام.

و عند وصولهما إلى منطقة الطائف، عرض الحبيب ﷺ الإسلام على أهلها، و طلب منهم حمايته فصدوه و كذبوه فقال لهم : إن أبيتم الحماية و الإسلام فلا تخبروا قريشا أني جئت أستعين بكم عليهم، فأبوا إلا أن يخبروها، فقال لهم ﷺ : "إن أبيتم الحماية وأبيتم ألا تخبروا قريشا فدعوني أرحل"، فقالوا: "و الله لن تخرج حتى ترجم بالحجارة لكي لا تعود إلى هنا أبدا". فارتص أهل الطائف صفين و أخذوا يرجمون الحبيب ﷺ و زيدا بن حارثة بالحجارة و هما يجريان بحثا عن مكان آمن يختبئان فيه حتى أدموهما، و زيد يحمي رأس الحبيب ﷺ برأسه حتى دخلا بستانا صغيرا، و بدل أن ينشغل الحبيب ﷺ بمعالجة جراحه، رفع يديه إلى السماء و قال مناجيا ربه:

"اللهم أني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، أنت رب العالمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلي من تكلني، إلي بعيد يتجهمني، أم إلي قريب ملكته أمري، إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك أو يحل علي سخطك، لك العتبة حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك"

فرحم أصحاب البستان الحبيب ﷺ و قالوا لغلام لهم اسمه عداس: خذ العنب و اعطه. فالنبي ﷺ سمى الله حتى ينتبه لها عداس، فقال عداس: إن هذه الكلمة لا يقولها أهل البلد

قال الحبيب ﷺ : ما اسمك ؟
قال: عداس
قال :من أي البلد أنت ياعداس؟
قال: من نينوى
قال: من بلد الرجل الصالح يونس بن متى
قال: تعرفه؟
قال: نعم، ذلك أخي كان نبيا و أنا نبي، فانكب عداس يقبل رجلين الحبيب



- آلام رسول الله ﷺ لم تنسه الدعوة و الرسالة

- في دقائق قليلة أحب عداس رسول الله ﷺ لسلاسة حواره وطريقة إقناعه وكلامه

و كانت رحلة الحبيب ﷺ من أصعب المواقف التي تعرض لها ، لكن الله سيكرمه بما هو أعظم و أطيب من الطائف بنزول سيدنا جبريل عليه السلام و معه ملك الجبال الذي قال له: إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين (الجبلين)،

فقال ﷺ : **"لا، عسى الله أن يخرج من أصلابهم من يقول لا إله إلا الله".**

و بعد كل العناء الذي لقيه الحبيب ﷺ في ذلك اليوم، لم يتخل عن قيام الليل، ليكرمه الله تعالى مرة أخرى بأن أرسل إليه طائفة من الجن يستمعون لتلاوته القرآن فآمنوا به. **" وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ "** الأحقاف : 29 - 31.

عند عودتهما إلى مكة طلب الحبيب ﷺ من زيد أن يذهب إلى إحدى الأسر ليطلب الحماية منها، فوافق مطعم بن عدي على ذلك، و دخل الحبيب إلى مكة و طاف بالكعبة قبل أن يعود إلى بيته.

الحبيب ﷺ أراد الإنس والله أراد الجن

الحبيب ﷺ أراد كبار الطائف و الله أراد عداس

الحبيب ﷺ أراد الطائف و الله أراد المدينة

و تعلم المصطفى ﷺ أمورا لم يدركها من قبل ، واكتشف عوالم جديدة في هذه الرحلة و هي :

- عداس غلام من خارج الوطن العربي
- و ملك الجبال و الجن

فالكون واسع عريض لا يقتصر على الطائف و قريش

الدروس المستفادة

1- الإصرار على الرسالة
2- التوكل على الله
3- قيام الليل
4- الثبات على الرسالة



رحلة الإسراء والمعراج

رحلة الإسراء والمعراج

بعد رحلة الطائف و عودة النبي ﷺ حزينا منها، و موت الحبيبين (أمنا خديجة، و عبد المطلب)، جاءت رحلة الإسراء والمعراج لترفع الحبيب ﷺ إلى الله و لتُعلِمه بمقامه في السماء.

ففي ليلة 27 رجب من السنة العاشرة من البعثة، جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ ببيته و قال له : "طف على الكعبة سبع مرات ". ثم أخبره بعد ذلك بأنه سوف يذهب إلى المسجد الأقصى ليصعد بعدها إلى السماء.

قال الله تعالى في الآية الأولى من سورة الإسراء : **"سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ "**

و أسري بالحبيب ﷺ ليلا، لأن الليل رمز الفساد عند الظالمين، و رمز القيام و القرب من الله عند المؤمنين.
و وصفه الله عز و جل بكلمة "عبده" لأنه سبحانه و تعالى سيكرم الرسول و يرفع مقامه، لكنه ﷺ يجب أن يتذكر أنه عبده.

و بعد أن أتم الطواف سبع مرات بالكعبة، فوجئ الحبيب ﷺ أن هناك وسيلة نقل تسمى البراق، و هي كما وصفها ﷺ دابة بيضاء فوق الحمار و دون البغل يضع حافرة عند منتهى طرفه، و قد سمي بهذا الاسم لأن سرعته مثل سرعة البرق.
كما يدل البراق على أن علم الله فاق علم البشر، لأن البراق عرج إلى السماء ربما بثوان أو بدقائق بينما الصاروخ الذي يرسل إلى أقرب نجم بسرعة كبيرة يستغرق سنوات كثيرة للوصول.

يقول الحبيب ﷺ : "فركبته مع جبريل لا يفوتني و لا أفوته". فينزل ﷺ عند حائط في الأقصى سمي بعدها حائط البراق. ليقوم بربط البراق معلما إيانا **الأخذ بالأسباب و التوكل على الله.**

أعظم اجتماع في التاريخ

دخل الحبيب ﷺ المسجد الأقصى ليلا مع أنه من المفروض أن يكون مهجورا (لأن الرومان يحاصرونه من كل جانب)، فيفاجئ ﷺ، حيث وجده ممتلئا بأنبياء الله عليهم السلام من آدم حتى عيسى، كلهم نزلوا لاستقبال خاتم الأنبياء محمد ﷺ.

و كان هذا الاستقبال بمثابة تسليم الأنبياء و الرسل عليهم السلام راية قيادة البشرية للقائد الأعظم محمد ﷺ و كأنهم يقولون له : "أنت يا محمد و أمتك مسئولون عن الأرض"

و يقف جميع الأنبياء ليصلوا ركعتين و يصطف الجميع، ثم ينتظرون جبريل ليختار من يصلي بهم، فيقول جبريل : "تقدم يا محمد" فيصلي الحبيب ﷺ بالأنبياء أجمعين.

الحكمة من أن يعرج الحبيب من المسجد الأقصى و ليس من مكة، هو أن الله تعالى فضل تشريف نبيه وتسليمه الراية من هناك و هو يصلي بالأنبياء ليدرك ﷺ أنه مسئول هو و أمته عن هذه الأرض و عن المسجد الأقصى، و في ذلك تكليف و تشريف منه سبحانه.

و بعد ذلك ناول جبريل عليه السلام للرسول ﷺ كأسا من لبن و وآخر من خمر ، فاختار ﷺ اللبن (علما بأن الخمر لم يكن محرما بعد)، ففرح جبريل وقال له: " هديت إلى الفطرة وهديت أمتك بها" .



ترتيب الأنبياء الذين التقى بهم الحبيب ﷺ

1- آدم
2- عيسى و يحيى
3- يوسف
4- إدريس
5- هارون
6- موسى
7- إبراهيم

ما رآه الرسول ﷺ خلال رحلته مع جبريل

قال الحبيب ﷺ : **" فسألت جبريل فقال : هذا البيت المعمور ، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم "** رواه البخاري

و عندما التقى سيدُنا إبراهيم الحبيب ﷺ وصاه برسالة إلى أمته : "يا محمد أقرئ أمتك مني السلام، و قل لهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، و أن غراسها سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر" .

ثم تابع الحبيب ﷺ رحلته، و رأى أشياء كثيرة، حتى وصل إلى نقطة لم يتعدها أي مخلوق من قبل بما فيهم جبريل عليه السلام ، و هي سدرة المنتهى.

قال الله تعالي: **"و لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طغى لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى"** النجم: 13 – 18.

ثم فرضت الصلاة في هذا اللقاء بين الله و عبده...

و فرضت الصلاة بالسماء لأنها متصلة بها...
فعند قول العبد في بداية صلاته : " الله أكبر " يدخل مباشرة في اتصال مع الخالق سبحانه

و لما مر ﷺ في طريق عودته على سيدنا موسى عليه السلام، سأل الحبيب ﷺ : "كم فرض الله على أمتك؟"
فيقول الحبيب ﷺ : "خمسون صلاة ".
قال: فارجع إني جربت مع بني إسرائيل، و إن أمتك لا تقدر على ذلك فاسأل الله التخفيف.

فبقي النبي ﷺ يطلب التخفيف من ربه حتى أصبحت خمس صلوات.
فقال الله تعالى: لا يبدل القول لدي هي خمس في العدد خمسون في الأجر.
فقال موسى: ارجع.
فقال الحبيب: لقد استحيت من ربي.

قال الحبيب ﷺ: عدت إلى البيت فوجدت الوسادة كما تركتها، و عدت مهموماً كيف أخبرهم؟ و في الصباح أتاني أبو جهل و قصصت عليه ما رأيت. و قال: أرأيت لو جمعت لك قومك أتخبرهم ما تقول ؟. قال ﷺ : نعم. فأخبرهم، فمنهم من ارتد عن دينه.

و لكن عندما أُخبِر ﷺ أبا بكر رضي الله عنه قال: " إن كان قد قال فقد صدق" فسمي أبو بكر منذ ذلك اليوم **بالصديق**. فأراد المشركون دليلاً على صدق كلام الحبيب، فقال لهم أن هناك قافلة سوف تتأخر لأنها تعرضت لسرقة، فتأخرت فعلا، فقالوا: سحر محمد. و رفع الله تعالى لرسوله المسجد الأقصى، فوصفه لهم بدقة، مع العلم بأنه لم يسبق له أن ذهب إليه قبل رحلة الإسراء و المعراج.



من عجائب ما رأى الرسول ﷺ في المعراج

1- مالك (خازن النار): لاحظ الرسول مالكا لم يضحك إليه كغيره فسأل جبريل عن ذلك فأجابه : إن مالكاً لم يضحك منذ خلقه الله تعالى، و لو ضحك لأحد لضحك إليك.

2- البيت المعمور : و هو بيت مشرّف في السماء السابعة، و هو لأهل السماء كالكعبة لأهل الأرض ، كل يوم يدخُلُهُ سبعون ألف ملكٍ يُصلّون فيه، ثم يخرجون منه و لا يعودون إليه أبداً .

3 - سدرة المنتهى : و هي شجرة عظيمة أصلها في السماء السادسة و تصل إلى السماء السابعة (حيث رآها النبي)، بها من الحسن ما لا يصفه أحد من خلق الله ، و يغشاها فَراشٌ من ذهب.

4- الجنة : و هي فوق السموات السبع، فيها ما لا عينٌ رأت و لا أذنٌ سَمِعَتْ و لا خَطَرَ على قلب بشر مما أعدّه الله للمسلمين الأتقياء خاصة ، و لغيرهم ممن يدخل الجنة.

5 - العرش : و هو أعظم المخلوقات ، و حوله ملائكة لا يعلم عددهم إلا الله، و له قوائم كقوائم السرير يحمله أربعة من أعظم الملائكة ، و يوم القيامة يصبحون ثمانية.

6- وصوله ﷺ إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام : انفرد رسول الله عن جبريل بعد سدرة المنتهى حتى وصل إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام التي تنسخ بها الملائكة في صحفها من اللوح المحفوظ.

7-سماعه ﷺ كلام الله تعالى الذاتي الأزلي الأبدي الذي لا يشبه كلام البشر.

الدروس المستفادة

1- رحلة الإسراء و المعراج مكافأة لصبر النبي ﷺ و تضحيته
2- رحلة الإسراء و المعراج لمسة حنان و حب و تفضيل من الله إلى الرسول ﷺ
3- رحلة الإسراء و المعراج اختبار للثبات على الفكرة و التصديق و الإيمان بها
4- رحلة الإسراء و المعراج رمز التحدي للعلم و الحضارة
5 - رحلة الإسراء و المعراج تشريف و تكليف لجميع المسلمين
6 - عظمة الاختيار بين الفطرة (باللبن) و بين التشويه و التحريف (بالخمر)



النبي ﷺ و القبائل: لا للبأس

زمان الحدث

السنة العاشرة للبعثة، بعد وفاة الحبيبين و رحلة الإسراء و المعراج. فقد أصبحت الدعوة في قريش دون نتيجة تذكر ، و قل عدد الراغبين في الإسلام لتسود فكرة قتل رسول الله ﷺ و التخلص النهائي منه .

محاولات النبي إلى القبائل لحمايته و نشرة الرسالة

أدرك النبي ﷺ أن مكة لن تقبل الرسالة فقبل الهجرة بثلاث سنوات ذهب ﷺ إلى 26 قبيلة من أجل حمايته ونشر الرسالة, ليلقى عليه الصلاة و السلام 26 قبيلة في عشرة أيام.

- أول قبيلة و هم **بنو حنيفة** : وهم "قوم مسيلمة الكذاب"، فيردون عليه أقبح رد فلم يتكلم الرواة عما قالوا.

- **بنو كلب "بنو عبد الله"** : يذهب الحبيب ﷺ إليهم و يخاطبهم بقوله : بابني عبد الله إن الله قد أحسن اسم أبيكم فآمنوا بي، فيرفضون.

- **بنو عامر "بحيرة ابن فراس"** : يعرض عليهم الإسلام و يقرأ عليهم القرآن فيقول عنه بحيرة:"لو أخذت هذا الفتى لأخذت به العرب"، فقال بحيرة للحبيب ﷺ: " نحميك و نؤيدك و نحارب معك و لنا الملك من بعدك". فأجاب ﷺ: "الملك لله".

- **بحرة بن قيس" سيد القبيلة** : عرض الرسول ﷺ الإسلام على القوم فوافق الشباب على أن يبايعوه و يعاهدوه، فجاء سيد القبيلة و قال : من هذا ؟
فقالوا :محمد القرشي
فقال :مالكم و ماله ؟
قالوا :يزعم أنه رسول الله
فقال بجرة :قم يا فتى فالحق بقومك و الله لولا أنت برحالنا لقطعت عنقك

فجاء الحبيب ﷺ يركب ناقته فضربها بجرة حتى سقط ﷺ من فوقها فضحك، فلم تستحمل امرأة مسلمة من بني عامر فصرخت و هي تقول: "يا بني عامر و لا عامر لكم أيحدث ذلك لرسول الله بديارنا ؟" فقام ثلاثة من شباب بني عامر ليسوا بمسلمين يدافعون على الحبيب. فقام شباب من بني قيس فحدث بينهم قتال. فرفع الحبيب ﷺ يده و قال : " اللهم بارك لهؤلاء و أشار إلى بني عامر (الشبان الثلاثة)" و أضاف ﷺ : " و انتقم من هؤلاء "و أشار إلى بجرة و من معه من الشباب .

و كان أبو بكر يعرف نسب العرب و القبائل فذهب مع الرسول ﷺ إلى القبيلة الخامسة، و كان خلفه أبو لهب يقول لكل من يسمع له "لا تصدقه أنا عمه".

- **قبيلة بني شيبان** : و كان لها زعماء و هم :
- مغروق ابن عامر
- هانىء
- المثنى

وكانت بنو شيبان بين بلاد الفرس و بلاد العرب. فقال أبو بكر للحبيب هذه قبيلة عظيمة لو قبلوا أعزنا الله بهم.
فسأل أبو بكر : كم عدد مقاتليكم ؟
قالوا : ألف
قال : و ما هي قوتكم؟
قالوا :الجد و البذل و على الله الفوز
قال: كيف تحاربون أعداءكم؟
قالوا : نكون قد غضبنا على عدونا نفضل الجياد على أولادنا و السلاح على لقاحنا.
ثم قال مغروق : بماذا أتيت؟

فقرأ عليه الرسول ﷺ: **" قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ "**الأنعام:151

أما هانىء فقال : " لا نترك ديننا و ندخل في دينك في جلسة واحدة ". فقطع المثنى الأمر و قال: " إن ما تدعو به تكرهه الملوك، و إني أرى أن الفرس سوف تحاربك أما ما كان من جانب العرب فذنب صاحبه مغفور و أما ما كان من جانب الفرس فذنب صاحبه غير مغفور ".



فقال الحبيب ﷺ : "ردكم صادق و لكن لا يقوم بهذا الأمر إلا من حاطه من جميع جوانبه".

الدين ليس صلاة و صياما و حجابا فقط، و لكنه تخطيط و علم و عمل
" لا يقوم بهذا الأمر إلا من حاطه من جميع جوانبه "

ذهب الحبيب ﷺ ثم عاد إليهم و قال : أرأيتم إن أظهرني الله و ملكني بلاد الفرس أتسبحون الله و تقدسونه ؟
قالوا :نسبحه .
لكن محمدا ﷺ لم ييأس أبدا...

لأنه مؤمن بفكرته وواثق من نصره.

ثم ذهب الحبيب ﷺ وقال لأبي بكر "أي أخلاق عظيمة في الجاهلية ؟ "

لا يجب تعميم النظرة السيئة على الشعوب....

فالرسول ﷺ لم يتفق مع بني شيبان في نشر الإسلام
و لكنه اتفق معهم إن انتصر أن يسبحوا و يقدسوا الله

و عندما مات الرسول ﷺ و تولى أبو بكر الخلافة و أراد أن يرسل جيش المسلمين لمحاربة الفرس سمع أن هناك جيشا آخر يحارب الفرس فأمر رضي الله عنه بمناداة رئيسهم، فقال أبو بكر الصديق لرئيس الجيش: لو رآك رسول الله لفرح بك، فسأله: أولا تذكرني يا خليفة رسول الله؟ أجاب: لا.

قال: أنا المثنى أسلمت بعد موت رسول الله ﷺ و فاتني أن أكون من الصحابة (أصبح من التابعين)، ثم بكى

فقال له أبو بكر: و الله لو رآك رسول الله ﷺ لفرح بك
فقال له المثنى والله لا أعرف كيف أقابله ثم قرأ : "**وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**" الحديد:10

- **بنو محارب**

ذهب رسول الله ﷺ إلى بني محارب و قال لركانة رئيسهم: أتسلمون فقال له لا أسلم حتى تصرعني، فوافق الحبيب ﷺ فجمع ركانة الشباب وصرعه ﷺ فقال أخذتني على غرة، فيصرعه ﷺ مرة أخرى فيقول أخذتني على غرة فيصرعه الثلاثة فيرفض الإسلام، فيمضي الحبيب ﷺ

- **سويد "رجل أديب يحب الحكمة"**

قال سويد لرسول الله ﷺ: إن معي شيئا أفضل مما معك ، معي حكمة لقمان قال له الحبيب ﷺ: "أعرضها علي " ليستفيد" فعرضها فقال له الحبيب ﷺ: و لكن الذي معي أفضل مما معك فهل تسمعني كما سمعتك و قرأ عليه القرآن.

اصغوا لغيركم كما يستمعون إليكم



فقال سويد: و الله هذا أفضل مما معي و لكن أنا رجل ضعيف بين قومي و لا أستطيع إخبارهم بحمايتك، فقبل الحبيب ﷺ إسلامه.

- ضماد من اليمن يقال أنه يرقى من الجن

سمع أن هنالك شخص يدعى محمد مسته الجن، فذهب إليه و قال مما تشتكي، فقال له الحبيب ﷺ : "إن الحمد لله أحمده و أستعينه وأستغفره , و أعوذ بالله من شرور نفسي و سيئات أعمالي من يهده الله فلا مضل له و من يضلل فلا هادي له"
ثم قال له ضماد: "أعدها" فأعادها 4 مرات فقال له: "ماذا أقول ؟"
قال الحبيب: "قل اشهد أن لا له إلا الله و أشهد أن محمد رسول الله"، فأسلم

- الطفيل بن عمرو من اليمن: "شاعر لبيب"

أخبروه أن ما يقوله محمد ﷺ يصيب الشخص بسحر، ففعل في أذنه قطنا حتى لا يسمع.

يحكي الطفيل بن عمرو : ذهبت أطوف و محمد ﷺ يصلي فلما رآني رفع صوته فأخرجت القطن من أذني و ذهبت أسمعه ثم تبعته إلى بيته فأسلمت فقلت له (من أول دقيقة إسلامه): " ماذا تأمرني يا رسول الله ؟"

أخرجوا القطن من آذانكم و اسمعوا للقرآن!

قال: "ارجع إلى قومك وادعهم إلى الإسلام فان سمعت أني انتصرت فآتني أنت وقومك"

فقال: " يا رسول الله ادع لي أن يجعل الله لي آية"، فدعا له الحبيب ﷺ، فقال: "و الله إن وجهي أصبح يضيء و ليس في وجهي فقط فأصبحت في عصاي".
ثم عاد و أسلم معه أمه و أبوه و شخص آخر و هو : **أبو هريرة.**

فعاد إلى النبي ﷺ بعد سنة و قال له: "لم يؤمن قومي فرفع الحبيب ﷺ يده إلى السماء، و قال الطفيل سيدعو عليهم ليتني لم أخبره، فقال الحبيب ﷺ " اللهم اهد دوس وآت بهم"، و في معركة خيبر تأتي دوس كلها و هي مسلمة و يموت الطفيل شهيدا في سبيل الله.

و بعد فشل جميع محاولات الحبيب ﷺ في أن يجد من يحميه، و في آخر يوم في منى يرجع الجميع إلى بيوتهم إلا هو. كان آخر من يعود، وفي طريقه التقى بستة شباب يحلقون عند الحلاق أكبرهم سناً هو أسعد بن زرارة عمره 21 سنة. قال لهم النبي ﷺ : "أفلا تجلسون أكلمكم" فسمعوا له فأخبرهم عن رسالته و قرأ عليهم القرآن فتعجبوا و قالوا: "هذا هو نبي آخر الزمان الذي يتوعده اليهود من بني إسرائيل".

بيعة العقبة الأولى

و كانت الأوس و الخزرج في وقت حرب يبحثون عن شيء جديد و قد مات كبارهم. فقرر النبي ﷺ أن يعود بعد سنة، لكيلا يعتقد الخزرج أن هذا النبي لهم و ليس للأوس. فتواعدوا أن يرجعوا بعد عام في نفس المكان " العقبة"، و أن يأتي معهم الأوس. فأصبحوا في السنة الثانية 12 شخصا، 8 من الخزرج و 4 من الأوس. اتفقوا و جاءوا من دون خلاف للوعد.

فبايعهم الحبيب ﷺ بيعة كبيعة النساء :
- لا تشركوا بالله شيئا
- لا تسرقوا
- لا تزنوا
- لا تقتلوا أولادكم
- لا تأتون ببهتان
- لا تعصوني في معروف

لماذا هذه المسائل بالضبط ؟ لأن المجتمع يحتاج إلى هذه القواعد، فقد كان مجتمعا تسود فيه السرقة و الزنا و القتل فلابد أن يبايعهم على ما يحتاجه المجتمع و ليس على القتال، و هذه رسالة إلى الدعاة و رجال الدين.

كلم المجتمع حسب ظروفه الحالية



ثم أرسل معهم مصعبا و أمرهم أن يرجعوا في السنة الثانية، و كان أول سفير في الإسلام، فأقام مصعب ببيت أسعد بن زرارة، و كان أسعد خزرجيا يصل رحمه و أولاد خالته من الأوس. و حضر سيدان من الأوس و الخزرج وهما أسيد بن حضير و سعد بن معاذ. فجاء أسيد إلى مصعب فقال له أسعد "زود الإخلاص جاءك سيد القوم" و دار بينهما حوار. فأسلم أسيد. و قبل ذلك سأله : "كيف أسلم ؟" قال له: "أن تغتسل و تلبس ثيابك و تشهد و تصلي ركعتين". قال أسيد: "إن أسلم سعد فستسلم القبيلة". و تحقق ذلك فعلا .

الدروس المستفادة

1 - لا لليأس
2- النظافة و الأخلاق من ركائز الإسلام
3- الدين ليس صلاة و صياما فقط، بل تخطيط و علم و عمل أيضا
4- اعمل لآخر لحظة فقد يتقبل الله منك



بيعة العقبة الكبرى

الاتفاق النهائي بين النبي ﷺ و الأنصار على نصرة الإسلام و الهجرة

بعد أن بدأ مصعب بن عمير يقوم بدوره الدعوي، إلى أن أسلم سعد بن معاذ و أسيد بن حضير سيدا الأوس، حتى غدا لا يوجد بيت في المدينة إلا و أحد أفراده مسلما، رجلا أو امرأة أو طفلا أو شابا أو عجوزا، فانتشر الإسلام في المدينة، اليوم إذن هو السنة الثانية عشر من بعثة رسول الله ﷺ.

وقائع ما قبل و أثناء اجتماع البيعة

1-الطريق من مكة إلى المدينة:

اتفق رسول الله ﷺ مع مصعب بن عمير في السنة الثانية عشر من بعثته على أن يأتي بوفد كبير من الذين أسلموا من أهل المدينة لمقابلته ﷺ في موسم الحج.

ركز الحبيب ﷺ على موسم الحج و استفاد منه، موسم الحج الذي تعتبره قريش عبادتها رسول الله و لم يقل هذا موسم الكفار لا شأن لي به بل استفاد منه، و حوله إلى فرصة و إلى نقطة قوة، ذلك أن كل العرب تتجمع في موسم الحج في مكة...
قاعدة في علم الإدارة تقول : إن على الفرد أن يدرس الوضع الذي يوجد عليه و يحول الفرص الصغيرة المتاحة إلى نقط قوة كبيرة
هؤلاء هم الناجحون و هذا ما فعله رسول الله ﷺ

فجاء أهل المدينة خلال موسم الحج بوفد كبير بعدما أصبح مسلمو المدينة في منتهى القوة، كما تؤكد تقارير مصعب بن عمير، فحان بذلك موعد اللقاء...و كان العدد كبيرا : خمسة و سبعون شخصا، قد تعلم به قريش، إلا أنه ﷺ سيتخذ كل الاحتياطات، لأنه لو تسرب إلى قريش خبر أن رسول الله و المسلمين يستعدون للهجرة إلى المدينة، سيجهض المشروع و تدمر المدينة و يقتل الخمسة و سبعون و يقضى على الفكرة في مهدها، فلا ضرورة للمقابلة إذن، إلا أن الاجتماع كان ضروريا من أجل الاتفاق.

لكن ألم يكن ممكنا أن يصدر لهم رسول الله ﷺ أوامره؟

لا أبدا، لم يكن ذلك أبدا أسلوب رسول الله ﷺ، فأسلوبه ﷺ أن يجلس إلى الناس ليتكلم معهم و يناقشهم، فيخبرهم برأيه عليه السلام و يسمع لرأيهم.
و سيأتي الخمسة و سبعون وسط القافلة التي تحمل وفد الحجيج الذين هم من الكفار مندمجين معهم، و لم يحدث أي شجار بينهم طيلة خمسمائة كيلو متر من الطريق بين المدينة و مكة، بل أثر رقي أخلاق المسلمين في صلاثة من الكفار أسلموا خلال الطريق، و كان منهم رئيس وفد الحجيج البراء بن معرور و هو رجل عجوز فوق السبعين عاما.
و يؤمن رجل ذو مكانة مهمة وهو سيدنا عبد الله بن عمر بن حرام، الذي كان مع وفد الحجيج في طريقة إلى مكة مع كفار يثرب، و خلال الطريق جلس معه سيدنا كعب بن مالك، و قال" يا أبا جابر والله عجبت لك، والله إني أخشى عليك أن تكون غدا حطبا للنار، و إنك والله سيدنا و عظيمنا و صاحب خلق فينا و أحب الناس إلينا، فاندهش عبد الله بن عمر بن حرام لما سمعه من سيدنا كعب بن مالك و قال له: " ما الأمر؟" فعرض عليه سيدنا كعب الإسلام فأسلم سيدنا عبد الله بن حرام، فأسلم بذلك اثنين من السادة الكبار: البراء بن معرور و عبد الله بن حرام في الطريق إلى مكة.

الأنصار في هذا الوفد أعطوا درسين:

1- هذه رسالة للاندماج في المجتمع و عدم العزلة و لنا في رسول الله و هؤلاء المسلمون في وفد الحجيج الأسوة الحسنة

2- الأخلاق : مسألة أهملها المسلمون و ركزوا على العبادة، فنسوا أن أقطارا فُتحت بالأخلاق



اللقاء بين ممثلي الوفد و النبي ﷺ

وصل الوفد إلى مكة فكان أول من قابل رسول الله ﷺ مصعب بن عمير و ذلك ليقدم لرسول الله تقريرا مفصلا عن أوضاع المدينة: الأوضاع الاجتماعية و السياسية و المالية، اهتمامات أهل المدينة، الوضع الجغرافي ، القوة العسكرية السائدة فيها، كل المعطيات وضعها مصعب بن عمير بين يدي النبي ﷺ، ثم بعد ذلك طلب رسول الله من مصعب بن عمير أن يحضر رئيس وفد الحجيج للقاء به، فحضر البراء بن معرور يرافقه إعلامي وفد الحجيج سعد بن مالك و هو شاعر و بمثابة أهل الإعلام في ذلك الوقت. فاستقبلهم رسول الله ﷺ و سلم على البراء بن معرور ثم تقدم مصعب بن عمير ليقدم سعد بن مالك لرسول الله فرد ﷺ: " الشاعر ؟ " لأن النبي ﷺ يدرك أهمية الفن و الثقافة:

هناك من الناس من يعتقد أن كثيرا من الفنون اليوم تدعوا للإباحية و الحرام،
و من ثم فإن الفن كله حرام و مرفوض و هذا غير صحيح، بدليل فرحة النبي ﷺ بشاعر أسلم و بدليل أن رسول الله دخل المدينة بأغنية،
فلا يحق لنا التعميم فالفن أداة تستعمل للحلال كما تستعمل للحرام

موقف طريف:

للتعرف على مدى أهمية الإعلام و الفن، و إدراك النبي ﷺ لهذا الأمر

جاء أعرابي يسأل رسول الله ﷺ عن الصلاة، فقال ﷺ : " إن الفجر ركعتان ، و أربع ركعات ظهرا، و مثلها عصرا، و ثلاث خلال المغرب، ثم أربع ركعات في العشاء" ، لكن الأعرابي لم يفهم ، فأعادها عليه رسول الله، لكن دون جدوى، فجاء سعد بن مالك وقال" يا رسول الله دعني أقولها له بالشعر يفهمها، الصلاة أربع فأربع، ثم ثلاث يتبعها أربع، ثم صلاة الصبح لا تضيع" فقال الأعرابي "عقلتها"

ترتيبات اللقاء بين رسول الله و وفد المدينة

بدأ التخطيط للقاء رسول الله مع الخمسة و سبعين مسلما ، و سيتولى مصعب بن عمير التحضير للاجتماع:

فيما يخص موعد الاجتماع :

- أن يقابل الأنصار وسط موسم الحج.
- أن يقابل الأنصار آخر يوم في منى فالجميع بعدها سيرتحل.
- أن يقابل الأنصار في منتصف الليل.
- أن يقابل الأنصار عند العقبة، لذلك سميت ببيعة العقبة الكبرى لأنها البيعة النهائية، فقد سبقتها بيعة العقبة الأولى من طرف الشباب الإثني عشر، و سميت بالعقبة لأنه المكان الذي ستتم فيه، و اختاره النبي ﷺ لأنه لو اكتشف الاجتماع فسيقول الأنصار إنما جئنا لرمي الجمرات.

و قد وضع رسول الله ﷺ مجموعة من الشروط للالتحاق بالاجتماع :

- أن ينام الأنصار في الخيام مع أهلهم من كفار يثرب حتى تبدو الأمور طبيعية.
- أن لا يعمد أحد إلى إيقاظ غيره، فإذا غلب النوم أحدهم ضاع عليه حضور الاجتماع.
- ألا تتعدى كل مجموعة متجهة للموعد شخصين.
- لن يحضر الاجتماع أبو بكر وعمر فقد كانت مهمتهما الوقوف على رؤوس الجبال لمراقبة المكان.

يقول الأنصار عن هذه الليلة : " فخرجنا نتسلل تسلل القطا – و هو طائر يحجر على رجل واحدة- حتى توافينا على المكان فذهبنا و لم يأت النبي ﷺ إلا بعد فترة. و كان هذا الاجتماع حلقة مفصلية في تاريخ الإسلام، فلولاه ما كانت غزوة بدر و لا جاء فتح مكة و لا أقام رسول الله ﷺ دولة له في المدينة و لا حدثت الهجرة ... "



الحقوق السياسية للمرأة في الاسلام

عدد الصحابة الذين حضروا الاجتماع كانوا 75 منهم امرأتان، و قد قلل رسول الله عدد النساء لخطورة الاجتماع، لكنه أصر أن تكون هناك امرأتان تمثلان النساء، فإذا اعتبرنا الاجتماع اجتماعا سياسيا فيمكن القول إن المرأة شاركت منذ اليوم الأول في الشأن السياسي للأمة، و قد مثلت النساء في هذا الاجتماع نسيبة بنت كعب و أسماء بنت عمر.

وقائع الاجتماع بين رسول الله ﷺ و الأنصار و البيعة

1- مقدمة

اجتمع الخمسة و سبعون من المسلمين ثم جاء رسول الله ﷺ يرافقه العباس عمه، ذلك أن العباس قد حل محل أبي طالب في حماية رسول الله ﷺ علما أنه لم يكن قد أسلم بعد، فهو اليوم ممثل و رمز لعائلة عبد المطلب و بني هاشم، و هي رسالة للأنصار مضمونها أن عائلة رسول الله ﷺ مازالت تحميه، فلا يظن أحد أنه ليس لرسول الله سند أو ظهر يحميه ليستعين بكم.

وصل النبي و العباس و جلسوا مع الأنصار، فافتتح العباس اللقاء بقوله :" يا معشر الأوس و الخزرج قد علمنا بقدومكم اليوم، و اعلموا يا معشر الأوس والخزرج أننا بنو هاشم نحمي محمدا إلى اليوم فإن كنتم ترغبون أن يأتي عندكم فتعاهدون على حمايته، و إلا فإننا قادرون على حمايته، فسمع الأنصار من العباس و قالوا:" قد سمعنا مقالتك يا عباس، فتكلم أنت يا رسول الله، و اطلب لنفسك ولربك يا رسول الله".

2- توضيح لما هو مطلوب

فقرأ رسول الله القرآن و حمد الله و أثنى عليه و رغبهم في الإيمان – أي أنه استهل حديثه ﷺ بالعاطفة فخاطب قلوبهم قبل عقولهم، ثم قال النبي ﷺ :" تبايعونني على خمسة أشياء :

1. تبايعونني على السمع و الطاعة في المنشط و المحزن (بمعنى أن يكون قائدا البلاد)
2. تبايعونني على الإنفاق في اليسر و العسر.
3. تبايعونني على الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.
4. تبايعونني على ألا تأخذكم في الله لومة لائم.
5. تمنعونني عندما آتي إليكم كما تمنعون نساءكم و أولادكم.

قالوا:" فمالنا إن فعلنا ذلك" ؟ فنظر النبي ﷺ إليهم و قال كلمة واحدة :" الجنة" و سكت.

3- فتح باب المناقشة

ثم فتح باب النقاش فكان أول من تكلم البراء بن معرور قال: " يا رسول الله امدد يدك، نعم و الذي بعثك بالحق، لنحميك كما نحمي أولادنا و نساءنا، فامدد يدك يا رسول الله فنحن أهل الحرب ورثناها كابرا عن كابر ". و كان أسعد بن زرارة و هو أصغر واحد فيهم يجلس صامتا يراقب و ينتظر الفرصة ليقول ما يريد. ثم تكلم أبو الهيثم بن تيهان، قال:" يا رسول الله"، قال:" نعم" قال:" يا رسول الله إن بيننا و بين اليهود علاقات حميمة، و إن قدومك قد يعني أننا نقطعها، فهل إذا أظهرك الله و انتصرت تعود إلى قومك و تتركنا و نكون قد قطعنا حبائلنا مع اليهود"،

فابتسم النبي ﷺ و قال:" بل الدم الدم و الهدم الهدم أسالم من سالمتم و أعادي من عاديتم " (بمعنى أن دماءنا أصبحت واحدة لا يفرقنا إلا الموت و القبر).

لهذا دفن رسول الله في المدينة،
وفاء للأنصار و لكلمته و عهده معهم.

4- عقد الاتفاق و البيعة

فهاج القوم يقولون امدد يدك نبايعك يا رسول الله، فتدخل أسعد بن زرارة و قال:" يا قوم، انتظروا، انظروا على ماذا تبايعون الرجل، إنكم تبايعونه على حرب العرب و العجم، الأبيض و الأسود، فإن كنتم ستخذلونه، فاتركوه من الآن" فقال القوم:" أمط يدك عنا يا أسعد، ربح البيع، لا نقيل و لا نستقيل".
فتقاتل القوم كل يريد أن يبايع أولا، كل يظن أن من بايع أولا دخل الجنة أولا، فتقاتل القوم حتى كاد البراء يهلك.

5 – توزيع المهمات والأدوار

فبايعوا رسول الله، ثم قال لهم ﷺ : "اجلسوا"، و ذلك ليوزع عليهم مهام إدارة شؤون المدينة، فقال لهم ﷺ: "أخرجوا لي اثني عشر نقيبا" فاتفقوا على تسعة من الخزرج و ثلاثة من الأوس، منهم عبد الله بن عمر بن حرام، و أسعد بن زرارة، و البراء بن معرور، و سعد بن معاذ، و أسيد بن خضير، فقال لهم النبي ﷺ:" أنتم كفلاء على بلدكم، و أنا كفيل على قومي هنا حتى آتيكم".

شكل الاجتماع :

أولا: مقدمة
ثانيا: توضيح لما هو مطلوب
ثالثا: فتح باب المناقشة
رابعا: عقد الاتفاقية والبيعة
خامسا: توزيع المهمات والأدوار

أحداث بعد الاجتماع

و عند نهاية الاجتماع فإذا بصوت يصرخ من فوق رأس جبل: يا معشر قريش أدركوا محمد و الصبا، فقد اجتمعوا على حربكم.

كانت الأخطاء واردة باعتبارها تجربة إنسانية...

و كأن الله تعالى يقول لنا إنما هي تجربة بشرية الخطأ فيها وارد، لكن لأن التخطيط جيد و النية صادقة و الرسالة قوية، فالأخطاء لا تضيع و لا تتلف الموضوع.

و في رواية أن من قام بهذا الأمر لم يكن شخصا، بل كان الشيطان الذي وجد أن هذا الاجتماع خطير جدا، و أنه سيؤدي إلى انتشار الإسلام، و هناك رواية عن النبي أنه ﷺ عندما سمع بالصراخ قال للصحابة:" لأتفرغن له" من الممكن أن يكون قصد رسول الله أن هذا الشخص شيطان بسبب فعلته، المهم أن أمر الاجتماع قد عرف، لكن في آخره و بعد نجاحه، فقال العباس بن فضلة، و كان أحد الخمسة و سبعين: " يا رسول الله دعنا نميل على أهل منى بأسيافنا الليلة" ، فقال رسول الله:" لا، لم نؤمر بذلك أبدا، ارجعوا على رحالكم فناموا بين قومكم" فرجع الخمسة و سبعون و دخلوا بهدوء و ناموا وسط رحالهم، لكن الصوت كان قد أسمع قريش، فقاموا إلى الخيام يسألون الناس، ما إذا قابل أحدهم محمدا ﷺ، حتى وصلوا خيام يثرب و قد كان فيها مسلمون و غير مسلمين، فطرحوا عليهم نفس السؤال: " هل قابل أحدكم محمد البارحة، فأجاب الكفار نقسم بالله العظيم أننا لم نقابله، و قد صدقوا، و قد كان الأنصار يكتمون أنفاسهم، و بما أنها كانت آخر ليلة بدأ الجميع يجمع الخيام استعدادا للرحيل. ثم تأكد الخبر عند قريش لكن بعدما كانت كل القبائل قد ارتحلت بما فيها يثرب، باستثناء اثنين من الصحابة، تأخرا عن ركب الرحيل، سيدنا سعد بن عبادة و المنذر بن عمر، فاحتجزتهما قريش و بدأت بضربهما ضربا شديدا، فاقترح عليهما العباس أن يصرخا بأسماء تجار قريش الذين تمر قوافلهم بهما لحمايتهما، فجاء أبو سفيان فأطلق سراحهما حماية لتجارته و مصالحه، فعاد الاثنان إلى المدينة.

الهجرة

1-التحضيرات للهجرة

عاد الخمسة و سبعون إلى المدينة و بدأ رسول الله ﷺ يجهز للهجرة، فجمع عليه السلام الصحابة من أهل مكة و أخبرهم بوقائع الاجتماع، و قال لهم:" قد جعل الله لكم دارا خيرا من داركم و أهلا خيرا من أهلكم، إن الله أذن لنا بالهجرة فلنهاجر جميعا"، و كان رسول الله ﷺ آخر من رحل، إذ أنه لم يهاجر إلا بعد أن اطمأن و تأكد من وصول المهاجرين إلى المدينة بسلام، ذلك أنه لو هاجر أولا لانتقم الكفار من المسلمين، لذلك فضل ﷺ البقاء آخرا رغم خطورة الأمر .

لذلك أشرف الرسول ﷺ على :

أولا: سلامة الخروج(خروج الناس من مكة)
ثانيا: تأمين طريق السفر إلى غاية الوصول إلى المدينة
ثالثا: ضمان الاستقرار و الاستقبال للمهاجرين.

و لتأمين الطريق اختار النبي ﷺ أن يخرج الأقوياء مع الضعفاء، و الأغنياء مع الفقراء، كما اتفق مع الأنصار على توزيع المهاجرين في المدينة.

2- نماذج من المهاجرين

النموذج الأول:
أم سلمة و زوجها و ابنها كانوا من أوائل المهاجرين، و بينما هم في طريق الهجرة أوقفتهم عائلة أم سلمة، وقالوا لأبي سلمة:" هذه نفسك غلبتنا عليها، لكن هذه المسكينة ما ذنبها أن تأتي معك، و الله لا تخرج معك أبدا"، فانتزعوا أم سلمة و ابنها من أبي سلمة، فاضطر أبو سلمة للهجرة بمفرده، فجاء أهل أبي سلمة و قالوا لأم سلمة :" أهكذا فعل أهلك فوا لله لا نترك ابننا عندكم، و لنأخذن ابننا، فوقع سلمة بين أهله لأمه و أهله لأبيه، كل يجره من ذراع، حتى خلعت كتفاه و أخذه أهله لأبيه، و هكذا و بعدما كانت العائلة مجتمعة أمسى الآن أبو سلمة في المدينة، و سلمة محبوس عند أهله لأبيه، و أم سلمة محبوسة عند أهلها، تقول أم سلمة:" ثم قال لي أهلي" أخرجي فلن تستطيعي الهجرة الآن بعدما أخذ أهل زوجك إبنك منك" ، تقول:" فبقيت سنة كاملة، أذهب كل يوم إلي المكان الذي أخذ فيه ابني و زوجي، فأبكي حتى المغرب، و أعود إلى بيتي ثم أعود في اليوم التالي، تقول فوا لله لا أعرف أحدا بقي سنة يبكي، حتى مر علي رجل من أهل زوجي، فوجدني أبكي فذهب إلى أهل زوجي وقال :" حتى متى تتركون هذه المسكينة ردوا إليها ولدها، فردوا إلي ابني بعد سنة.

لنتعلم الصبر و التضحية من أم سلمة

وقد كافأها الله بعد وفاة زوجها بأن زوجها رسول الله 

فخرجت أم سلمة و ابنها للهجرة إلى المدينة، التي تبعد عن مكة خمسمائة كيلو متر، و بينما هي عند التنعيم تقصد المدينة، إذا بعثمان بن طلحة يمر عليهما فقال :" إلى أين يا أم سلمة" فقالت :" أفر بديني و ألحق بزوجي" فقال:" لوحدك"، فقالت:" نعم و الله ليس لي إلا الله و ابني هذا"، فقال:" لا والله ما ينبغي لمثلك أن تقطع هذه المسافة لوحدها، اركبي يا أم سلمة" ، فخرج معها من مكة إلى المدينة ليوصلها.

ابحث عن الخير في الناس...
فعثمان بن طلحة كافر لكنه شهم...
علينا أن ننظر إلى الناس كتركيبة مكتملة...ابحث عن الخير في الناس حتى لو لم يكونوا مسلمين، حتى و لو كانوا أعداء، بغض النظر عن الدين، فبداخل عدوك لمحة خير، لكن البارع من يبحث و يكشف عنها...

تقول أم سلمة :" ما رأيت في حياتي رجلا أكرم و لا أكثر شهامة من عثمان بن طلحة كان إذا أراد أن يستريح أناخ الناقة و أعطاني ظهره، وذهب ليستريح بعيدا، فإذا أراد العودة أصدر صوتا ثم أعطاني ظهره، و أناخ الناقة لأركب، حتى إذا اطمأن ارتحلنا، تقول فأخذني حتى وصل بي إلى المدينة، فقال : " زوجك في هذه البلدة، قد وصلنا ادخلي إليها "، و في رواية : "خذي الناقة و ادخلي بها و أعود أنا ماشيا".



النموذج الثاني:

صهيب الرومي الذي جاء من بلاد الروم فقيرا لا يملك شيئا، و احترف التجارة بمكة فأغناه الله من فضله، و أسلم صهيب، و بينما هو مهاجر إلى المدينة، بعشر بعير تحمل متاعه و أمواله، جاءت قريش و قالت له:" إلى أين يا صهيب، جئتنا صعلوكا فزاد مالك بيننا، أتريد أن تخرج هكذا؟" قال :" فماذا تريدون؟" قالوا:" إن أردت الهجرة فاترك مالك" قال " أرأيتم إن تركت لكم مالي أتتركونني أهاجر" قالوا" نعم"، و هم يعتقدون أنه لن يفعل ذلك" فقال: " خذوا مالي" ، فقالوا" و الناقة التي تركبها"، قال" خذوا الناقة"، قالوا" و العباءة التي تلبسها؟"، قال " خذوا العباءة"، فخرج بجلبابه، فعلم النبي بخبره فأسرع ﷺ لمقابلته على طريق الهجرة، وقال " ربح البيع أبا يحيى" فنزل قوله تعالى"**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ "** البقرة:207.

هو درس من صهيب في التضحية بالمال...

النموذج الثالث:

عمر بن الخطاب: دخل عمر بن الخطاب على بيته، فأخذ قوسه و سيفه و سهامه، ثم ذهب عند الكعبة فطاف بها سبعا، ثم وقف وسط الكعبة أمام قريش و صلى ركعتين، ثم اتجه نحو كل مجموعة من قريش تجلس بالقرب من الكعبة، و قال لهم :" يا معشر قريش، من أراد أن تثكله أمه، و ييتم ولده، و ترمل زوجته، فليلقني خلف هذا الوادي غدا بعد صلاة الفجر فإني مهاجر" يقولون فما تبعه أحد غير عشرين من ضعفاء و فقراء المسلمين، و اثنين من أصحابه أحدهما عياش بن أبي ربيعة، و الآخر هشام بن العاص، و بينما هم يقصدون المدينة، فإذا بأبي جهل يلحق بهم ليعيد عياش، فقال" يا عياش أمك أقسمت أنها لن تأكل و لن تشرب حتى تعود، و أنها لن تستحم حتى تعود"، فاهتز عياش، فقال له عمر" اثبت يا عياش" فقال " يا عمر أمي"، فقال" يا عياش لو عدت سيفتنوك عن دينك" فقال " يا عمر لا أستطيع، أمي" فقال " يا عياش إن لم تستحم اليوم فسيملأ القمل رأسها فتستحم، و إن لم تشرب اليوم فسيزداد عطشها حتى تشرب"، فقال " يا عمر لا أستطيع"، فقال عمر" إن أبيت إلا العودة، فخذ ناقتي حتى تتذكرني بها، و لعلك يوما تعود بها إلينا" فما أن عاد عياش، حتى أخذه أبو جهل فقيده وحبسه، فظل محبوسا في مكة سنتين، حتى نزل قول الله تعالى**:" قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ "** الزمر:53

فكتبها عمر في ورقة و أرسلها إلى عياش في مكة، فوصلت إلى عياش فقرأها، فبكى، يقول" فنظرت فإذا بناقة عمر أمامي، فركبتها و هاجرت إلى المدينة، و أسلمت بين يدي رسول الله ﷺ .

الدروس المستفادة

1- التضحية بالنفس والمال من أجل الرسالة

2- تجربة الحبيب ﷺ ليست تجربة معجزة، بل تجربة بشرية يستطيع أن يقتدي بها كل إنسان.

3- لو مد الحبيب ﷺ يده إليك كما مدها للأنصار لتبايعه فهل تبايعه؟



غار ثور : هجرة الرسول ﷺ

بعد أن هاجر جميع الصحابة إلى المدينة وبقي الحبيب ﷺ و أبو بكر الصديق و عائلتهما، احتارت قريش بين ثلاث أمور و هي:

1- طرده ﷺ من مكة : حينها نبههم أبو جهل أنه سوف ينشر رسالته في مكان أخر

2- ربطه ﷺ بالحديد : وقد يأتي أهله من بني هاشم ليفكوا أسره

3- قتل الحبيب ﷺ : لتفادي خروجه من مكة و إقامة دولة و مجتمع وفق ما يدعو إليه .

فاجتمعت كلمة قريش في دار الندوة لتقرر قتل الحبيب ﷺ، فنزل جبريل إليه ليخبره بأن الله يقول له أن يهاجر ليلاً لأن قريش اتفقت على قتله.
كيف سيقتلونه ؟ قررت قريش أن تجمع من كل قبيلة شابا قويا و يضربون محمدا ضربة واحدة بحيث لا يستطيع بنو هاشم الأخذ بثأره. بعد أن أخبر جبريل الحبيب ﷺ، ذهب إلى أبي بكر ليخبره فقال له: " يا رسول الله الصحبة " قال : " نعم" فبكى أبو بكر الصديق من شدة الفرح.

لكن الحبيب ﷺ أخبر عليا قبل خروجه ليعيد الأمانات إلى أهلها و لينام على فراشه.

فداء علي للحبيب ...وأنت؟

علي كان صغيراً في سن 23 سنة و لم يقل لا

أداء الأمانات

يا من يضيع الأمانات انظروا إلى الحبيب ﷺ و هو يخاطر بحياته من أجل الأمانات!!

فالحبيب ﷺ يكلم عليا عنها و قريش و شباب القبائل قد اجتمعوا أمام بيت الحبيب ﷺ لقتله

لكن الله ينصر رسوله ﷺ فيأخذ الحبيب حفنة من التراب و ينثرها فوقهم و هو يقرأ : **" وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ "** يس:9.

تخطيط الحبيب ﷺ

أول شيء قام به النبي ﷺ أنه لم يتجه إلى المدينة شمالاً بل اتجه إلى الجبل جنوباً.

أما الطريق في الجبل فلا يوجد بها إلا مسلك واحد، و كأنه عمل للحبيب ﷺ، و هذا الطريق يؤدي إلى فتحة و هذه الفتحة تأتي من بعدها الهجرة.

و كأنها فتحة أمل...

و يصعد الحبيب ﷺ إلى الجبل، و هو ينظر إلى مكة و يقول : **" الله يعلم أنك أحب البلاد إلى قلبي، و لولا أن قومك أخرجوني ما خرجت أبداً"**

لكن المسافة طويلة، فلماذا لم يؤيد بالبراق كما كان في الإسراء و المعراج؟



لأن الله أراد أن تكون تجربة بشرية...

ساعتان و نصف هو الوقت من مكة إلى غار ثور...

كم عمرك يا رسول الله ﷺ ؟؟
ثلاثة و خمسون سنة و عمر أبي بكر الصديق واحد و خمسون سنة.

و يبكي الحبيب على مكة فتنزل سورة القصص :

" وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ(20) فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(21) وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاء مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاء السَّبِيلِ(22) وَ لَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ(23) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (24) فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (25)" القصص : 20-25

الحبيب ﷺ لم يكن يعرف أن هناك غار، فلماذا لم يخبره جبريل؟

من أجل أن يفكر و يخطط ثم تأتي
الرعاية و النصر من عند الله

فكيف كان شعور سيدنا علي رضي الله عنه حين قضى ليلة كاملة في فراش النبي ﷺ ؟؟ يقول كرم الله وجهه : " كانت أهدأ ليلة نمتها في حياتي"

الرسول ﷺ ضحى بأحب الناس إلى قلبه بعلي
و قبل ذلك بابنته رقية في هجرة الحبشة

من يعرف الطريق و يعرف مكان الحبيب ﷺ و أبي بكر و تؤتمن على السر ؟؟
إنها امرأة...أسماء بنت أبي بكر الصديق...
ذلك أن أسماء امرأة حامل في سبعة شهور و لن يشكوا فيها...

الوضع في مكة

علمت مكة أن الحبيب ﷺ ليس موجودا في مكة، فيتوجه أبو جهل إلى أسماء سائلا : أين أبوك ؟
فقالت: لا أدري
فقال:أين أبوك ؟
فقالت: لا أدري
فقال:أين أبوك ؟
فقالت: لا أدري
فضربها و قال: لها أين أبوك؟
فقالت: لا أدري

ففكرت قريش أن الحبيب ﷺ هاجر إلى المدينة. فقرروا الذهاب إلى طريق الشمال ليبحثوا عنه من أجل أن يقتلوه.

سؤال : لماذا صعد الرسول ﷺ الجبل كله ؟

ليعلمنا الأخذ بالأسباب (الإتقان)
و التوكل على الله

سؤال آخر : لماذا يبدأ تاريخ الإسلام بتاريخ الهجرة و ليس بولادة الحبيب ﷺ أو فتح مكة ؟

لأن أعظم يوم في تاريخ الأمم،
عندما ينتصرون بعد ثباتهم على الشدائد والمحن

لنرى الآن عناصر تخطيط الرسول ﷺ

1- ينام علي على فراشه ﷺ حتى يكسب وقتا و يضل قريشا عنه
2- يذهب إلى أبي بكر وقت الظهيرة لإخباره بالموضوع
3- يغادر ملثما
4- يخبر أبا بكر بأن يخرج أهله قبل التحدث إليه بسر الهجرة احتياطا
5- خرج ﷺ من خلف البيت
6- اتجه إلى الجنوب و ليس إلى الشمال
7- وزع ﷺ الأدوار : من يدلهم على الطريق، و من يخفي آثار السير، و من يخبرهم بأخبار قريش، و من يجلب لهم الطعام.

كيف استطاعت أسماء و هي حامل أن تصعد الجبل مرتين في ثلاثة أيام ؟
ببساطة...

لأنها لديها رسالة

في الطريق إلى الغار....

إن الصعود إلى الجبل مهمة صعبة و لا يوجد إلا طريق واحد يقود إلى الغار. وهذا الأخير عبارة عن فتحة صغيرة عند دخوله يوجد على شكل صخور مركبة بعضها على بعض وفيه فتحة من الجهة المقابلة، و كأن الله خلق هذا الجبل ليعده لدخول حبيبه ﷺ .لكن قريشا، مع كل هذه الاحتياطات، عرفت مكان النبي ﷺ، و صعدت الجبل، و كأن الله يتحداهم،

الذي أعماهم أمام بيت رسول الله ﷺ من أجل الأمانة، هو من أعماهم أمام الغار من أجل الرسالة، لأنه هو من يتحكم بالعقول و العيون وكل شيء

يقول سيدنا أبو بكر الصديق للنبي ﷺ بصوت خفي : " لو رأى أحدهم أسفل قدميه لرآنا" فيجيبه الحبيب ﷺ بكل ثقة : **" يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما "**

" إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " التوبة : 40

و انظر إلى حب أبي بكر للحبيب ﷺ....



ينام النبي ﷺ على رجل أبي بكر، فيلذغ عقرب أبا بكر، فيتألم و لا يصرخ حتى تدمع عينه، و تسقط الدمعة على خد الرسول ﷺ فيقوم و يسأله : "مالك يا أبا بكر؟" قال : " لذغتني عقرب يا رسول الله" فيقول ﷺ: " ولم لم توقظني؟" قال " أردت لك النوم أما أنا فأصبر"

و بعدها ينزل الحبيب ﷺ من الجبل و يتجه شمالاً في طريق لا تمر منه القوافل إلا من نقطة تقاطع، فرآهم أحدهم و أراد إخبار قريش، فتصدى له سراقة بن مالك، و أخذ منه المعلومات و انطلق يبحث عنهم لأن قريشا رصدت مائة ناقة لمن يأتي بمحمد ﷺ حيا أو ميتا.

و خلال الطريق كان الرسول ﷺ يقرأ القرآن و أبو بكر رضي الله عنه يحيط به من كل الجوانب، فيسأله الرسول ﷺ : "أتخاف علي يا أبا بكر ؟ " قال : "نعم يا رسول الله" قال ﷺ : " أتموت فدائي؟" قال : " نعم ، إذا مت فأنا رجل أما إذا مت أنت فأنت أمة"

و لحق بهم سراقة، فرفع الحبيب ﷺ يديه إلى السماء و قال: **" اللهم اكفنيهم بما شئت و كيف شئت إنك على كل شيء قدير"** ، فوقع سراقة من فرسه، فركبه مرة أخرى، فقال الحبيب ﷺ: **"اللهم اكفنيهم بما شئت و كيف شئت إنك على كل شيء قدير"** ، فوقع سراقة من فرسه مرة أخرى، فركبه مرة أخرى، فقال ﷺ: **" اللهم اكفنيهم بما شئت و كيف شئت إنك على كل شيء قدير"** ، فقال سراقة : "فعرفت أن الرجل ممنوع"، فقلت : "يا محمد أعطني الأمان" قال ﷺ: "أعطيتك"

فقال: " كنت سأحصل على مائة ناقة فاعطني شيئا " ، فقال ﷺ: " أعطيك سواري كسرى "قال : " كسرى من ملك الفرس ؟؟" قال ﷺ: "نعم" قال: "فاكتب لي كتابا " فكتب له الحبيب ﷺ .
و أثناء خلافة رضي الله عنه تُفتح فارس و يغنم المسلمون سواري كسرى، و يصعد عمر على المنبر و هو يقول : أين سراقة ؟ فجاء و هو رجل عجوز، فقال له عمر : "وعدك رسول الله بسواري كسرى، البسهما ليصدق الناس" فبكى الجميع و بكى سراقة و قالوا : صدق رسول الله .

الدروس المستفادة

1- إن الله لا يضيع عمل أحد منكم
2- الإصرار على الرسالة
3- التوكل على الله
4- عش للإسلام كما عاش رسول الله ﷺ و امش على خطى نبيك ﷺ



طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

دروس المرحلة المكية

استغرقت المرحلة المكية ثلاثة عشر سنة، ابتدأت من نزول الوحي حتى هجرة الرسول ﷺ، و يمكن تسميتها ب"**قصة التحدي و الإصرار و الثبات على حمل الرسالة في سبيل الحق**" أو "**ثبات الحق في مواجهة أصحاب المصالح الشخصية أو الباطل** ".

ابتدأت هذه المرحلة و عمر النبي ﷺ أربعون سنة، و فيها تكون جيل ناجح في الحياة تربويا و خلقيا حمل أعباء الرسالة على الأرض، و بعد ثلاثة سنوات من الدعوة السرية جاء الأمر لرسول الله ﷺ ليجهر بالدعوة و قد بلغ عدد المسلمين حينها ثلاثمائة مسلم.

- **من السنة الثالثة إلى السادسة** : اشتد الإيذاء و التعذيب و القتل لأصحاب رسول الله ﷺ فأنشأ عليه السلام جامعة للمسلمين بدار الأرقم بن أبي الأرقم وكانت بمثابة تدريب فكري و روحاني و إيماني و أخلاقي و سياسي لتخريج نماذج مميزة في كل هذه المجالات. و في نفس فترة الإيذاء أسلم عمر و حمزة فانتقل الإسلام نقلة جديدة بهذين الرجلين، و حين أدركت قريش أن سياسة الإيذاء و التعذيب لم تعد تجدي لجأت إلى سياسة المفاوضات و الإغراء بالمكاسب المادية و المساومات الدنيوية.

- **من السنة السادسة إلى التاسعة** : حوصر النبي ﷺ و من معه من طرف قريش و كان في ذلك اختبار لمدى ثبات الصحابة على المبدأ.

- **من السنة التاسعة إلى الحادي عشرة** : توفي أبو طالب و خديجة رضي الله عنها، فأدرك الرسول ﷺ أن مكة لم تعد تنفع كوطن ، فبدأ ﷺ يبحث عن الحماية و النصرة خارج مكة. فقصد ﷺ الطائف و لم تجره و بذل 26 محاولة لتنصره القبائل دون نتيجة.

- **في السنة 11** : آمن الأنصار بالرسالة المحمدية.

- **في السنة 12** : تمت مبايعة الرسول ﷺ بيعة العقبة الكبرى التي بمقتضاها تم الاتفاق على الهجرة إلى أرض الأنصار على أن يكون الرسول ﷺ هو الحاكم المسؤول عن أمور المدينة و يصبح بالتالي للإسلام وطن.

- **في السنة 13** : هاجر النبي ﷺ إلى المدينة.

دروس المرحلة المكية و إسقاطها على واقعنا

1- آمن الرسول ﷺ برسالة عظيمة و هي الإصلاح في الأرض و تبعه الصحابة على ذلك فحملوها لتملأ قلوبهم ويعيشوا لأجلها.
واقعيا : هل يمكن لفكرة النهضة أن تملأ قلوبنا وعقولنا لنعيش لأجلها؟

2- الصبر والثبات و الإصرار و التضحية بالدم و العرق و الموت قصة دائمة لكل صاحب رسالة، وسمية و بلال خير دليل على ذلك.

واقعيا: لمن يدعي المشي على خطى الحبيب ﷺ نسأل : هل أنت مستعد للتضحية بالغالي والنفيس لتحقيق نهضة بلادك ؟

3 ـ التدريب والعلم فكرة أساسية لإعداد جيل يريد الإصلاح و النهضة (دار الأرقم بن أبي الأرقم)
واقعيا: لابد من تدريب صناع الحياة و غيرهم تدريبا متكاملا لتحقيق نهضة بلادهم
.



4 ـ التخطيط الذكي و المرن و المبادر للنبي ﷺ : فالوحي لا يخطط بل يبعث المنهج و تأتي المعجزات لتثبت و ترفع الروح المعنوية دون تغيير الأحداث لأن هذه الأخيرة لا تتغير إلا بالتخطيط و الصبر.
واقعيا: لا بد من التفكير سويا في كيفية تحقيق نهضة بلادنا مع اليقين بأن الله سيبعث آيات تثبتنا، ما دام المنهج موجودا (القرآن الكريم).

5 ـ كان الرسول ﷺ يتعايش مع غير المسلمين، فلم يعش الإسلام منعزلا قط .
واقعيا : لن تتحقق النهضة دون تعايش مع العالم بشرقه و غربه.

6 ـ لا بد من ضبط النفس مهما كان الظلم قاسيا، فلم نسمع بصحابي كسر أصناما أو قتل أبا جهل أو أحرق مكان اجتماع قريش...فلا بد من الحفاظ على المجتمع و عدم تدميره إن أردنا طريق الأنبياء .
واقعيا : لا للعنف ضد بلدي.

7 ـ دور المرأة مهم جدا في الإسلام، و أحيانا يفوق دور الرجل، فالتي ائتمنت على مكان الغار امرأة و أول من آمن بالرسول ﷺ امرأة و سبب إسلام عمر رضي الله عنه امرأة ...
واقعيا : لا بد من تفعيل المرأة و إعطائها كامل حقها الذي منحها إياه الإسلام نفسه.

8 ـ التجربة النبوية ليست خالية من الأخطاء في التخطيط فقد عرف المشركون مكان الغار و عرف سراقة كيف يصل إلى الرسول ﷺ .
واقعيا: لا يجب أن نكون مثاليين، فطريق النهضة لابد و أن تتخلله أخطاء نتعلم منها، فالتجارب الفاشلة هي التي تقوي ظهرك لتصنع النجاح.

9 ـ الأمل واضح و جلي في السيرة النبوية، فقد دام الظلام 13 سنة لتشرق شمس الأمل بعدها . ففي حياة الرسول ﷺ غاران ضيقان لكنهما صنعا نصرا حاسما :
ـ غار حراء : خرجت منه الرسالة .
ـ غار ثور : خرج منه المنشأ و الوطن .
واقعيا: لا لليأس مهما ضاقت و كربت فإن بعد العسر يسرا .

10 ـ التوكل على الله : " ما ظنك باثنين الله ثالثهما "
واقعيا: نجد أن الذين يخططون لا يجيدون التوكل على الله، والمسلمون يتوكلون على الله دون تخطيط بخلاف النبي ﷺ الذي مزج الاثنين معا (تخطيط + توكل على الله). فالتوكل على الله عبادة مع التخطيط واتخاذ الأسباب. فالطاقة الروحية هي التي تصنع النهضة لذلك رفعنا شعار : " تحقيق التنمية بالإيمان"

11 ـ لقد صاحبتنا طوال المرحلة المكية أخلاق أساسية و هي : الصدق و الأمانة و الإتقان و الوفاء لأصحاب الفضل .
واقعيا: لابد لكل شاب يرغب في تحقيق النهضة أن يتأسى بأخلاق النبي ﷺ و يمشي على خطاه.

12 ـ تتضمن المرحلة المكية مبدأ هاما و هو أن سر رفض قريش للرسالة ليس عدم الاقتناع بها و إنما هي المصالح الشخصية و المال و المنصب والجاه .
واقعيا : احذر أن تضع مصالحك الشخصية في كفة والحق في كفة أخرى لتفضل مصالحك الذاتية .

النبي ﷺ يصل إلى المدينة

وصلت رحلة النبي ﷺ الآن إلى المدينة. و قد استغرقت المرحلة المدنية عشر سنوات ابتدأت من الهجرة إلى وفاة الحبيب ﷺ. و يمكن تسميتها ب "تأسيس الوطن" فلماذا استخدمت كلمة "وطن"؟

و نتساءل: هل لا زال في مكة مسلمون؟ نعم، لكن ظروفهم و مصالحهم منعتهم من الخروج إلى المدينة، و هناك أيضا من هم من غير المسلمين لكنهم يحبون الرسول ﷺ كبني هاشم و العباس.

سيخوض النبي ﷺ معارك طاحنة مع قريش فماذا سيكون موقف المسلمين و المتعاطفين مع الرسول ﷺ ؟ هل سيستخدمهم ﷺ في صراعه مع قريش في مكة؟ هل سيطالبهم بإحداث مناوشات و قلاقل داخل مكة؟ لم يأمر النبي ﷺ بذلك أبدا، فلماذا؟

لأنه يحترم قيم المجتمع التي يعيش عليها الناس و لأنه ﷺ يحترم حق المواطنة، فلم يحدث قط أن قام المسلمون القاطنون بمكة بأي عمل عسكري بل أكثر من ذلك، فقد طالبت قريش في غزوة بدر المسلمين الذين يسكنون مكة و كفار بني هاشم بالخروج معهم لقتال المسلمين، فماذا كان موقف الرسول ﷺ حينها ؟

لقد أمر أصحابه قائلا : " من لقي منكم العباس في المعركة فلا يقتله إنما خرج مكرها ".

فقد قدر ﷺ أنه مواطن بمكة و تفهم إرغام قريش له على قتال المسلمين ، و قد فعل الشيء نفسه مع يهود المدينة حيث جعل لهم حقوقا و واجبات كالمسلمين تماما، و لكن لماذا حارب النبي ﷺ اليهود؟ لأنهم لم يحترموا قيم المجتمع، حاربهم عندما غدروا و خانوا العهود، فلم تكن المسألة انتقاما أو عصبية أو كراهية.

احترام مفهوم المواطنة

إن مفهوم المواطنة الذي نسمع عنه منذ عشرين سنة سبق إليه الرسول ﷺ منذ 1400 سنة خلت.

واقعيا: على المسلمين القاطنين بالغرب أن يحترموا قيم مجتمعاتهم

.

وصل الحبيب ﷺ إلى بلدة تسمى " قباء " تبعد عن المسجد النبوي بعشر كيلومترات، و لم يدخل المدينة مباشرة، حيث أن أهل قباء استقبلوا النبي ﷺ بحفاوة كبيرة فأبى الرسول ﷺ إلا أن يمكث معهم أربعة أيام ريثما يعلم أهل المدينة بوصوله ﷺ و يستعدوا لذلك. و هكذا استغرقت الرحلة المكية أربعة عشر يوما : ثلاثة أيام في غار ثور و إحدى عشر يوما في الطريق حتى قباء. و كان أول شيء قام به الرسول ﷺ عندما وصل إلى قباء يوم الاثنين هو بناء أول مسجد في الإسلام، و قد أبى النبي ﷺ إلا أن يشارك بنفسه في بناء المسجد رغم تعب الرحلة و عنائها، و ذلك لنيل الأجر و الثواب.

و لم يكتف النبي ﷺ بوفائه للأشخاص بل كان وفيا ﷺ للأماكن أيضا، فكان يأتي يوما كل أسبوع لأداء ركعتين بمسجد قباء مشيا على الأقدام من المسجد النبوي و يقول : **" من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان له كأجر عمرة "** رواه ابن ماجة.

و قد نزل بهذا المسجد المبارك آية عظيمة **" لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ "** التوبة:108.

و يلحق بالرسول ﷺ إلى قباء رجل قطع خمسمائة كيلومتر مشيا على الأقدام بل جريا، لأنه لا يملك مالا و لا بعيرا : إنه علي ابن أبي طالب رضي الله عنه بعد أن أرجع الودائع، كان لا يدري ما حل برسول الله ﷺ و عمره آنذاك 23 سنة، فقطعت نعلاه و تورمت قدماه و أبى التوقف قبل الاطمئنان على رسول الله ﷺ، فأدرك الحبيب ﷺ مباشرة قبل مغادرته قباء متجها صوب المدينة. و حينما رآه الرسول ﷺ رق له قلبه رقة شديدة، فهو أول من نصره و عمره لا يتجاوز العاشرة حتى أن الناس ضحكوا حين مد يده للرسول ﷺ ليبايعه، و هو من نام بفراش الرسول ﷺ.



و لحق به أيضا الزبير بن العوام و عمره إحدى عشر سنة، فقد أدرك مدى تعب الرسول ﷺ و ما تكبده من مشاق و تعب أثناء رحلته فجلب له ثياب بيضاء جميلة يدخل بها على أهل المدينة ففرح الرسول ﷺ بقدومه و لبس الثياب هو و أبو بكر الصديق.

و كان أهل المدينة يترقبون وصول النبي ﷺ منذ خمسة أيام، يخرجون ضحى إلى مكان يدعى الحرى و يمكثون فيه حتى الظهيرة ثم يعودون، و دام ذلك أربعة أيام متتالية. و في اليوم الخامس و كان يوم جمعة، عادوا إلى نفس المكان لكنهم لم يمكثوا به طويلا ليعودوا ثانية لديارهم.

و كان ممن يرقب وصول الحبيب ﷺ للمدينة يهودي كان فوق نخلته، فرأى أربعة رجال قادمين (الرسول ﷺ و أبو بكر و علي و الزبير) فعرف أنه النبي ﷺ فراح يصيح بأعلى صوته :"يا معاشر العرب هذا جدكم (أي حظكم و نصيبكم الذي أنتم به فرحون) الذي تنتظرون جاء المدينة " فما إن نطقها حتى اهتزت المدينة.

و يحكي أنس بن مالك فيقول : " ارتجت المدينة فأسمع صوت التكبير يأتي من كل مكان، و أسمع صوت التهليل يأتي من كل مكان، أبواب البيوت تفتح و يخرج الرجال و النساء و الأطفال، تختلط الدموع مع الضحكات، فذلك أعظم يوم في تاريخ المدينة". و قال أيضا : "دخل النبي ﷺ المدينة يوم الاثنين فأضاء منها كل شيء و مات النبي بالمدينة يوم الاثنين فأظلم منها كل شيء ".

و توجه الجميع صوب رسول الله ﷺ و أغلبهم لا يعرفونه، فأمسك بعضهم بناقة أبي بكر الصديق معتقدين أنه النبي. فأدرك أبو بكر ذلك فخلع عباءته و ظلل بها على الرسول ﷺ ليدلهم على رسول الله ﷺ بكل أدب وأخلاق عالية. و بدأت أبيات الشعر تلقى على التو و الناس تردد :

طـــلع الـبدر علينا — من ثنية الـــوداع

وجـــب الشكر علينا — مـا دعـا للـــه داع

أيـــها المبعوث فينا — جئت بالأمر المطاع

جئت شرفت المدينة — مــرحبا يا خـير داع

و هكذا استقبلوا النبي ﷺ بالغناء و لم يستقبلوه بالقرآن و ما رفض النبي ذلك.

<u>الفن الجميل في خدمة النهضة</u>

رؤية الإسلام واسعة لا تضيق عند الفن الجميل الهادف الذي يؤيد الرسالة،

فهو ليس حراما ما دام يصنع النهضة و يخدمها.

و لقد ألفت هذه الأغنية فور وصول رسول الله ﷺ و الدليل على ذلك ذكر كلمة "ثنية الوداع" و هي المكان الذي دخل منه الرسول ﷺ و الكل لم يكن يعلم من أين سيأتي ﷺ.

و دخل ﷺ المدينة و الكل قد شد ناقة رسول الله ﷺ و يتمنى لو نزل عنده، و النبي ﷺ بذوقه العالي و حكمته الكبيرة لا يحب أن يغضب أحدا فقال : " دعوها فإنها مأمورة " و تسير الناقة إلى أن تقف مكان المسجد النبوي فظل النبي ﷺ فوق ظهرها فقامت و تحركت ثم عادت لمكانها فبركت فنزل الرسول ﷺ وقال : " هنا المقام ". و من حكمة الأقدار أن في المكان ذاته توجد ديار قبيلة بني النجار و هم أخوال أب رسول الله ﷺ، و كأن الرسول ﷺ ينبهنا إلى قيمة صلة الرحم و منزلتها الكبيرة عند الله تعالى.



و يلقي الرسول ﷺ أول خطاب للناس فيقول عليه أفضل الصلاة والسلام **:" أيها الناس أفشوا السلام و أطعموا الطعام و صلوا الأرحام و صلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام ".**

لقد كانت المدينة تعيش حالة حرب شنعاء بين الأوس و الخزرج، لذلك فالكراهية شديدة بين القبيلتين، كما أن هناك يهودا يعتنقون ديانة أخرى، إضافة إلى مسلمين فقراء كانوا أبناء عز و بذخ في مكة فأضحوا بالمدينة دون ملجأ و لا مأوى. فلنحلل الخطاب النبوي على ضوء هذه المعلومات فنقول :

ـ أيها الناس أفشوا السلام : كفى من الحرب.

ـ و أطعموا الطعام : المهاجرون يجب أن يجدوا قوت يومهم.

ـ و صلوا الأرحام : و يقصد ﷺ الأوس و الخزرج.

ـ و صلوا و الناس نيام : وفي ذلك إشارة لمدى احتياجهم للطاقة الروحية.

ـ تدخلوا الجنة بسلام : الجزاء الطيب لمن يقوم بكل ما سبق.

و هكذا نلاحظ أن الخطاب يضم كافة المجالات السياسية و الاجتماعية و الدينية و لا يقتصر على الدين فقط، لأن الرسول ﷺ لم يكن نبيا فقط بل كان رجل دولة و دين و حاكما سياسيا و مصلحا اجتماعيا و هذا ما لم يفهمه المستشرقون حين حاولوا حصر النبي ﷺ في مجال معين كالسياسيين و هو ﷺ أشمل من ذلك بكثير لأنه صاحب رسالة إصلاحية مكتملة.

و نلاحظ صفة أخرى تميز بها الخطاب النبوي و هو ثبات أخلاق النبي ﷺ فنفس الصفات التي وصفته بها خديجة رضي الله عنها حين نزل الوحي لأول مرة هي ذاتها التي دعا إليها أهل المدينة.

لقد اختار الرسول ﷺ كلاما مناسبا للمرحلة التي يعيشها أهل المدينة و في ذلك عبرة للدعاة و المصلحين حتى يغيروا خطابهم الديني و يكيفوه وفق متغيرات العصر

و أقام الحبيب ﷺ عند رجل يدعى أبو أيوب الأنصاري، فقد أخذ متاع رسول الله ﷺ حين كان يلقي خطبته و وضعه في بيته، فلما ألح الناس عليه في المقام عندهم سأل ﷺ عن متاعه فلما أخبره أبو أيوب الأنصاري عن حيازته له قال ﷺ : " الرجل مع متاعه " و كأنه استحسن مبادرة الأنصاري. و مكث نبي الله ﷺ عند أبي أيوب الأنصاري قرابة شهر.

ذوقيات الرسول و فن تعامله ﷺ

دخل ﷺ بيت أبي أيوب الأنصاري و هو منزل من دورين، فطلب أبو أيوب من الرسول ﷺ أن يقيم في الطابق العلوي و حين سأله النبي ﷺ عن السبب قال : " لا نقدر و لا نطيق أن تكون أقدامنا فوقك يا رسول الله " فاعتذر منه ﷺ بذوق راق لأنه سيزوره أناس كثر و يستحيي من أن يمروا على زوجة الأنصاري. فأقام ﷺ في الطابق السفلي و أهل الأنصاري لا يكادون يحدثون صوتا بأقدامهم حرصا على راحة النبي ﷺ ، و من فرط الحذر كسرت زوجة الأنصاري قلة ماء فانسكب أرضا و كاد يتسرب إلى أسفل فلم تجد غير لحاف لا يملكون غيره لتنشف به الماء مخافة أن يتأذى به رسول الله ﷺ.



أما الأكل فقد كانوا يشاركونه ﷺ حينا و يقدمونه له بمفرده حينا آخر حتى إذا فرغ من طعامه تتبعوا أثر أصابعه ﷺ ليتبركوا بها. و في إحدى الأيام عاد صحن الرسول ﷺ كما كان لم تمسسه أصابعه الشريفة فسأله أبو أيوب الأنصاري منزعجا : " لم لم تأكل يا رسول الله ؟ ألم يعجبك الطعام ؟ فقال ﷺ : " لا، و لكن الطعام فيه ثوم و أنا رجل أناجي ربي و يأتيني الملك فلا أحب أن أؤذيه برائحة فمي".

المجتمع المدني

تغيرت تركيبة المجتمع المدني بعد الهجرة، و أصبحت تشوبه مشاكل كثيرة لو تواجدت في مجتمع غيره لانهار :

- فهناك عنصر جديد لم يكن من قبل : و هم المهاجرون الذين تركوا أراضيهم و أموالهم و عزهم و جاههم ليصبحوا بدون مأوى و لا مال، غرباء يشعرون بالوحدة، فالإنسان العربي لا يطيق ترك بلده.

- كما أن طبيعة الوظائف بالمدينة مختلفة تماما عن مكة، لأن مكة بلد تجاري و المدينة تمتهن الزراعة التي تحتاج إلى سنين طويلة كي يتعلمها المهاجرون، مما سينتج عنه عدد لا يستهان به من البطالة.

- و قد أصبح عدد المهاجرين في تزايد مستمر مما ضيق مجال الزراعة ليخلق أزمة اقتصادية خانقة.

- اختلاف العادات الاجتماعية في المدينة عن مكة، فنساء المدينة مزارعات تشاركن أزواجهن في اتخاذ القرار، أما نساء مكة فيمكثن في بيوتهن، و أزواجهن التجار هم أصحاب القرار، فبدا التأثر واضحا بين الفئتين مما سبب في نشوب خلافات داخل البيوت.

- و قد تدهورت الحالة الصحية داخل المدينة حيث انتشرت الأوبئة و الملاريا و بدأ الصحابة يمرضون حتى خشي على أبي بكر الصديق من الموت لدرجة أن الرسول ﷺ بدأ يدعو قائلا : **" اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، وصححها ، وبارك لنا في صاعها ومدها ، وانقل حماها فاجعلها بالجحفة "**رواه البخاري.

- و يطفو صراع بين الأوس و الخزرج حول مآل الغلبة و السيادة داخل المجتمع الجديد، كما أن هناك مشركين بالمدينة لا زالوا على الكفر. و قد ظهرت فئة جديدة من المنافقين أيقنت أن الغلبة لهذا الدين الجديد فادعت الإسلام و هي تبطن المكيدة و العداوة للنبي ﷺ و على رأسها رجل يدعى عبد الله بن أبي سلول الذي كان على وشك نيل الملك في المدينة لولا قدوم النبي ﷺ في نفس اليوم الذي كان سيتولى فيه قيادة المدينة، فالتف الناس حول الرسول ﷺ و تركوه مما خلف لديه كراهية شديدة للمسلمين .

- تسيطر على المال والاقتصاد قبائل من اليهود كانوا يملكون تجارة الحبوب و الخمر و الثياب و الآبار، و كانوا يعتبرون أنفسهم ذوي امتياز بصفتهم أصحاب ديانة سماوية تسمو عن المعتقدات الوثنية، و ها قد أصبح للعرب ديانة سماوية أخرى بعد أن كانوا يعتقدون أن نبي آخر الزمان سيكون منهم مما خلف حالة من الغضب و الكره الشديدين لنبي الله و أتباعه .

و قد اتخذ الحبيب ﷺ إجراءات عدة حول من خلالها هذا المجتمع المتناقض إلى نسيج موحد في ظرف لا يتجاوز السنتين، و ذلك عن طريق ثلاثة أمور أساسية :

1 ـ بناء المسجد لتحقيق الانسجام بين المسلمين بمختلف انتماءاتهم

فتسود المحبة و الأخوة في الله و تزول الطبقات الاجتماعية، فقد أصبح المسجد مدرسة و مجالا للشورى و منبرا إعلاميا للتواصل، و مما زاد في تلاحم المسلمين ورود عدة أحاديث حول فضل المسجد **" ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده "**رواه مسلم. و هذا دليل آخر على مدى مواكبة الدعوة للظرفية التي يعيشها المسلمون، فأحاديث الأخوة و فضل المساجد لم ترد إلا في هذا الظرف الذي يحتاج فيه المسلمون لأن يصبحوا كيانا واحدا في مكان واحد يربطهم بالله تعالى ويبعد عنه الاعتبارات الدنيوية الواهية.



دور المساجد في المجتمع المسلم

حين أصبحت بلادنا تقفل أبواب مساجدها بعد الصلوات خوفا من تفشي التطرف لم يزد ذلك إلا استفحالا للأمر، فعلى المساجد و العلماء أن يقوموا بدورهم الصحيح في التوعية و نشر الفهم الصحيح للدين ليعود للمسجد دوره في إنشاء جيل النهضة.

لقد بنى الحبيب ﷺ المسجد بنفسه حتى امتلأ جسمه و شعره بالتراب وأبى ﷺ إلا أن يساعد المسلمين في تأسيسه، و كان عمار بن ياسر أكثر الناس اجتهادا و همة، فكان ﷺ يرفع روحه المعنوية قائلا : **" للناس أجر و لعمار بن ياسر أجران ".**

و قد كان عملهم ممزوجا بالتشجيع و الإيجابية حتى أن الصحابة كانوا ينشدون :

لئن قعدنا والرسول يعمل — لهذا فينا العمل المضلل

فيجيبهم رسولنا الكريم : **اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة — فارحم الأنصار والمهاجرة**

2 ـ المؤاخاة بين الأنصار و المهاجرين

فكان الحبيب ﷺ يؤاخي بينهم بحيث يسكن مسلما قديما في بيت أنصاري جديد حتى يلتحم المجتمع بعضه ببعض. و هنا تبدأ أحاديث الأخوة في الله.
و مرة أخرى يواكب الخطاب الديني الظرفية لتصبح الضرورة ملحة لتجديده حتى يساير أحداث و مستجدات العصر.
و أثناء هذه المرحلة العصيبة من حياة المسلمين لم يخل الأمر من بعض الطرائف التي كان يخلقها نبي الرحمة عليه أفضل الصلاة و السلام و ذلك بهدف التخفيف عن المسلمين و رفع روحهم المعنوية، فهذا صهيب من المهاجرين و قد مرض فأصاب عينه اليسرى رمد، فوجده النبي ﷺ في الطريق مهموما و يأكل ثمرة فسأله ﷺ مداعبا :" ماهذا يا صهيب؟ أتأكل التمر و في عينيك رمد؟" فأدرك صهيب مقصد الرسول ﷺ فأجابه بنفس روح المرح : " لا تخف يا رسول الله إنما آكله على شقه السليم ".

و في طرفة أخرى، و خلال السنتين العصيبتين كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يأكل التمر مع الرسول ﷺ و يضع النواة أمام النبي ﷺ و الرسول يتبسم و لا يتكلم، فلما كثرت كمية النواة أمام الرسول ﷺ سأله علي مداعبا : "أكلت كل هذا التمر يا رسول الله ؟ " فأجابه ﷺ بروحه العذبة قائلا : " وأنت ما شاء الله يا علي تأكل التمر بنواه ؟ ".

**انظر إلى الابتسامة الهادفة التي تقوي الأواصر الأخوية بين الناس
رغم الألم و التعب و لنا في رسول الله أسوة حسنة**

3 ـ وضع دستور للمدينة

و هو أول دستور في حياة البشرية وضعه ﷺ ليحدد من خلاله الحقوق و الواجبات و يحافظ على الأمن الداخلي و الخارجي للمدينة فيؤسس بذلك دعائم الوطن.

و يتضمن الدستور عدة بنود نذكر أهمها :
البند الأول :المسلمون من قريش و يثرب (الأوس و الخزرج) و من تبعهم فلحق بهم أمة واحدة من دون الناس.

لا طائفية و لا عنصرية



البند الثاني : يهود بني عوف و يهود الأوس و غيرهم من يهود المدينة أمة من المؤمنين إلا من ظلم و أثم.

غير المسلمين ليسوا مواطنين من الدرجة الثانية
فمفهوم و حقوق المواطنة مكفولة منذ 1400 سنة خلت

البند الثالث : إن على اليهود نفقتهم و على المسلمين نفقتهم و إن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، و إن بينهم النصح و البر دون الإثم، و إن لليهود دينهم و للمسلمين دينهم.

حرية الاعتقاد.
الوطن مكفول للجميع وليس للمسلمين فقط

البند الرابع : لا يباح لأحد يخرج من المدينة لقتال أو يؤوي إلى المدينة عدوا إلا بإذن من محمد رسول الله.

تم وضع قانون عام للدولة لضمان الأمن الداخلي.

أجمل خاصية في هذا الدستور أنه يجمع ولا يفرق.

حرية الاعتقاد مكفولة للجميع.

ديموقراطية، شورى، دستور : هذه هي دولة المسلمين.

و قد أحدث الرسول ﷺ شيئا خطيرا لم نلق له بالا من قبل و هو أنه غير اسم البلد من "يثرب" إلى "المدينة " فلو بقي الاسم القديم فإن ذلك يعني أنه للأوس و الخزرج، و لو سماها " أرض الهجرة " فيعني أنها للمهاجرين، و لو سماها " الدولة المحمدية أو القرآنية " لدل ذلك أنها للمسلمين فقط، لذلك سماها " المدينة " كاسم جامع لكل الناس.

و النتيجة أنه في سنتين التحم المجتمع بعضه ببعض، حتى أن اليهود كانوا يتحدثون عن الإسلام و لم يتحدثوا قط عن الصحيفة لأنها كانت تضمن حقوقا لم تكن لهم من ذي قبل، و حين تجاوزوا النظام العام حوربوا .

الدروس المستفادة

1 ـ التعايش مع المجتمع مهما كانت ديانته و في ذلك تحقيق لمعنى "الوطن"

2 ـ هل نتعاهد على العيش للرسالة و تحقيق النهضة؟

3 ـ لو زارك الرسول ﷺ فكيف سيكون شكل بيتك وسلوكك؟

رتب بيتك و كأن الرسول سيزروك لتنال ثواب أبي أيوب الأنصاري يوم القيامة...



بدر ..معركة السماء وتخطيط الأرض

أسباب الحرب

فنتساءل أولا : لماذا الحرب يا رسول الله ؟ هل رسول الله ﷺ كان متعطشا للدماء ؟ لا و الدليل على ذلك أن مجمل القتلى في معارك الحبيب ﷺ أربع مائة .

لنلقي نظرة على المدينة...

لقد بدأ فيها حب نشر الخير...و إليك هذه القصة...

جاء أحد المهاجرين جائعا ،فقال الرسول ﷺ : من يستضيفه؟ فقال شخص من الأنصار: أنا أستضيفه يا رسول الله. و لكن هذا الأنصاري لم يكن يملك إلا قوته و قوت أسرته، فماذا فعل؟ طلب من زوجته أن تنيم أطفالها بدون عشاء، و أن تسمع الضيف صوت الأواني و كأنهما يأكلان،ثم تضع للضيف الطعام! فينزل قول الله تعالى عند الفجر:**" وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ"** الحشر :9

انظروا إلى قمة الإيثار
لقد أرادوها سرا و أرادها الله سبحانه جهرا
أرادوها خالصة لوجه الله و أراد الله أن يتركها عبرة

و هذا عثمان بن عفان رضي الله عنه يشتري بئرا من اليهود و يقدمه هدية للمسلمين...

ثم وقعت أحداث كثيرة:

- ظهرت مجموعة القراء وهم مجموعة من الشباب يصل عددهم إلى 70 يعلمون الناس في النهار المهن و في الليل القرآن، و قد استشهدوا كلهم في يوم واحد (معركة اليمامة) .

لقد رزقهم الله الشهادة لما فعلوه من أجل الإسلام

- **الفرائض:** تغيير فرض الصلاة من ركعتين خمس مرات إلى ركعتين، أربع ركعات، أربع ركعات، ثلاث ركعات، أربع ركعات. كما نزل فرض الصيام، الحجاب و الزكاة .

- **الأفكار:**

1- **المنبر:** حيث طلبت إحدى الصحابيات من الرسول ﷺ أن يصنع منبرا و يتحدث من فوقه حتىيرى الناس و يراه الناس : **درس في الإعلام**

2- **الأذان:**حيث أن أحد الصحابة ومن فرط تفكيره بكيفية الصلاة رأى في منامه صيغة الأذان فأخبر الرسولﷺ ، فاختار ﷺ بلالا ليؤذن لما يملكه من صوت جميل .

كل يقوم بالدور المناسب له

و انظر إلى حال الرسول ﷺ ، فقد كان شديد الفقر فلا توقد في بيته نار لثلاثة أشهر. وكان يعيش على التمر و الماء لدرجة أنه كان يربط على بطنه حجرين من شدة الجوع. وفي مرة أخاطت له إحدى الصحابيات عباءة ففرح بها وفي

أول يوم يخرج بها قال له أحد الصحابة :ما أجمل هده العباءة يا رسول الله أتعطينها ؟ قال: "نعم" و ألبسه إياها.

فتعجب الصحابة منه فقالوا له :ألا تستحي أن تأخذ من رسول الله ﷺ ، فقال: "و الله ما أخذتها من أجل البرد ولكن أحب أن تكون كفنا لي عندما أموت ".



أما عن الوضع خارج المدينة:

كانت قريش زعيمة العرب فكانت القبائل تهابها، و كان الرسول ﷺ يقول لكفار قريش: "**خلوا بيني و بين الناس**" حتى أنه في غزوة بدر قال عمه العباس لقريش، و كان لا يزال كافرا : "يا معشر قريش خلوا بين الرجل و بين الناس فان أبت العرب ارتحتم, و إن انتصر فعزة لكم". قال له أبو جهل أ جننت؟ و أموالنا و تجارتنا؟

الأصل في هده الحرب أنها قامت
من أجل أن يبلغ الرسول الرسالة...

...و احذر من أن تفعل كما فعل أبو جهل :
وازن بين الحق و مصلحته الشخصية
و رجح مصلحته الشخصية

مبادرة الرسول

لما علم الرسول ﷺ لم يتقاعس و قال سأصلي و أدعو الله أن ينصر المسلمين. بل دعا و أخذ بالأسباب الدنيوية:

- **الإحصاء**: أحصى النبي ﷺ كل من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله، و كل من هو قادر على حمل السلاح و كل من يعرف القراءة و الكتابة.

انظر إلى حبيبك ﷺ...يعرف أن النصر لا يأتي فقط بالقوة بل بالعلم أبضا

- **جهاز المخابرات** :يأمر الرسول ﷺ سعيدا بن زيد و طلحة بن عبد الله رضي الله عنهما أن يرصدا له أي خبر بين مكة و المدينة، و أن يجهزا القبائل للحياد.
- **السرايا**:مجموعة من الصحابة يجوبون الطريق بين مكة و المدينة، يتدربون استعدادا للقتال. و من بين السرايا سرية عبد الله بن جحش، حيث بعثه الرسول ﷺ و معه ثمانية من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار واحد. و كان قد كتب له كتابا و أمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين فينظر فيه فيمضي لما أمره به، و أن لا يستكره من أصحابه أحدا. فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب فنظر فيه، فإذا فيه:" إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تبلغ "نخلة" بين مكة و الطائف، فترصد بها قريشا و تعلم لنا من أخبارهم". فلما نظر عبد الله بن جحش في الكتاب قال : "سمعا و طاعة"، و قال لأصحابه : " إن رسول الله ﷺ قد أمرني أن أمضي إلى "نخلة" أرصد بها قريشا، حتى أتيه منهم بخبر، و قد نهاني أن أستكره واحدا منكم، فمن كان منكم يريد الشهادة و يرغب فيها فلينطلق و من كره ذلك فليرجع، أما أنا فماض لأمر رسول الله ﷺ". فمضى و مضى معه أصحابه و لم يتخلف منهم أحد. و سلك طريق الحجاز حتى إذا كان بمعدن فوق "الفرع" يقال له "بحران"، أضل سعد بن أبي وقاص و عتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يتعقبانه، فتخلفا عليه في طلبه. و مضى عبد الله بن جحش و بقية أصحابه حتى نزل بنخلة فمرت به عير لقريش تحمل زبيبا و أدما، و تجارة من تجارة قريش، فيها عمرو بن الحضرمي. فقرروا أن يأخذوا أسيرين كما أخذ منهم، و كان ذلك بالشهر الحرام، فأرادوا أن يشتتوا انتباههم فرمى أحدهم بسهم فأصاب عمرو بن الحضرمي فقتله، و أسروا اثنين و أخذوا بعضا من البعير و ذهبوا إلى رسول الله ﷺ في المدينة، فغضب الحبيب ﷺ و قال لهم: ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام. و قالت قريش:لقد استحل محمد و أصحابه الشهر الحرام، و سفكوا فيه الدم و أخذوا فيه الأموال و أسروا فيه الرجال. فنزلت الآية: **"يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أُوْلَـئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّهِ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ".** البقرة 216-217

حيث اعترف القرآن بخطأ المسلمين بقتلهم في الشهر الحرام باعتبارها كبيرة من الكبائر....

القرآن لا يفضل أحدا على أحد، و لا يحابي أحدا...
لأنه مع الحق

...و لكنه بين أيضا أن ما قام به كفار قريش من صد عن سبيل الله، و كفر به، و إخراج أهل المسجد الحرام من ديارهم و فتنهم أكبر عند الله.

بدء الحرب

تعد غزوة بدر أول المعارك الفاصلة في الإسلام، و بداية المواجهات الحاسمة بين المسلمين المهاجرين و الأنصار و مشركي قريش. و قد وقعت يوم الجمعة السابع عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة النبوية.

لقد عرف الرسول ﷺ بأمر القافلة التي يقودها أبو سفيان، و تحتوي على مائة ألف دينار و مائة بعير، و يحرسها رجال لا يزيدون عن أربعين.

كيف عرف الرسول ﷺ بأمر القافلة؟ هل نزل جبريل بالوحي على الرسول ﷺ؟

لا ، بل جهاز مخابرات الرسول ﷺ هو الذي تقصى له هذا الخبر.

الرسول ﷺ ليس مغفلا حاشا لله،
بل هو اطلاع بالأخبار من حوله، و هكذا يجب أن نكون...

و من أين لقريش بكل هذه الأموال ؟ إنها أموال المهاجرين التي أجبرهم الكفار على تركها حتى يسمحوا لهم بالهجرة. إذن هي أصلا أموال المسلمين.

و هل قريش مجنونة لتترك قافلة محملة بكل هده الكمية من الأموال يحرسها أربعون رجلا فقط؟ نعم، لأن قريشا باعتبارها سيدة العرب، لا تتخيل حتى إمكانية تجرئ أحد على اعتراض الطريق أمام قوافلها.

فخرج الرسول ﷺ و معه ما بين 313 و 317 مقاتل (فيهم ما بين 82 و 86 من المهاجرين،61 من الأوس و 170 من الخزرج) و معهم فرسان للزبير و المقداد، و سبعون بعيرا بحيث يتناوب الرجلان و الثلاثة على بعير واحدة، فكان مرثد بن أبي مرثد و علي بن أبي طالب يتعاقبان مع الرسول ﷺ، فدهب علي إلى مرثد فقال له: نحن نمشي و الرسول يركب فقال له نعم.فلما أخبرا الرسول ﷺ قال لهما : "ما أنتما بأقوى مني ولا أنا بأغنى من الأجر منكما".

و لكن ما سبب خروج الرسول ﷺ لاعتراض طريق القافلة؟ أليس الرسول ﷺ هو من ترك عليا بن أبي طالب في مكة يوم هاجر إلى المدينة مع أبي بكر، ليرد الودائع؟ فكيف يعقل أن تصدر من الشخص نفسه تصرفات متناقضان ؟ لأن أموال الودائع أمانة... و قد أمرنا ﷺ بإعادة الأمانات إلى أهلها أما أموال القافلة فهي أصلا للمسلمين .

الرسول بقطعه الطريق على القافلة يستعيد حق المسلمين المسلوب،
كما أنه يريد أن يرسل رسالة لقريش أنه يستطيع قطع الطريق عليهم
فيخلون بينه و بين تبليغ دعوته للناس

و عندما علم أبو سفيان بالخطر المحدق بقافلته، أرسل ضمضما بن عمرو الغفاري إلى مكة يستنجد بقريش، و جاء ضمضم مسرعا إليها، و عندما دخلها وقف على بعيره، و جدع أنفه و حول رحله و شق قميصه وهو يصيح:"يا معشر قريش، اللطيمة اللطيمة، أموالكم مع أبي سفيان قد تعرض لها محمد و أصحابهّ، و الله ما أرى أن تدركوها، الغوث الغوث".

و كانت عاتكة بنت عبد المطلب، و التي هي عمة الرسول ﷺ، قد رأت فيما يرى النائم، قبل أن يأتي ضمضم بن عمرو بخبر أبي سفيان بثلاث ليال. قالت: رأيت رجلا أقبل على بعير له فوقف بالأبطح، فقال انفروا يا آل غدر لمصرعكم في ثلاث، ثم أخذ الصخرة فأرسلها من رأس الجبل، فأقبلت تهوي حتى ارفضّت فما بقيت دار ولا بنية إلا و دخل فيها بعضها.



فأخبرت عاتكة العباس، الذي أخبر الوليد إلى أن انتشر الخبر، حتى وصل أبا جهل الذي قال للعباس : إذا لم تصدق الرؤية فسوف نعلق صحيفة تقول بأن بني هاشم كاذبون.

فخرجت قريش مسرعة لتنقذ عيرها و رجالها، و لتلقي بالمسلمين في حرب تراها قاضية على قوتهم التي لا زالت تهدد تجارتها. و لم يتخلف من أشراف قريش إلا أبو لهب لأنه كان خائفا فأرسل مكانه العاص بن هشام ، و أمية بن خلف.و تكون جيش قريش من 950 مقاتلا، 200 فرس، 100 جمل، و أما ما بقي من الفرسان فيركب الإبل. و أرسل أبو سفيان إلى جيش قريش وهم بالجحفة، فأخبرهم بنجاته، و طلب إليهم العودة إلى مكة. و قد همت قريش بالعودة لولا أن قال أبو جهل : و الله لا نرجع حتى نرد بدرا، فنقيم بها ثلاث، فننحر الجزور و نطعم الطعام و نسقي الخمر و تعزف لنا القيان و تعرف العرب بنا و بمسيرنا و جمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدا.

و ساروا حتى نزلوا قريبا من بدر، وراء كثيب يقع بالعدوة القصوى، على حدود وادي بدر. وبلغ الرسول ﷺ الخبر فاستشار مع أصحابه، فخشي فريق منهم المواجهة في وقت لم يستعدوا فيه لحرب كبيرة بما تتطلبه من عدة و عتاد , و جادلوا الرسول ليقنعوه بوجهة نظرهم , فنزل قول الله فيهم: .

"كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتِيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ" الأنفال : 5-7.

فاستشار الحبيب ﷺ من معه فقال أبو بكر: امض يا رسول الله. قال رسول الله ﷺ: جزاك الله خيرا، أشيروا علي يا أيها الناس. فقام عمر فقال :امض يا رسول الله. فقال ﷺ : جزاك الله خيرا، أشيروا علي أيها الناس. فقال المقداد: يارسول الله، امض لما أراك الله فنحن معك، و الله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون بل اذهب أنت و ربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون والذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجلدنا معك من دونه حتى تبلغه. فسر الرسول ﷺ هذا القول. و رغم أنه سمع كلام قادة المهاجرين إلا أنه أصر قائلا :أشيروا علي أيها الناس.

لماذا يصر ﷺ على هذا السؤال؟

لأنه كان يريد أن يسمع رأي قادة الأنصار، فهم غالبية جنده و لأن شروط العقبة الكبرى لم تكن في ظاهرها ملزمة لهم بحماية الرسول خارج المدينة. و أدرك سعد بن معاذ حامل لواء الأنصار مراد الرسول ﷺ فنهض قائلا :و الله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال :أجل فقال:" فقد آمنا بك فصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، و أعطيناك على ذلك عهودنا و مواثيقنا على السمع و الطاعة، امض يا رسول الله لما أردت، فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر، و خضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، و إنا لا نكره أن نلقى عدونا غداً، و إنا لصُبر في الحرب، صُدق عند اللقاء، و لعل الله يريك منا بعض ما تقر به عينك " .فسر الرسول ﷺ بقول سعد و المقداد ثم قال سيروا أبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، و الله وكأني أنظر الآن إلى مصارع القوم.

خطته ﷺ

قبل أن تدخل في معركة عليك أن تعرف قوة خصمك...

و النبي ﷺ عندما أراد معرفة أخبار قريش، خرج هو و أبو بكر لهذا الغرض,حتى لقيا شيخا فسألاه عن جيش قريش و جيش محمد. فأراد ﷺ أن يأخذ من الرجل الأخبار دون أن يعرفه شخصيته الحقيقية. و لكن الرجل اشترط عليهما أن يخبراه من أين هما، فوافقا و طلبا منه أن يخبرهما هو أولا, فقال:بلغني أن محمدا وأصحابه خرجوا يوم كذا و كذا، فإن صدق الذي أخبرني فإنهم أصبحوا في العدوة الدنيا (المكان الذي به المسلمون) و إن صدق الذي أخبرني فإن جيش قريش اليوم في العدوة القصوى. فلما فرغ من كلامه سألهما :ممن أنتما؟قال له رسول الله ﷺ: نحن من ماء، و انصرفا. أما الرجل فبقي يقول :ماء؟ أمن ماء العراق؟ و لكن الرسول ﷺ كان يقصد الماء الذي هو أصل كل شيء حي. أي أنه لم يزوده بأية معلومة .

انظر إلى ذكاء حبيبنا رسول الله ﷺ و فطنته: **استطاع أخذ المعلومات بكل الحيطة و دونما كذب**

و في مساء ذلك اليوم أرسل ﷺ عليا و الزبير و سعدا بن أبي وقاص في نفر من أصحابه لجمع المعلومات، فوجدوا غلاما على ماء بدر يستقي لجيش مكة فأخذوه إلى الرسول ﷺ و هو يصلي, فبدؤوا في استجوابه فأفاد أنه



ساقي جيش قريش، فلم يصدقوه وكرهوا له هذا الجواب ظنا منهم أنه لأبي سفيان إذ لا يزال الأمل يحدوهم في الحصول على العير، فضربوه حتى قال أنه لأبي سفيان. فلما فرغ الرسول ﷺ من الصلاة عاتب أصحابه لأنهم ضربوه لما صدقهم و تركوه لما كذبهم. فسأله الرسول ﷺ عن مكان قريش فأجاب الغلام: هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى. فسأله عن عددهم و عدتهم، فلم يستطع الغلام أن يحدد، فسأله الرسول ﷺ عن عدد الجزور التي تنحر يوميا، فأجاب الفتى: بين تسع و عشر، فاستنتج الحبيب المصطفى ﷺ أن عددهم ما بين 900 و 1000 ثم سأل عن المشاركين في جيش قريش فأجابه الغلام: أشراف قريش.

انظر إلى الحبيب القائد ﷺ كيف سيرفع الروح المعنوية....

قال ﷺ : الله أكبر هذه مكة ألقت إليكم أفلاذ كبدها، و أشار إلى مكان مصرع جماعة من زعماء قريش فما حاد أحدهم عن موضع يد الرسول. و أنزل الله في هذه الليلة مطرا ليطهر به المؤمنين و يثبت الأرض تحت أقدامهم، و جعله وبالا شديدا على المشركين. و في هذا أنزل الله:**" وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ "**. الأنفال: 11.

روى الإمام أحمد بسنده إلى أنس بن مالك أن أبا طلحة قال : غشينا النعاس و نحن في مصافنا يوم بدر، فكنت فيمن غشيه النعاس يومئذ فجعل سيفي يسقط من يدي و آخذه و يسقط فآخذه فيسقط و آخذه فقمت فاستحييت فلم أعرف مادا حصل في تلك الليلة، فأنزل الله **:" إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ "** الأنفال:11

و بدأ الرسول ﷺ يجهز خطة الحرب فقرر أن يضع صفا من الفرسان و خلفه صف من الرماة، فبينما الرسول ﷺ يضع الفرسان بصف إذا بسواد رضي الله عنه يخرج عن الصف فيقول له الرسول ﷺ : "استو يا سواد "، فيجيب : " نعم يا رسول الله "، فيخرج فيقول له النبي ﷺ: "استو يا سواد "، فيقول :" نعم يا رسول الله". فيخرج فيقول له النبي ﷺاستو يا سواد فيقول نعم يا رسول الله. فيضرب الرسول ﷺ على بطنه و يقول استو يا سواد، فيقول سواد: أوجعتني يا رسول الله. فيقول الرسول ﷺ و قد كشف عن بطنه اقتص يا سواد فصاح سواد هذا ما أردت، هذا ما أردت.فقال له رسول الله ﷺ لماذا فعلت ذلك يا سواد؟ فقال: هذا يوم شهادة و قد أردت أن يكون آخر عهدي بالدنيا هو ملاصقة جسدي جسد رسول الله.

سبق الرسول ﷺ إلى ماء بدر ليحول بين المشركين و الماء، و هنا أبدى الحباب بن المنذر رأيه قائلا: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل منزلا أنزلكها الله ليس لنا أن نتقدمه أو لنتأخر عنه؟ أم الرأي و الحرب و المكيدة؟ قال الرسول ﷺ : بل الرأي و الحرب و المكيدة.فقال الحباب : فإن هذا ليس المنزل، فقم بالناس حتى أدنى ماء من القوم (قريش)، فننزله و نغور (نخرب) ما وراءه من القلب (الآبار) ثم نبني عليه حوضا فنملأ ، ثم نقاتل القوم، فنشرب و لا يشربون. فقال الرسول : لقد أشرت بالرأي. و فعل ما قال الحباب.

ماذا لو كنت قائدا لجيش و جاءك أحد جنودك وأنت تستعد للمعركة، ليقول لك أن الخطة التي تطبقها غير صحيحة؟ و قال لك بل افعل كذا و كذا. فماذا ستفعل ؟ أمثل الرسول ﷺ ؟ أم تقول له : و من أنت لتملي علي ما أفعل ؟ أو أنت مجرد جندي فما أدراك بطرق القادة في القتال؟

أرأيت حبيبك المصطفى لما أدرك أن رأي الحباب صائب اتبعه ، لأنه حريص على النصر. ولم ينسب إليه الفكرة بل كل الناس على علم بأنها فكرة الحباب.

ثم بدأ الرسول ﷺ يتكلم عن فضل الجهاد و درجات الجهاد فقال لهم: قوموا إلى جنة عرضها كعرض السماوات و الأرض. فقال له عمير: يا رسول الله : جنة عرضها كعرض السماوات و الأرض . قال ﷺ: نعم . قال عمير : بخ بخ. فقال له الرسول ﷺ : لما قلت هكذا؟ قال عمير : أرجو أن أكون من أهلها. فقال له الرسول :إنك من أهلها. عند موته جاءت تبكيه أمه و تقول يا رسول الله أإبني في الجنة فأفرح أم غير ذلك؟ فقال الرسول ﷺ : يا أم حارث ابنك في جنان، بل أصاب الفردوس الأعلى.

عمره 18 عاما و أصاب الفردوس الأعلى

و تبدأ المعركة...

و يخرج عتبة و شيبة ابنا ربيعة، و الوليد بن عتبة يطلبون المبارزة فخرج لهم ثلاثة من الأنصار : عبد الله بن رواحة، و عوف و معوذ ابنا عفراء، فقالوا لهم من أنتم؟ قالوا من الأنصار. فقالوا: أكفاء كرام و إنما نريد بني عمنا. فبرز إليهم علي و عبيدة بن الحارث و حمزة. فقتل علي قرينه الوليد، و قتل حمزة شيبة، أما عبيدة فقد تبادل الضربات مع عتبة، فكر علي و حمزة على عتبة فقتلاه، و حملا عبيدة إلى الرسول ﷺ و قد قطعت رجله، فوضعوه على الأرض، فقال لهم رسول الله ﷺ : لا ضعوه على فخدي. فقال عبيدة : أوفيت يا رسول الله؟

انظروا إلى ما فكر عبيدة وهو يموت؟
ترى فيم ستفكر و أنت تموت

فبكى الحبيب و رفع يديه إلى السماء وقال : اللهم إني أشهدك أن عبيدة بن الحارث قد وفى.

ترى هل وفيت أنت أيضا لرسالة حبيبك؟

موت أبي جهل

وضع الرسول ﷺ عبد الرحمن بن عوف في الميمنة و معه 15 مقاتل. فعندما اشتد عليه القتال نظر عبد الرحمن بن عوف خلفه فما وجد إلا غلامين أحدهما في 15 و ابن عمه في 14 و هما معاذ و معوذ، و يربطان السيف بأيديهما (صغيران فلا يستطيعان حمل السيف).

فقال عبد الرحمن بن عوف : وجدت معاذ يشدني من ثيابي و يقول : يا عم أين أبو جهل؟ فقلت له : و مالك أنت و أبو جهل ؟ قال : قالت لي أمي إن لم تقتل أبا جهل فلا تعد. قال عبد الرحمن : ففرحت . فإذا بابن عمه معوذ يشدني من ثيابي ويقول :يا عم أين أبو جهل ؟ فقلت : و مالك أنت و أبا جهل؟ قال: لقد سمعت أنه يسب رسول الله, وما تطيق نفسي أن أعيش و هناك من يسب رسول الله.

فقال عبد الرحمن : فانطلقا كالبرق، و اتفقا على أن يضرب أحدهما قوائم فرس أبي جهل، فيسقط أبو جهل فيضربه الآخر فيقتله.فضربا أبا جهل,و ركضا ليخبرا الرسول ﷺ فلحق عكرمة بأحدهما فقطع يده فقال :لم أطق أن يسبقني قريني ليخبر الرسول ﷺ ، فقطعت يدي و ذهبت أبشر رسول الله. فأخذهما الرسول ﷺ ليداوي جراحهما، و قال لعبد الله بن مسعود : اذهب و تيقن من الخبر. فذهب و وجد أبا جهل مرميا على الأرض، فقال أبو جهل لعبد الله: لمن الغلبة اليوم؟ قال: لله و رسوله.

موت البحتري

كان الرسول ﷺ قد طلب من أصحابه أن لا يقتلوه وفاءا لموقفه من الصحيفة . ولكن أحد الصحابة قتله دفاعا عن نفسه.

موت أمية بن خلف

في المعركة خاف أمية على نفسه، فسلم نفسه لعبد الرحمن بن عوف، فأسره عبد الرحمن. فأبصره بلال فقال: رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجا. فقال عبد الرحمن إنه أسيري. فقال بلال : لا نجوت إن نجا. فاختبأ أمية وراء عبد الرحمن، فقال بلال : لا نجوت إن نجا. فانبطح أمية على الأرض، فانبطح فوقه عبد الرحمن، و انبطح فوقهما بلال، فأخذ يطعن أمية بالخنجر حتى مات.

و حمي الوطيس، و دارت رحى الحرب، و اشتد القتال، و أخذ الرسول ﷺ في الدعاء و الابتهال. روى أحمد ومسلم، وأبو داود و الترمذى وابن جرير وغيرهم عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:" **فاستقبل نبي الله القبلة ثم مدّ يده وجعل يهتف بربه: "اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض"** فما زال يهتف بربه مادًا يديه مستقبلاً القبلة حتى سقط رداؤه فأتاه أبو بكر رضي الله عنه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه و قال: يا نبي الله كفاك منا شدتك لربك فإنه سينجز لك ما وعدك"



فأخذ الرسول ﷺ ملء كفه من الحصى، فرمى بها وجوه العدو فلم تترك رجلا منهم إلا و دخلت في عينه، فشغلوا بالتراب، و انشغل المسلمون بقتلهم، فأنزل الله في شأن هذه الرمية: **" وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللّهَ رَمَى"** الأنفال:17

و غفا الرسول إغفاءة، ثم رفع رأسه فقال: أبشر يا أبا بكر، هذا جبريل على ثناياه النقع.

و كانت الملائكة تسابق المسلمين في قتل أعدائهم . قال تعالى **:" إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ "** الأنفال 9 – 12. فكان التأييد بالملائكة معجزة من أعظم معجزات التأييد و النصر للمسلمين الصادقين.

فمتى أخلص المسلمون في عبوديتهم استحقوا النصر و التمكين .
قال تعالى :" وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلا ً" الفتح: 23

و انتهت المعركة بفوز المسلمين على الكفار، الذين قتل منهم 70 و دفنوا في حفرة، و قال لهم رسول الله: هل وجدتم ما وعدكم الله حقا؟

أما المسلمون فاستشهد منهم 14، واحد من المهاجرين و هو عبيدة، و الآخرون من الأنصار.

الدروس المستفادة

1- حد بين عهدين
2- يحق الحق و يبطل الباطل
3- شورى بينهم
4- الإخلاص و التفاني في العمل
5- التضرع يجلب النصر
6- الأمة التي تجهل ماضيها, لا تعرف مستقبلها
7- الاستغاثة بالله
8- التوكل
9- الله قادر على كل شيء
10- المؤمنون جند الله



غزوة أحد...رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه

وقعت غزوة أحد يوم السبت 7 شوال من السنة الثالثة هجرية.

أسباب الغزوة

لقد كان السبب المباشر لها، كما أجمع على ذلك أهل السيرة، هو أن قريشاً أرادت أن تنتقم لقتلاها في بدر، غير أن السبب الحقيقي هو خوف قريش على مصالحها (تجارتها) و زعامتها على الجزيرة العربية. و جاء فيهم قول الله تعالى: **"وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ"** الواقعة:82 . فأرادت قريش أن تستعيد مكانتها التي تزعزعت بعد هزيمتها في بدر، خصوصا بعد بداية ظهور قوة جديدة و هي قوة المسلمين.

يضاف إلى ذلك معاندة قريش للنبي ﷺ و منعهم له أن يؤدي الرسالة التي جاء بها، حيث ما برح يقول لهم ﷺ **"خلوا بيني و بين الناس"**.

كل هذه الأسباب أدت إلى تحرك الكفار في اتجاه المدينة بجيش يقدر ب 3000 مقاتل. و خصصت قريش قافلة أبي سفيان التي نجت من المسلمين، و أرباحها، لتجهيز جيشهم لغزوة أحد.

و قد وصلت أخبار خروج قريش للقتال إلى الحبيب ﷺ بواسطة المستطلعين المسلمين طلحة بن عبيد الله و سعيد بن زيد (المخابرات الإسلامية).

كما أن النبي ﷺ أري في منامه أنه يضع يده الكريمة في درع حصينة و أن في سيفه كسر و بأن بقرا تذبح. و قد فسرها ﷺ بأن الدرع الحصينة هي المدينة و أن السيف يرمز إلى موت أحد من أقربائه و أن البقر التي تذبح هي موت بعض الصحابة. لذلك كان رأي النبي ﷺ أن يبقى المسلمون بالمدينة لتحميهم من الكفار و لتجنب قتل أصحابه.

إستشارة النبي ﷺ للناس

خرج النبي ﷺ إلى الناس يستشيرهم بأمر القتال و حول مكان المعركة: في المدينة أم خارجها. و كان ﷺ يفضل الاستفادة من حصون المدينة و طاقــات كل المواطنين، مما يرجح فرصة دحر المهاجمين، حيث يقاتل الرجــال في الأزقــة و النساء من الأسطح. و رغم ذلك، فإن المسلمين قرروا الذهاب للقتال خارج المدينة لأن الأغلبية رأوا أن الخروج أفضل.

و عندما لبس الحبيب ﷺ لباس الحرب، تلاوم بعض الصحابة أن النبي ﷺ عرض بأمر و هم عرضوا بغير ذلك، فقالوا له : " كأننا أكرهناك يا رسول الله ". فغضب ﷺ وقال: **"ما كان لنبي إن لبس لبــاس الحرب أن يخلعــه حتى يحكم الله بينه و بين عدوه، فإذا عزمت فتوكل على الله"**.

الاستشارة، الديموقراطية وحقوق المرأة

لم يقصص النبي ﷺ رؤياه على المسلمين لأنه ارتأى أن الشورى في مثل هده المواقف أولى. و هذا درس لكل الذين هم في مناصب اتخاذ القرار أن يشركوا الناس في قراراتهم. و بذلك يكون الإسلام قد سبق الغرب إلى معاني الديموقراطية. زيادة على ذلك، فإن النبي ﷺ أعطى دورا للنساء في المعركة، و بذلك كرس منذ 14 قرنا مضت حقوق المرأة ودورها في جميع المواقف، حتى وإن تعلق الأمر بالحرب.

تركيبة الجيوش

تكون جيش المسلمين بدءا من ألف مقاتل، لكن انسحب رأس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول بثلاثمائة مقاتل في منتصف الطريق. أما جيش الكفار فكانوا ثلاثة آلاف.

و قد أدى انسحاب ثلث الجيش إلى اهتزاز الروح المعنوية للمسلمين. و نزل قول الله تعالى: **"إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكِّلِ الْمُؤْمِنُونَ "** آل عمران:162.

و قوله تعالى: **" وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوِ ادْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَؤُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ"** آل عمران: 166-168.

أرض المعركة

أرض المعركة عبارة عن ساحة (ساحة شهداء أحد) لا تبعد عن المدينة إلا ببضع أميال، و بما أن المدينة تحيط بها الجبال، فإن المدخل الوحيد المؤدي إليها يمر عبر منطقة الحرة (عبارة عن صخور مدببة لا يمكن أن يمر منها الجيش و لا الخيول).

الخطة العسكرية للنبي ﷺ

مواجهة الكفار وجها لوجه و منعهم من الإحاطة بجيش المسلمين نظرا لفرق العدد بين الجيشين، و لذلك قام الحبيب ﷺ بصف جيش المسلمين على خط واحد و على أقصر مسافة بين جبل أحد و جبل الرماة، حيث أصبحت ميمنة المسلمين على سفح جبل أحد يقودها سيدنا عبد الله بن جابر. و لحماية ميسرة الجيش، قام ﷺ بوضع مجموعة متكونة من خمسين من أبرع الرماة على جبل الرماة. و هذه الخطة أربكت جيش قريش الذي كان منقسما إلى ثلاث فرق: ميسرة، يقودها عكرمة بن أبي جهل (سبعمائة فارس) و ميمنة يقودها خالد ابن الوليد (ثلاثمائة فارس) و قلب يقوده أبو سفيان (ألفا فارس). كانت خطة قريش هي محاصرة جيش المسلمين من اليمين و اليسار بواسطة خالد ابن الوليد و عكرمة بن أبي جهل. و بذلك يكون النبي ﷺ قد أرغم أبا سفيان على مواجهته وجها لوجه و عطل باقي جيش قريش (ألف فارس).

بداية المعركة

كان يحمل راية المسلمين سيدنا *مصعب بن عمير* و يقود العمليات سيدنا حمزة بن عبد المطلب و معه مساعدان: سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه و سيدنا الزبير بن العوام. و قد أعطى النبي ﷺ تعليمات صارمة للرماة على جبل الرماة و قال لهم ﷺ:"إن رأيتمونا ننتصر و نأخذ الغنائم، فلا تتبعونا و أن رأيتمونا ننهزم و تأكل الطير من رؤوسنا، فلا تنصرونا. ابقوا في أماكنكم مهما حدث".

و عند بداية المعركة أخذ النبي ﷺ سيفه و قال "من يأخذ سيفي هذا بحقه؟" فقالوا "و ما حقه يا رسول الله؟" فقال ﷺ "يفلق به هام الكفار". فقال *أبو دجانة* "أنا أخذه بحقه يا رسول الله". و بدأ يردد:

أنا الذي عاهدني خليلي — و نحن بالسفح لـدى النخيل
أن لا أقوم الدهر في أكيل — أضرب بسيف الله و الرسول

و كان يحمل اللواء من جانب قريش، واحد من قبيلة بني عبد الدار الذي أسقطه سيدنا حمزة بن عبد المطلب، ثم قتل الثاني فالثالث و الرابع. و قام بعده سيدنا علي بن أبي طالب بنفس الشيء مع الخامس و السادس. و بعدهما قتل سيدنا الزبير بن العوام اثنين آخرين من بني عبد الدار. و هكذا بدأت المعركة بانتصار المسلمين و ملأت الغنائم ساحة المعركة. فهم بعض الرماة بالنزول لجمع الغنائم (أربعون مقاتل من الرماة) و لم يبق على أعلى الجبل سوى عشرة رماة يقودهم سيدنا عبد الله بن جابر. و هكذا عصى الرماة الذين انسحبوا من الجبل أمر رسول الله ﷺ.

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول

لقد أدت معصية 40 من الرماة لأمر رسول الله ﷺ إلى انكسار و انهزام جيش المسلمين، فما بالك إن كانت أمة بأسرها تعصى الله و رسوله؟

قال تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ " محمد:33
و قال أيضا " فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " النور:63

و استغل خالد بن الوليد هذه الثغرة التي تسبب فيها الرماة و قام بالعودة إلى جبل الرماة. فقتل عشرة من الصحابة الباقيين في الجبل و صعد إلي أعلى الجبل وهو يردد "أعل هبل" ليخبر بذلك أبا سفيان أن خطتهم نجحت، فارتفعت الروح المعنوية للمشركين. و بدأ المسلمون يتلقون طعنات من الخلف.

و أصبح هدف أحد الكفار، اسمه عبد الله ابن قمئة، قتل النبي ﷺ، فأتى خلف سيدنا مصعب بن عمير في المدينة، وهاجمه، فانقطعت يده اليمنى التي كان يمسك بها راية الإسلام، فأمسك الراية بيده اليسرى فانقطعت هي



الأخرى ثم احتضن الراية بين عضديه. قتل مصعب بن عمير وصرخ عبد الله ابن قمئة "قتلت محمدا، قتلت محمدا" (و هو يظن أنه قتل النبي ﷺ). فنزلت هذه الإشاعة كالصاعقة على المسلمين. فبدؤوا يرمون السلاح و يفرون نحو المدينة.

و بقي النبي ﷺ في ساحة المعركة و معه عشرون من الصحابة و امرأة واحدة أم عمارة. فبدأ ﷺ ينادي المسلمين "إلي يا عباد الله". فبدأت مجموعات من الكفار تحيط بالنبي ﷺ. و كان أبو دجانة يحضن الحبيب ﷺ من أجل ألا تصيبه سهام الكفار.

"إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غُمَّاً بِغَمٍّ لِّكَيْلاَ تَحْزَنُواْ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ مَا أَصَابَكُمْ وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ" آل عمران:153.

أما سعد بن أبي وقاص فكان يقول له الحبيب ﷺ "ارم سعد فداك أبي و أمي"، و يرمي *سعد* و يرجع الكفار إلى الخلف. أما طلحة ابن عبيد الله كان يقول لرسول الله "أخفض رأسك يا رسول الله، نحري دون نحرك". و بينما هو يفعل ذلك، يخترق سهم يده، فتشل.

و يأتي يزيد ابن السكن و عشرة من الأنصار يدافعون عن الحبيب. يقول ﷺ "من يدفعهم عني فله الجنة"، فيدخل الأنصار واحد تلو الآخر للدفاع عن النبي ﷺ و يقتلون عن آخرهم. يقول الصحابة "كنا نرى يزيد يقاتل فتسقط منه الدماء فلا يريد أن يموت ليحمي رسول الله". و قال النبي ﷺ "اللهم أشهدك أني راض عن يزيد ابن السكن"

و بدأ الكفار يبحثون عن النبي ﷺ، خصوصا أبي بن خلف الذي كان يصيح أين محمد؟. قالت الصحابة: "فنفضنا رسول الله و أخذ حربة فرماها فأصابت أبي بن خلف بجانب فمه، فصرخ محمد سيقتلني محمد سيقتلني". و صعد أبي بن خلف جبل أحد و سقط من الناحية الأخرى من كثرة الرعب.

ثم بدأ جيش المسلمين يتجمع من جديد حول رسول الله ﷺ. فجاء أحد الكفار، اسمه أبو عامر الفاسق ليحفر حفرة للنبي ﷺ. و بينما كان النبي ﷺ يحارب، سقط في الحفرة، فارتطم وجهه الكريم بصخرة فانكسرت رباعيته. و بينما كان يحاول أن يخرج ﷺ من الحفرة، أتى ابن قمئة للمرة الثالثة فضرب النبي على خوذته بالسيف فانغرست الخوذة في رأس النبي ﷺ، فدخل الحديد في خديه ﷺ. و التف الصحابة حول النبي ﷺ و حاول سيدنا أبو بكر الصديق إخراج الحديد من خدي المصطفى ﷺ لكنه لم يتمكن من ذلك. ثم جاء أبو عبيدة ابن الجراح فقال:"أقسمت عليك يا أبا بكر، لا يخرج الحديد من خدي رسول الله إلا أنا". فقام بذلك، و امتلأ وجه النبي ﷺ بالدماء. فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "أدع عليهم يا رسول الله". فرد النبي ﷺ "إني لم أبعث لعانا، و لكني بعثت رحمة، إنما أنا رحمة مهداة". فرفع رسول الله ﷺ يديه إلى السماء و قال:"اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون"

لا حظ سيدنا حمزة بن عبد المطلب سيطرة خالد بن الوليد على جبل الرماة، فأخد معه مجموعة من الصحابة قصد وقف زحف جيش الكفار و محاصرتهم للمسلمين. أتى من خلف جبل الرماة و قاتل الكفار، و بينما كان سيدنا حمزة بن عبد المطلب يقاتل أتاه أحد الكفار يدعى *وحشي* (عبد هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان). وكانت هند بنت عتبة قد وعدته بعتقه إذا نجح في قتل سيدنا حمزة بن عبد المطلب الذي كان قد قتل أباها و أخاها في غزوة بدر. أطلق *وحشي* حربته الغادرة نحو ظهر سيدنا حمزة بن عبد المطلب فخرجت من بين أحشائه. قال *وحشي* "فظننت أنه لن يتحرك فالتفت إلي فنظر نظرة عرف أني قاتله فتحرك نحوي فو الله من خشيته ونظرته ما استطعت أن أتحرك، حتى اقترب مني فغلبه جرحه". فقلت "قتلت *حمزة*، قتلت *حمزة*". فجاءت هند بنت عتبة فشقت بطنه و مثلت به.

بدأ رسول الله يستشعر أن المعركة لم تعد متكافئة و اتجه بجيش المسلمين إلى جبل أحد و هو يشير إلى تجويف بالجبل، حيث ثم إيقاف المعركة. و كان الحبيب من كثرة الإرهاق لا يستطيع الصعود في الجبل، فكان سيدنا طلحة بن عبيد الله يضع ظهره أمام الحبيب ﷺ ليساعده على الصعود. و طلع الجبل ما يناهز 500 أو 600 من الصحابة. وجاء أبو سفيان فقال: "أعل هبل" فقال الحبيب ﷺ: " أو لا تردون؟" قالوا: "ماذا نقول يا رسول الله؟"

قال ﷺ قولوا: "الله أعلى وأجل" فقال الصحابة: "الله أعلى وأجل"
قال أبو سفيان: "لنا عزى و لا عزى لكم"

فقال الحبيب ﷺ: " أو لا تردون؟" قالوا: "ماذا نقول يارسول الله؟"

قال ﷺ قولوا: "الله مولانا ولا مولى لكم" فقالوا: "الله مولانا ولا مولى لكم"
فقال أبو سفيان: "يوم بيوم بدر"

فقال الحبيب ﷺ: "أو لا تردون؟" قالوا: "ماذا نقول يا رسول الله؟"

قال ﷺ قولوا: "لا سواء، قتلانا في الجنة و قتلاكم في النار" فقالوا: "لا سواء، قتلانا في الجنة و قتلاكم في النار"
فقال أبو سفيان "أشهد أن محمد و أبا بكر و عمر أحياء"

فانسحب جيش الكفار و انتهت المعركة على ذلك. فنزل الصحابة من الجبل حزينين على ما وقع لرسول الله ﷺ.

فنزلت الآيات الكريمات:

"وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ" آل عمران 139-140.

"وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ " آل عمران:152.

"إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا اللّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ " آل عمران:155.

"فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ " آل عمران:159.

مواقف متميزة

موقف أم عمارة

لما اشتد الخطب على المسلمين و بدأت تنقص الحماية على رسول الله ﷺ، حاول عبد الله بن قمئة أن يباغت النبي ﷺ من ورائه. لما رأته أم عمارة، أخذت سيفا و تعرضت له و منعته من القدوم إلى رسول الله ﷺ، فضربها ابن قمئة، فسقط السيف من يدها. فأرادت الفرار منه، لكنها عندما رأت النبي ﷺ وحيدا، ثبتت في مكانها و بدأ ابن قمئة يضربها بسيفه حتى انهارت. جاء ابنها، حبيب ابن زيد لينقدها، فقالت له "دعني، دونك رسول الله، أدرك رسول الله". فقال النبي "من يطيق ما تطيقين يا أم عمارة؟". فردت عليه قائلة: "أطيق و أطيق و أطيق و لكني أسألك شيئا واحدا، أسألك مرافقتك في الجنة يا رسول الله" فيرد عليها الحبيب ﷺ "لست وحدك أنت و أهل بيتك، أنتم رفقائي في الجنة".

موقف حنظلة

كان سيدنا حنظلة في أول ليلة من زواجه. و عندما سمع المنادي ليلة المعركة ينادي " يا خيل الله اركبي" أسرع إلى المعركة دون أن يغتسل. قال رسول الله ﷺ " رأيت حنظلة تغسله الملائكــة في طست من ذهب بين السماء و الأرض". فتعجب النبي فسأل زوجة سيدنا حنظلة فأخبرته أنه كان يبيت معها في أول ليلة زواج و لم يلحق أن يغتسل.

موقف أنس بن النضر

عندما وقعت غزوة بدر، كان أنس بن النضر في سفر و قد تأثر كثيرا لعدم مشاركته بالغزوة. و قد وعد أنه سيقاتل في سبيل الله في معركة قادمة. و لما رأى الصحابة يفرون من غزوة أحد. فسألهم:"ما بكم؟"

فأجابوا "قُتل رسول الله ﷺ". فقال لهم:"ماذا تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه". فرجع الجيش كله. و عند الوصول إلى ساحة المعركة، كان أنس ابن النضر يجري في الاتجاه المعاكس للصحابة. قالوا له "إلى أين يا أنس؟" فأجاب "الجنة و رب النضر، إني أشم رائحة الجنة تحت جبل أحد". قالوا "وجدناه يا رسول الله تحت جبل أحد". وجد جسمه كله طعان و قد مثل به الكفار ولم تتعرف عليه إلا أخته من إصبعه المقطوع. و نزل فيه قول الله تعالى "مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا" الأحزاب:23.



موقف عمرو بن الجموح

كان سيدنا عمر بن الجموح أعرج، و كان له أربعة أبناء منعوه من الجهاد لعلته. فذهب إلى رسول الله ﷺ يشتكي أولاده. فقال له النبي "يا عمرو أنت أعرج" فقال "دعني يا رسول الله أطأ الجنة بعرجتي هذه" فابتسم النبي ﷺ و قال لأولاده "دعوه لعل الله يرزقه الشهادة". دخل عمرو بن الجموح إلى أرض المعركة و نظر إلى جهة المدينة و قال "اللهم لا ترجعني إليها" و بدأ يقاتل حتى سقط شهيدا. قال النبي ﷺ "إني أرى عمرو بن الجموح الآن يطأ الجنة بعرجته، و فى الله له بما طلب".

موقف عبد الله بن جحش

كان عبد الله ابن جحش جالسا مع صديق له قبل غزوة أحد يتمنون. قال لصديقه "ما أمنيتك؟"، فقال له "أتمنى أن ألقى غدا رجل من الكفار شديد القوة أقاتله و يقاتلني فأقتله". أما عبد الله ابن جحش فقال "أما أنا، فأتمنى أن ألقى غدا رجلا من الكفار شديد القوة أقاتله و يقاتلني فأقتله. ثم ألقى رجلا من الكفار شديد القوة أقاتله و يقاتلني فيقتلني و يبقر بطني ويجدع أنفي ويقطع أذني، فآتيك هكذا يارب يوم القيامة فتقول لي" يا عبد الله لما حدث لك ذلك؟" فأقول "فيك يا رب من أجلك يا رب". قال أحد الصحابة " فوجدناه ميتاً منقورة بطنه وجدعت انفه و قطعت اذنه و بجانبه كافر كان قد قتله ".

لقد حقق له الله تعالى أمنيته

موقف عبد الله بن حرام

كان سيدنا عبد لله بن حرام أبا لتسعة بنات و ولد هو جابر بن عبد الله. قبيل غزوة أحد، اقترع ابنه حول من سيذهب للجهاد و من سيبقى مع البنات. فأتي الدور على الأب، فبكي جابر بن عبد الله. فقال له أبوه "و الله يا بني لو كانت غير الجنة لآثرتك بها و لكنها الجنة". قتل عبد لله بن حرام في المعركة و مثل به الكفار. عند انتهاء المعركة، أراد جابر أن يرى أباه فمنعه الصحابة لكي لا يراه و قد مثل به. فقال لهم الرسول ﷺ "دعوه". قال جابر "فجعلت أنظر إلى أبي ثم أضع وجهي في كمي أبكي" فقال له النبي ﷺ "يا بني ابكه أو لا تبكه، لا تزال الملائكة تظله بأجنحتها". ثم قال له النبي ﷺ "يا جابر أبشر" فقال له جابر"بما يا رسول الله؟" فقال له النبي ﷺ "ما كلم الله أحدا من عباده إلا من وراء حجاب، وكلم أباك كفاحا من غير حجاب. و قال له يا عبدي تمن علي، فقال عبد الله بن حرام يا رب أتمنى أن أعود إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك في سبيلك فأقتل مرة أخرى شهيدا في سبيلك. فقال له الله عز و جل إني كتبت عليهم أنهم إليها لا يرجعون ولكن أطلب أمنية أخرى. فقال عبد الله بن حرام يا رب بلغ عني أهل الدنيا ما أنا فيه من السعادة" فنزل قول الله تعالى "وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ" آل عمران:169 - 170.

موقف سعد بن الربيع

عند الانتهاء من المعركة سأل الحبيب ﷺ عن سعد بن الربيع. فبحث عنه الصحابة فوجدوه في لحظاته الأخيرة. فقالوا له "ما لك يا سعد؟" فقال لهم " قولوا لرسول الله ﷺ إني وجدت ما وعدتني حقاً". ثم قال لهم "أبلغوا رسول الله ﷺ مني السلام و قولوا له جزاك الله عنا خير ما جزى نبي عن أمته " و قال لهم "و أخبروا الأنصار مني السلام وقولوا لهم لا عذر لكم إن خلص لرسول الله ﷺ و فيكم عين تطرف".



الدروس المستفادة

1- أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و لتحذروا من مخالفتهما
2- لنضحي جميعا من أجل الرسالة كما ضحى شهداء أحد



صعوبات و اختبارات.. سنة أربعة من الهجرة

هل تعتبر غزوة أحد هزيمة؟

إن تحدثنا عنها من الزاوية العسكرية فلا تعتبر هزيمة، و إذا نظرنا إليها في غير هذه الوجهة فهي هزيمة نكراء.
فلماذا يهزم المسلمون وهم حملة دين الحق ؟
ـ لكي يدفعوا ثمن معصية الله و رسوله
ـ و ليدركوا أنهم ليسوا أبناء الله و أحباءه .
ـ و ليعلموا أن نصر الله ومدده يجب أن يكون مصحوبا بالعمل واتخاذ الأسباب

لا ينفع الدعاء دون العمل كما لا ينفع العمل دون التوكل على الله

هزم المسلمون في غزوة أحد، رغم أن رسول الله ﷺ كان فيهم. حيث قتل في هذه الغزوة سبعون صحابيا

و بقي معه أربعون من الرماة الذين كانوا يشعرون بالذنب لمخالفتهم أمر رسول الله ﷺ. و بدأ المنافقون يتلامزون : **"الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَؤُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ"** آل عمران:167.

و كان من مخلفات الهزيمة أن القبائل بدأت تنقض عهدها مع رسول الله ﷺ، مادامت الزعامة لقريش المنتصرة في الحرب.

لقد ضيع أربعون مخلفا أمر رسول الله فنتج عن ذلك خسائر كبيرة،
فما بالك بملايين ضيعوا سنته بأكملها ؟

الوضع خارج و داخل المدينة

- **خارج المدينة:** ازدادت قريش قوة، و أبو سفيان يتساءل :لقد كنا نستطيع قتلهم، فلماذا لم نفعل ؟ إذن قريش تفكر في حروب أخرى ضد رسول الله.
- **داخل المدينة:** بدأت اليهود تنقض معاهداتها مع المسلمين, و تعقد معاهدات مع قريش، كما قالت للصحابة : "لقد هزمتم لأنكم غير مؤهلين للشورى". فبدأ الصحابة يتأثرون بهذا الكلام و يتساءلون :كيف نهزم و معنا رسول الله ؟ و أين الملائكة؟ فينزل القرآن ليعالج الوضع بكامله:

- الشورى:**"وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِين"** آل عمران :159 .

- كيف نهزم و معنا رسول الله ﷺ ؟ **:" أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَـذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ."** آل عمران : 165.

- أين الملائكة ؟ : **" وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ"** آل عمران : 126.

- نفسية رسول الله ﷺ: **" فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ".** آل عمران : 159.

- الصحابة المحبطون **:" وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ".** آل عمران: 139 - 141.

و قال أيضا: **" وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً ".** النساء : 104.

و هكذا عالج القرآن الكريم الوضع كله.

مبادرات الرسول ﷺ

لقد قرر ﷺ أن يرجع هيبة المسلمين و يرفع الروح المعنوية للصحابة و يكسر شوكة قريش .فخاطب ﷺ أصحابه بعد أن صلى في مسجد المستراح حيث قال :" من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليخرج معي فإني ذاهب إلى قريش، و ليخرج من خرج معي في الغزوة الأخيرة ". فخرج معه الجميع حتى المصابون حملوهم فوق أكتافهم، و **لم يمانع أحد لأن الرسالة غالية جدا.**

و طلب رسول الله ﷺ العدو حتى بلغ حمراء الأسد و ذلك بهدف إرهاب العدو و إبلاغهم عن قوة المسلمين، و أن الذي أصابهم في أُحد لم يكن ليوهنهم عن عدوهم أو يقلل من عزيمتهم. و مر بأبي سفيان ركْبٌ من عبد القيس، فقال: أين تريدون؟ قالوا: المدينة ، قال: و لم؟ قالوا : نريد الميرة ، قال: فهل أنتم مبلغون عني محمدا رسالة أرسلكم بها إليه و أحمل لكم إبلكم هذه غدا زبيبا بعكاظ إذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم ، قال: فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه ، و إلى أصحابه لنستأصل بقيتهم، فمر الركب برسول الله ﷺ و هو بحمراء الأسد فأخبروه بالذي قال أبو سفيان ، فقال: حسبنا الله و نعم الوكيل. و روى البخاري عن ابن عباس قال: "حسبنا الله و نعم الوكيل، قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، و قالها محمد حين قالوا إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا، و قالوا حسبنا الله ونعم الوكيل".و في ذلك أنزل الله:**" الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ"** آل عمران 173 و 174.

فأرسل رسول الله ﷺ معبد بن أبي معبد الخزاعي، و هو يومئذ مسلم مخفٍ إيمانه، و كان ﷺ مقيماً بحمراء الأسد ، فخرج حتى لقي أبا سفيان و من معه بالروحاء، و قد أجمعوا أمرهم على ملاقاة رسول الله و أصحابه، فلما رأى أبو سفيان معبدا قال: ما وراءك يا معبد؟ قال : محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا. فثنى ذلك أبا سفيان و من معه عن ملاقاة رسول الله ﷺ. فانسحب جيش قريش لما أصابهم من رعب .

إنها الحرب النفسية و عززتها مبادرة الرسول ﷺ

تبادر إلى أسماع الرسول ﷺ أنّ خالد بن سفيان الهذلي يجمع المقاتلة من هذيل في عرفات من أجل غزو المدينة، مظاهرةً للمشركين، و معاداة للمؤمنين، و طمعاً في خيرات المدينة. فلم يشأ ﷺ الدخول في حروب جانبية، فمعركته الحقيقية مع قريش.



فبادر رسول الله ﷺ إلى إخماد تلك المؤامرة في عقر دارها، و كلف الصحابي الجليل عبد الله بن أنيس الجهني و عمره 27 سنة ليقتل خالدا لأنه إذا مات تفرقت القبائل. فقال عبد الله بن أنيس : صفه لي يا رسول الله. فقال له رسول الله ﷺ : إذا رأيته تذكرت الشيطان، فستجد به قشعريرة. قال عبد الله: اسمح لي يا رسول الله أن أشتمك. قال :نعم. فذهب إليهم و بدأ يحمسهم و يقول على النبي الأقاويل. و عندما رأى خالدا عرفه فقال: صدقت يا رسول الله فأعجب به خالد فسأله: من أنت؟

قال: أنا رجل يحمل الكراهية لمحمد أكثر منك.

قال عبد الله: ففرح بي و جعلني حارسه الشخصي و كنت أصلي بعيني حتى لايعرفني أحد حتى تمكنت منه فقتلته و هربت إلى الجبل فمكثت فيه ثلاث أيام و كنت آكل ورق الشجر حتى عدت إلى المدينة فكان الرسول ينتظرني فقال: أأفلح الوجه؟ قالت : نعم يا رسول الله. فقال : الله أكبر. فقال لي الرسول ﷺ سوف أكافئك. ففرحت. فإذا به يدخل و يحضر عصاه. قلت له: يا رسول الله أهذه المكافأة؟ فقال: خذها يا عبد الله، ردها لي يوم القيامة أدخلك الجنة. فأخذتها و ما فرحت بهدية مثلما فرحت بهذه العصا و لم تكن تفارقني حتى إذا نمت وضعتها في صدري. و لقد أمرت أن تدفن معي في قبري حتى إذا قامت الساعة و خرجت من قبري آتي الرسول و أقول له هذه العصا يا رسول الله أدخلني الجنة. فما أسعدك يا عبد الله .

تعلم من حبيبك رسول الله ﷺ أنه إن كان لك هدف تريد تحقيقه
فلا تدخل في معارك جانبيةو ركز على هدفك الأساسي

غدر القبائل و اليهود

الغدر الأول:

أرسلت قبيلة من القبائل المجاورة للمدينة إلى رسول الله ﷺ أنها تريد أن تسلم، و طلبت منه أن يرسل لها من يعلمها الدين، فأرسل ستة من الصحابة منهم مرثد و عبد الله بن طارق و زيد و عاص و خبيب. و عند وصولهم حاصرتهم هذا القبيلة، لأنها تريد أن تبيعهم لقريش و تغدر برسول الله ﷺ.

و كان مرثد يقوم بنقل الضعفاء من مكة إلى المدينة ليلا. و أعجبت به فتاة تدعى عناق فدعته قائلة : "هلم إلي" فأجابها : "يأبى الله و رسوله". فقالت: "سأفشي سرك". فذهب إلى الرسول ﷺ يسأله : أيتزوج عناق ؟ فأنزل ال قوله تعالى **:" الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ"** . النور :3. فقال له رسول الله ﷺ : إن تابت و أصلحت و آمنت و اهتدت و انتظرتها فتزوجها. فقال مرثد: نعم.

و حاصرت القبيلة الصحابة فرفض عاصم الاستسلام فقتلوه و نزل إليهم ثلاثة بالعهد و الميثاق، منهم خبيب الأنصاري و بن الدثنة و عبد الله. فلما استمكنوا منهم ربطوهم، و أوثقوهم، ثم قتلوا عبد الله، و انطلقوا بخُبيب و بن الدثنة حتى باعوهما بمكة. و قد سمعوا بأن هناك إمرأة تدعى سلافة تريد رأس عاصم فأرادوا أن يعطوها إياه. و لكن الله سبحانه أراد غير ذلك فأرسل جنودا من عنده :نملا و دبابير تأكل رأس عاصم ثم إذا جاء الليل أمطرت السماء بمطر غزير فأخذ جثة عاصم فلم يعرف أين هي.

أما خُبيب فكان قد قتل الحارث بن عامر يوم بدر، فلبث خبيب عندهم أسيراً. و تحكي ماوية بنت الحارث و التي أسلمت فيما بعد :" و الله ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب، و الله لقد وجدته يوما يأكل من قطف عنب في يده، وإنه لموثق في الحديد، و ما بمكة من عنب، و كانت تقول إنه لرزق من الله رزقه خبيبا" . فعندما اقترب قتله قال لها أعطني



موسا لأحلقا الإبط واقص الشارب و أنظف الاظافر و كان لماوية ولد صغير أحب خبيب كثيرا فجلس في حضنه، فتذكرت ماوية الموس و دخلت و هي خائفة على ولدها. فقال لها خبيب: أتخافين أن أقتله؟ ماكان مني أن أقتله و أنا من اصحاب محمد. فقال له: ياغلام اذهب إلى أمك .

لا ذنب للأبرياء و لا دخل لهم و لا يقتل إلا من وجب عليه القصاص

و أسلمت ماوية بعد ذلك. و انتهى الشهر الحرام و جاء موعد قتل خبيب، فأمر أبو سفيان أن يعلق في نخلة و أن يعذب بضربه بالسهام في يديه و رجليه. ثم قال له: بالله عليك اصدقني القول. أتحب أن يكون محمد في مكانك و تكون أنت في بيتك منعما؟

فقال خبيب: و الله ما أحب أن يصيبه شوكة في بيته فكيف أريده في مكاني؟ فقال أبو سفيان: ما رأيت أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد لمحمد. ثم قال له:ما تريد قبل الموت؟

فطلب خبيب أن يصلي ركعتين قبل موته و لم يطل فيهما ثم قال : " لو كنت أخشى الموت لكنت أطلت إلى ما أراد لي الله و لكني اشتقت للقاء الله. و قبل أن يرموه دعا عليهم وقال:" اللهم احصهم عددا، و اقتلهم بددا، و لاتبق منهم أحدا".

و كانت قريش تعتقد أنه إذا دعا عليهم أحد فيجب أن ينبطحوا أرضا لكي لا يصيبهم الدعاء. فانبطح الجميع على الأرض. و يقول سعيد بن عامر عندما كان عمرو رضي الله عنه خليفة المسلمين، كان يغمى علي و أقوم. فسأله عمر: مابك؟ قال: كنت ممن شهد موت خبيب و لقد أصابتني دعوته.

ثم قال خبيب:

و لست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي

ثم قال:" اللهم اني قد بلغت رسالة رسولك فبلغه عني السلام قبل أن أموت ". فنزل جبريل على رسول الله ﷺ و قال له: خبيب يبلغك السلام.

الغدر الثاني : عُضل و قارة

طلبت عُضل و قارة من رسول الله ﷺ أن يرسل إليها من يعلمها دينها، فأعطاهم سبعين صحابيا، فقتلوهم جميعا ما عدا عمرو بن أمية، فحزن النبي ﷺ حزناً شديداً عليهم و بقي يدعو عليهم شهرا كاملا. و يقول: " اللهم اشدد عليهم وطأتك". فأنزل الله :" **لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ**" آل عمران: 128.

فتوقف الرسول ﷺ عن الدعاء.

الغدر الثالث : بنو النضير

ذهب الرسول ﷺ إلى يهود بني النضير طالبا منهم مالا ليدفع الدية لشخصين قُتلوا خطأ من المسلمين، فدبروا مؤامرة خبيثة تستهدف القضاء على رسول الله ﷺ، و قتله بحجر يسقطونه عليه و هو جالس إلى جدار أحد بيوتهم، و لكن الله يحمي رسله من كيد الكائدين و غدر الغادرين، حيث نزل جبريل بالوحي من السماء فأخبر الرسول ﷺ بما دبره اليهود، فقام الرسول ﷺ مسرعاً و لم يخبر عمرا و أبا بكر لكي تستمر المعاهدات بينهم، ثم أرسل ﷺ من يخبرهم بأن يخرجوا من المدينة و لا يساكنوا فيها المسلمين و أمهلهم شهرا، فمن وجد بعد ذلك قُتل. فسأله اليهود: و أموالنا ؟ فقال الرسول ﷺ : "و تحملون أموالكم ".

فتأهبوا للخروج والرسول ﷺ يعلم توجههم إلى خيبر، و لكن المنافقين و على رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول، تدخلوا فأخروهم و أخبروهم أنهم معهم ضد المسلمين فجلسوا. فحاصرهم الرسول ﷺ 15 يوماً. و في هذه الأثناء نزلت آيات تحريم الخمر. و كان ذلك اختبارا لمدى طاعة الصحابة لأمر الله و رسوله : فرموا بالخمر مباشرة بعد سماع الآيات وهم يرددون : " انتهينا يا رب " فأصبحت شوارع المدينة و كأن الأمطار قد تساقطت بها، فلجأ اليهود إلى الحصون و احتموا بها. و بقوا في شر حال، حتى اندحروا و استسلموا. فأرسلوا للرسول ﷺ يريدون الخروج من المدينة ، فوافق على أن يخرجوا بنفوسهم مع ما يستطيعون حمله على إبلهم من المتاع إلا السلاح. فأنزل الله:**" هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ."** الحشر :2.

ثم سمع الرسول ﷺ باجتماع مجموعة من القبائل الضعيفة، فأسرع بالخروج إليهم في سبعمائة من الصحابة.

و سميت تلك الغزوة بذات الرقاع. ورد في الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه قال : "خرجنا مع النبي ﷺ في غزاة، و نحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه، فنقبت أقدامنا، و نقبت قدماي، و سقطت أظفاري، و كنا نلف على أرجلنا الخرق، فسُمِّيت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا".

و عندما وصل الرسول ﷺ تفرقت القبائل التي أرادت محاربته. و لكنه خاف أن تجتمع ثانية فصلى صلاة الخوف فعن جابر قال : "خرج النبي ﷺ إلى ذات الرقاع من نخل فلقي جمعاً من غطفان فلم يكن قتال، و أخاف الناس بعضهم بعضاً ، فصلى النبي ﷺ ركعتي الخوف ". رواه البخاري . فقسم الجيش نصفين: نصف وجوههم إلى العدو و النصف الآخر وجوههم إلى القبلة. فصلى أربع ركعات يصلي مع النصف الأول ركعتين فإذا وصل إلى التشهد، تشهد و تشهد معه من خلفه، فإذا قام جاءه الآخرون و قاموا معه. أي أنه صلى أربع ركعات و باقي الجيش صلى ركعتين.

و في طريق العودة، نزل النبي ﷺ بموضع و قال:"من يحرسنا؟"فقام رجلان أحدهما من المهاجرين و الآخر من الأنصار, وهما عباد بن بشر و عمّار بن ياسر رضي الله عنهم ، فقال ﷺ : "كونا بفم الشعب " ، فلما خرج الصحابيّان إلى فم الشعب قال عباد لصاحبه : " أيُّ الليل أحب إليك أن أكفيكه ؟ أوله أو آخره ؟ يعني: أي جزء من الليل تحبّ أن أحرس فيه بدلاً عنك ؟ " فقال له: " بل اكفني أوله "، فاضطجع عمار فنام، وقام عباد يصلي قيام الليل و وجهه متجه نحو العدو .

أبى إلا أن يقيم الليل دون أن يتخلف عن حماية المسلمين

فبينما هو يصلي إذا بسهم يصيبه في يده فنزع السهم و لم يقطع صلاته فأصابه سهم آخر، فنزعه و أتم صلاته، فلما أصابه للمرة الثالثة خاف أن يغير عليهم العدو، فقام بسرعة و ركع و سجد ثم أيقظ عمارا. و لما رأى عمار ما بعباد من الدم قال له : " سبحان الله ، ألا أنبهتني أول ما رمى ؟"، فقال له :" كنت في سورة أقرؤها ، فلم أحب أن أقطعها ".

ورد في البخاري عن جابر رضي الله عنه، أنه عندما رجع رسول الله ﷺ رجع جابر معه، فأدركتهم القائلة، أي نوم الظهيرة، في واد كثير الهوام، فنزل رسول الله ﷺ و تفرّق الناس يستظلون بالشجر، و نام رسول الله ﷺ تحت شجرة و علّق بها سيفه، فإذا رسول الله ﷺ يدعو الصحابة و إذا عنده أعرابي.



و عن الإمام أحمد بسند صحيح أن الأعرابي قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف ، فقال :"من يمنعك مني؟" قال : " الله عز وجل"، فسقط السيف من يده، فأخذه رسول الله ﷺ فقال : "من يمنعك مني ؟ " ، فقال :" كن كخير آخذ"، فقال له رسول الله ﷺ : " أتشهد أن لا إله إلا الله ؟ "، قال:" لا و لكني أعاهدك أن لا أقاتلك ، و لا أكون مع قوم يقاتلونك. فخلى سبيله، فذهب الأعرابي إلى أصحابه فقال لهم: " قد جئتكم من عند خير الناس".

و في طريق العودة تأخر جابر في السير فرجع النبي ﷺ و سأله:" مالك ياجابر؟" قال:" الناقة يارسول الله!" قال:" ما بها؟؟" قال له:" ضعيفة" و جابر يقصد ما به من قلة يد. قال رسول الله ﷺ الحريص على معرفة أحوال رعيته:" أ تزوجت يا جابر؟" قال:" نعم"، قال : " بكرا أم ثيبا ؟" قال : "بل ثيّبا" قال :" أفلا جارية تلاعبها و تلاعبك؟" قال:" أبي ترك لي تسع بنات و مات فقلت تنفعني" قال الرسول ﷺ : هل تعلم زوجتك بقدومك حتى تعد لك النمارق (الوسائد)؟ قال:" و الله ماعندنا نمارق يارسول الله"فقال له رسول الله :"سوف تكون يا جابر".

فأوقف الرسول ﷺ الجيش من أجل أن تعلم زوجة جابر بقدومه و تستعد.

إنها قمة الحرص على توطيد العلاقات الزوجية و على مدى تفهم الرسول ﷺ لوضع الزوجة،

فطبيعي لمن ترعى تسع بنات أن تهمل ذاتها لذلك ترك لهاالرسول ﷺ فرصة للاهتمام بزينتها قبل وصول زوجها الغائب لمدة طويلة عنها

و أراد الرسول ﷺ أن يعطي جابر مالا ﷺ دون أن يمس كرامته فقال له ﷺ :" أتبيعني جملك ؟" قال:" يا رسول الله لا يساوي" فقال رسول الله ﷺ : "و لكني أريده" فقال له جابر:" إذا خذه بلا ثمن فإني أهبه لك"قال ﷺ :"لا" قال :"إذن فثمنه" قال ﷺ :" بدرهم" فقال جابر:" لم تأتني حقي" قال:" فبدرهمين"قال ﷺ :" بل هو لك يارسول الله" قال ﷺ :"بل أشتريه منك و أدفع لك ثمنه عندما نصل إلى المدينة". فلما وصلوا إلى المدينة أخذ الجمل و ربطه عند باب النبي فلما خرج رسول الله ﷺ و رأى الجمل فسأله :"لمن الجمل؟" فقالوا :"لجابر".فأرسل إليه بلال يحمل المال و الجمل. وقال له ﷺ :"يا بلال قل لجابر: أمسك عليك جملك و خذ المال فإنما أنا عمك وانت ابن أخي.

الدروس المستفادة

1- الرسالة تحتاج إلى تضحيات حتى بالدم و الروح.

2- أهمية الشورى في حياة الإنسان.

غزوة الخندق

موقف قريش و العرب في السنة الخامسة للهجرة

ماذا حدث عندما خرج يهود بنو النضر؟ أراد حيي أن يتأكد من مصداقية الحبيب ﷺ، فسأله أسئلة: كم كان عمرك عند موت أبيك؟ أين تربيت؟ و هكذا... فأجاب عنها النبي ﷺ جميعها، فقال له أخوه: أهو هو؟ قال: نعم .. و سأظل أعاديه ما حييت. فسمع سلمان كلام حيي و أخبر الرسول ﷺ فقال له الحبيب: "إنا لا نأخذ الناس بما يقولون".

لم تستطع قريش حماية تجارتها الخارجية رغم ما حدث في غزوة أحد، فقد واصل المسلمون غاراتهم على قوافلها و هددوا طرقها من جميع الاتجاهات. لذا قرر زعماء قريش محاربتهم مرة أخرى رغم فشلهم في القضاء على الحبيب ﷺ فردياً و القضاء على المسلمين نهائياً. و شجعهم على ذلك نفر من بني النضير الذين أجلاهم المسلمون عن المدينة منهم: سلام بن مشكم و حيي بن أخطب. و استنهضوا القبائل الحليفة و حثوهم على المشاركة في الهجوم و تعهدوا بدفع نصف ثمور خيبر لقبيلة غطفان مقابل مشاركتها قريشاً في القتال و وعدوهم بتأليب بني قريظة على المسلمين و تجمعت حشودهم التي بلغت عشرة آلاف مقاتل، فأقسم القادة على محاربة الرسول ﷺ و أصحابه ثم تحركوا إلى المدينة في شعبان سنة خمسة للهجرة.

خطة الخندق

فبلغ الخبر رسول الله ﷺ عن طريق المخابرات الإسلامية، فاستشار أصحابه، و اجتمع الرأي على التحصن بالمدينة و أشار سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر الخندق في المنطقة التي يمكن للجيش أن يدخل منها إلى المدينة، و تجمع المسلمون و كان عددهم 1500 شخص أما عدد المشركين فما يقرب عشرة آلاف مقاتل:

4000 قرشي و معهم 300 فرس و 1500 بعير.
3000 من بني غطفان.
300 من بني أشجع.
700 من بني سليم.
و الباقي من القبائل الأخرى المتجمعة.

خطة الحبيب ﷺ

شرع الصحابة في حفر الخندق و قد بلغ طوله خمسة آلاف ذراع (4,5 كيلو) و عرضه تسعة أذرع و عمقه ما بين سبعة إلى عشرة أذرع (5 أمتار). و وزع الرسول ﷺ المسلمين على منطقة الحفر، فكلف كل 25 واحد بحفر مساحة من الأرض و عمل معهم ﷺ بنفسه و كان البرد شديداً و الطعام قليلاً و لكن قوة الإيمان غلبت الجوع و البرد، و كان رسول الله ﷺ يشد على بطنه حجراً من شدة الجوع و يردد مع صحابته الأهازيج قصد تشجيعهم و تحميسهم.

و أثناء ذلك حدثت عدة معجزات أكرم الله بها نبيه ﷺ :منها معجزة تكثير الطعام، و زيادة البركة فيه، حتى إن اليسير منه الذي لا يكاد يكفي شخصا أو شخصين يسد حاجة الجمع الغفير، و العدد الكبير من القوم، و هذه المعجزة لرسول الله ﷺ تكررت في أماكن مختلفة و في مناسبات عديدة.فقد أطعم ﷺ أهل الخندق، و هم قرابة ألف نفر من صاع شعير، فشبعوا و انصرفوا، و الطعام بقي كما كان، فقد جاء في الحديث المتفق عليه أن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: رأى جوعاً شديداً بالنبي ﷺ، فانطلق إلى بيته، و أخرج جراباً فيه صاع من شعير و صدر دجاجة، و جهز هو و زوجته الطعام، ثم دعا رسول الله ﷺ إليه، فجاء النبي ﷺ و أهل الخندق معه، و أخبر جابراً بألا ينزل القدر، و ألا يخبز الخبز، حتى يأتيه و يبارك فيه، ثم أكلوا جميعاً و شبعوا، و الطعام كما هو.

> **هذه قصة في الإيثار**
> **مهما كان الفقر شديدا فنتعلم ألا نأكل و غيرنا جائع**

تقبل الفكرة

لم يرفض الحبيب ﷺ فكرة سلمان الفارسي رغم كونها فكرة جديدة. فالمجتمع الذي عاش فيه الرسول ﷺ كان يتميز بالمرونة و سهولة الحركة و ذلك بسبب الشورى في حين أن مجتمعاتنا أصبحت ثقيلة كل واحد منا يعيش لنفسه فقط لا يهمه المجتمع و لا يشعر أنه مجتمعه و ينتمي إليه.

> **لنتعلم الإنصات للآخر**
> **لنستمع لآراء كبارنا و صغارنا، آبائنا وأبنائنا**



المحاور الرئيسية التي أقرها الرسول ﷺ لتنفيذ الخطة:

1- لا نخرج من المدينة.
2- نحفر الخندق و نحميه.
3- لابد من مكان آمن للنساء و الأطفال.

المحاور الثانوية:

أولاً: جعل جبل سلع مكان مراقبته ﷺ للخندق.
ثانياً: تقسيم الجيش إلى مجموعات كل مجموعة مسؤولة عن حفر مكان و حمايته، و على رأسها قائد المجموعة.
ثالثاً: المراقبة، مراقبة القائد لمجموعته، و مراقبة عمر و أبو بكر للقادة، و مراقبته ﷺ للجميع.
رابعا: تشجيع الحبيب ﷺ بالنزول و العمل مع جميع المجموعات بحمل التراب من أسفل إلى أعلى الخندق و عمره 58 سنة ﷺ.

انظر إلى المجهود الجبار الذي قدمه حبيبك ﷺ لكي يصلنا الإسلام اليوم.
فلنستشعر ثقل هذه الرسالة و لا نخذلها.

روح الصحابة

شارك جميع المسلمين في الحفر، لا فرق بين غني و فقير، مولى و أمير، و أسوتهم في ذلك الرسول ﷺ الذي حمل التراب حتى أغبر بطنه و وارى التراب جلده، و كان الصحابة يستعينون به في تفتيت الصخور التي تعترضهم و يعجزون عنها، و ذلك لكون أرض المدينة أرض صحراوية قاسية، فيفتتها لهم.
كانت الروح المعنوية للصحابة متقلبة فأحيانا تجدهم متخوفين من عدم إنهاء الحفر في الوقت المناسب و بالتالي فالنصر غير مضمون و أحيانا أخرى تجدهم متحمسين يرددون بأعلى أصواتهم الشعر.
شعر حسان بن ثابت و هو يرفع الروح المعنوية للجيش و يقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ....و لا تصدقنا و لا صلينا
فأنزلن سكينة علينــــــا.......و ثبت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينــــا......و إن أرادوا فتنة أبينـــا

فيقول الحبيب ﷺ أبينا أبينا، قال عمر: فقلت معه أبينا أبينا. و كان يمد بها صوته بآخرها، و يرتجز المسلمون و هم يعملون: نحن الذين بايعوا محمداً..على الإسلام ما بقينا أبدا، فيجيبهم الحبيب ﷺ:

اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة فبارك في الأنصار و المهاجرة
اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار و المهاجرة

كان هناك صحابي اسمه جعيل فسماه الحبيب عمر بدل جعيل، فكان يقول عنه حسان:
سماه بعد جعيل عمرا.... و كان دوماً له ظهرا

و كان ﷺ يردد معه.

كان الحبيب ﷺ رحيما

معجزة الخندق

أجرى الله سبحانه و تعالى على يدي نبيه محمد ﷺ معجزة عندما اعترضت صخرة الصحابة و هم يحفرون، ضربها الرسول ﷺ ثلاث ضربات فتفتت. قال إثر الضربة الأولى**:"الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام ، و الله إني لأبصر قصورها الحمراء الساعة"** ، ثم ضربها الثانية فقال : **"الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس و الله إني لأبصر قصر المدائن أبيض"** ، ثم ضرب الثالثة ، و قال: **"الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذه الساعة".**

وفي هذا الحديث بشارة بأن هذه المناطق سيفتحها المسلمون مستقبلاً، و كان موقف المؤمنين من هذه البشارة ما حكاه القرآن الكريم**:" وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً "** الأحزاب:22، و موقف المنافقين الذين سخروا من البشارة: **" وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً "** الأحزاب:12.
و لقد صورت الآيات من 13 إلى 20 من سورة الأحزاب نفسية المنافقين تصويراً دقيقاً، و حكت أقوالهم في الإرجاف و التخذيل، و أساليبهم في التهرب من العمل في حفر الخندق و جهاد العدو :



"وَ إِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَ يَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَ مَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا وَ لَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَ مَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا وَ لَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَ كَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُولًا قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَ إِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَ لَا نَصِيرًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَ الْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَ لَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَ كَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَ إِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَ لَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا"

و بالرغم من تخذيل المنافقين و قلة الطعام و شدة البرد فقد تم حفر الخندق ليكون خطا دفاعيا متيناً ثم جمع النساء و الأطفال و أصحاب الأعذار في حصن فارغ، و هو لبني حارثة، و هو أمنع حصون المسلمين آنذاك.

و كانت خطة المسلمين أن تكون ظهورهم موجهة إلى جبل سلع داخل المدينة و وجوههم إلى الخندق الذي يشكل الحاجز بينهم و بين المشركين.

المعركة

أكمل المسلمون الخندق في وقته المحدد، و وصلت قريش و القبائل فإذا بالمفاجأة: حفرة الخندق، فقالت القبائل: هذه مكيدة لا يعرفها العرب.

فحاصروا المسلمين 24 يوماً و لم يكونوا مستعدين للحصار فلم يحضروا معهم طعاماً و لا شراباً. و كان خالد بن الوليد و عمرو بن العاص يسيرون على الخندق منتظرين أية غفلة من المسلمين لينقضوا عليهم، غير أن مراقبة الحبيب ﷺ للخندق كانت مراقبة شديدة: مراقبة القائد للمجموعة و مراقبة سعد بن معاذ للقادة و مراقبة أبي بكر و عمر لسعد و مراقبة الحبيب ﷺ لأبي بكر و عمر.

و عندما نظر الرسول ﷺ إلى حال العدو و حال المسلمين، و رأى ضعف المسلمين و قوة المشركين، أراد أن يكسر شوكة المشركين، فبعث إلى سعد بن معاذ و سعد بن عبادة زعيمي الأنصار، فاستشارهما في الصلح الذي عرضته عليه قبيلة غطفان، و هو أن يعطوا ثلث ثمار المدينة لمدة سنة كاملة لكي ينصرفوا عن قتال المسلمين، و لم يبق إلا التوقيع على صحيفة الصلح، فرفضا و قالا له: لا و الله ما أعطينا الدنية من أنفسنا في الجاهلية فكيف و قد جاء الله بالإسلام. و في رواية أخرى: يا رسول الله: أ وحي من السماء فالتسليم لأمر الله، أو عن رأيك أو هواك؟ فرأينا تبع هواك و رأيك، فإن كنت إنما تريد الإبقاء علينا، فوالله لقد رأيتنا و إياهم على سواء ما ينالون منا ثمرة إلا شراء أو قرى. فقطع رسول الله ﷺ المفاوضة مع الأعراب الذين كان يمثلهم الحارث الغطفاني، قائد بني مرة.

و في الجانب الآخر أراد يهود بني النضير أن يجروا معهم إخوانهم يهود بني قريظة إلى نقض العهد و الغدر بالمسلمين و الوقوف مع الأحزاب. فأوفدوا حيياً بن الأخطب للقيام بهذه المهمة. فجاء حيي إلى كعب بن أسد القرظي و بعد حوار طويل بينهما أقنعه بنقض العهد مع المسلمين بحجة قوة الأحزاب و مقدرتهم على استئصال المسلمين، و أغراه بأن يدخل معه حصنه عندما ينصرف الأحزاب، بعد أداء مهمتهم.

و كان اليوم الذي علم فيه المسلمون نقض بني قريظة للعهد الذي بينهم و بين المسلمين يوما عصيباً. و تكمن خطورة ذلك في موقع بني قريظة الذي يمكنهم من تسديد ضربة غادرة للمسلمين من الخلف. فقد كانت ديارهم في العوالي إلى الجنوب الشرقي للمدينة على وادي مهزور.

و قد كان الزبير هو المكلف بالتأكد من صحة خبر غدر بني قريظة، فأتى النبي ﷺ بما يدل على ذلك، و يومها قال له الرسول ﷺ: **"فداك أبي و أمي، إن لكل نبي حوارياً، و حواريي الزبير.** و لزيادة الحيطة و الحذر و التأكد من مثل هذه الأمور الخطيرة، أرسل الرسول ﷺ سعد بن معاذ و سعد بن عبادة و عبد الله بن رواحة و بن جبير، فجاؤوا إلى بني قريظة و تحدثوا معهم، و وجدوهم قد نكثوا العهد و مزقوا الصحيفة التي بينهم و بين رسول الله ﷺ إلا بني سعية، فإنهم جاؤوا إلى المسلمين وفاء بالعهد. و عاد رسل المسلمين إلى الرسول ﷺ بالخبر اليقين. فأخبرهم النبي ﷺ إذا كان الأمر صحيحاً فليعطوه إشارة لا يعرفها أحد حتى لا يحبط المسلمين و إذا كان الأمر غير صحيح فليتكلموا، فقال له سعد: يا رسول الله عُضل و قارة (يتكلم على السبعين الذين بعثهم الرسول ﷺ ليعموا الاسلام فقتلوا)، ففهم الحبيب ﷺ و قال: **"الله أكبر أبشروا بنصر الله"** (لرفع الروح المعنوية للمسلمين) و جلس ﷺ يفكر و لا يكلم أحدا.

و عندما شاع هذا الخبر، انخفضت الروح المعنوية للصحابة و خشي المسلمون على أسرهم من بني قريظة، و مروا بوقت عصيب و ابتلاء عظيم. و نزل القرآن واصفاً هذه الحالة: **" جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً "**الأحزاب:9-10.

فالذين جاؤوهم من فوقهم هم الأحزاب، و بنو قريظة من أسفل منهم، و الذين ظنوا بالله الظنونا هم المنافقون. أما المؤمنون فقد صمدوا لهذا الامتحان، و اتخذوا كل الوسائل الممكنة لاجتيازه.



دور المرأة في الحرب

أرسل بنو قريظة جنديا لهم ليستكشف عن الجهة الخلفية (جهة النساء و الأطفال)، فقالت صفية بنت عبد المطلب عمة الرسول ﷺ و أم الزبير بن العوام لحسان: اقتله ياحسان، و لكن حسان قال لها: ما أنا بذلك الرجل لو كنت بذلك الرجل لكنت مع رسول الله، فأخذت صفية حديدة و ضربت بها الرجل فمات، فضربته ضربة أخرى لتتأكد، فقالت

لحسان: خذ السلاح، قال: ما أنا بذلك الرجل، فقالت: اقطع رأسه و ارمه أمامهم ليعلموا أن هناك حراسا في هذه الجهة، قال: ما أنا بذلك الرجل، فقطعت رأسه و رمت به إلى حصونهم، فالتفت حسان إلى الجهة الأخرى. و عندما قسم الحبيب ﷺ الغنائم ترك نصيبا لأم الزبير تكريماً لها لأنها أنقذت الجهة الخلفية.

نزول أول شخص في الخندق

نزل عمر بن ود و كان فارساً شديداً لا يهزم في أية معركة، فقال: من يبارزني؟ فصمت الجميع، فقال: أجبنتم؟ فصمت الجميع، فقام علي و قال: أنا له، فقال له رسول الله ﷺ: "اجلس يا علي إنه عمر بن ود"، قال علي: إن كان عمراً فأنا علي، و كان عمره آنذاك 26 سنة، فقال له الحبيب ﷺ: "خذ سيفي" ثم بدأ يدعو له و يقول: "اللهم أعنه، اللهم أعنه، اللهم إنك أخذت أبا عبيدة في بدر و حمزة في أحد، اللهم هذا علي فلا تتركني وحيداً". فنزل له علي، فقال له عمر: من أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب، قال له عمر: يا بني إن أباك كان صديقاً لي، فارجع فإني لا أحب أن أقتلك، فقال له علي: و لكني أحب أن أقتلك، و أخيرك بين ثلاث:
1- أن تشهد أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله.
2 -أن تعود إلى ديارك و لا تحاربنا.
3- أن أقتلك.

فغضب عمر فبدأ الغبار يعلو و يعلو و الجميع يترقب من الذي فاز و الحبيب ﷺ يدعو:" اللهم أعنه، اللهم أعنه"، فإذا بصوت يخرج من بين الغبار يقول: الله أكبر، الله أكبر، فقال ﷺ لعلي: "إرم عليهم رأس عمر ليخافوا".
و قتل في هذه المناوشات ثلاثة من المشركين و استشهد ستة من المسلمين منهم سعد بن معاذ، الذي أصيب في أكحله، عرق في وسط الذراع، رماه حبان بن العرقة. و قد نصبت له خيمة في المسجد ليعوده الرسول ﷺ من قريب، ثم مات بعد غزوة بني قريظة، حين انتقض جرحه و كانت تقوم على تمريضه رفيدة الأسلمية و هي أول ممرضة في الإسلام. و عندما أصيب سعد دعا ربه أن يشهده نصر غزوة الأحزاب و انتقامهم من بني قريظة فتوقف سير دم الجرح إلى حين انتهاء المعركة.

التأييد الرباني

لقد كفى الله المؤمنين القتال فهزم الأحزاب بوسيلتين :
الأولى : تسخير الله نعيم بن مسعود ليخذل الأحزاب،
الثانية : الرياح الهوجاء الباردة.

دور نعيم بن مسعود

جاء رجل من بنو أشجن و قد أسلم و قبيلته بنو أشجن كافرة، فقال للنبي ﷺ: إني معكم، فقال له ﷺ :"إنما أنت رجل واحد فينا، و لكن اخذل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة". فقال نعيم لرسول الله ﷺ: إني سأقول فيك ما أقول، قال ﷺ: "قل يا نعيم"، فذهب إلى بني قريظة، فأقنعهم بعدم التورط مع قريش في قتال حتى يأخذوا منهم خمسين رهينة من أشراف قريش، لكيلا يولوا الأدبار، و يتركوهم وحدهم يواجهون مصيرهم مع المسلمين بالمدينة. ثم أتى قريشا فأخبرهم أن بني قريظة قد ندموا على ما فعلوا ، و أنهم قد اتفقوا سرا مع رسول الله ﷺ على أن يختطفوا خمسين من أشراف قريش و غطفان فيسلموهم له ليقتلهم دليلا على ندمهم ، و قال لهم : فإن أرسل إليكم اليهود يلتمسون منكم 50 رهينا من رجالكم فإياكم أن تسلموهم رجلا منكم. ثم أتى غطفان و قال لهم مثل الذي قاله لقريش، و بذلك زرع بذور الشك بينهم، و أخذ كل فريق يتهم الفريق الآخر بالخيانة، و الجميع يقولون: صدق نعيم، نعم صدق نعيم.

نُعيم لم يذكر في سيرة النبي ﷺ إلا في هذه القصة...
رجل واحد نصر جيشا بل أمة

و بدأ الحبيب ﷺ في ليلة الأربعاء اليوم 24 من الحصار، يدعو:**"اللهم منزل الكتاب، مجري السحاب، هازم الأحزاب اهزمهم و أرنا فيهم عجائب قدرتك يارب العالمين اللهم أرنا فيهم يوما أسودا كيَوم فرعون و هامان و أبي بن خلف يارب العالمين اللهم استر عوراتنا اللهم آمن عوراتنا و آمن عوراتنا اللهم احفظنا من بين أيدينا و من خلفنا و عن يميننا و عن شمالنا و من فوقنا و نعوذ بعظمتك أن تقتلنا من تحتنا"** حتى جاء أمر الله لما صبروا و ثبتوا و كانوا رجالا مطيعين لله و رسوله.



معجزة الريح

هبت ريح هوجاء في ليلة مظلمة باردة، فقلبت قدور المشركين و اقتلعت خيامهم و أطفأت نيرانهم و دفنت رحالهم، فما كان من أبي سفيان إلا أن ضاق بها ذرعا فنادى في الأحزاب بالرحيل. و كانت هذه الريح من جنود الله الذين أرسلهم على المشركين، و في ذلك يقول الله تعالى:**" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً"** الأحزاب:9.

قال حذيفة : لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب، و أخذتنا ريح شديدة و قر، فقال رسول الله ﷺ : "ألا رجل يأتيني بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة"، فسكتنا فلم يجبه منا أحد، ردد ذلك ثلاثا، ثم قالﷺ : "قم يا حذيفة فأتنا بخبر القوم"، فلم أجد بداً إذ دعاني باسمي أن أقوم. قال ﷺ : "اذهب فأتني بخبر القوم و لا تذعرهم علي" فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشي في حمام، حتى أتيتهم، فرأيت أبا سفيان يصلي ظهره بالنار، و يدعو القوم ليخبرهم بشيء عظيم فوضعت سهما في كبد القوس، فأردت أن أرميه، و لو رميته لأصبته، فتذكرت قول رسول الله ﷺ : "ولا تذعرهم علي" فجلست معهم و استمعت إلى حديثهم فإذا بأبي سفيان يقول: فلينظر كل واحد إلى من يجالسه فإني لا آمن جنود محمد فبادرت أقول للذي بجانبي: من أنت؟ قال: عمرو بن العاص، ثم قلت للذي عن يميني: من أنت؟ قال: معاوية بن أبي سفيان، قلت: نعم، قال عمرو بن العاص رضي الله عنه عندما أسلم: عندما عرفت بما فعل حذيفة ضحكت سنة كاملة و قلت: أنا من يُفعل بي هكذا؟، فرجعت، و أنا أمشي في مثل الحمام. فلما أتيته فأخبرته بخبر القوم و فرغت، فألبسني رسول الله ﷺ من فضله عباءة كانت عليه يصلي فيها. فلم أزل نائما حتى أصبحت فقال: "قم يا نومان".

و ختم الله هذا الامتحان الرهيب بهذه النهاية السعيدة، و جنب المسلمين شر القتال، قال تعالى: **" وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً "**. الأحزاب:25. و كانت هذه الخاتمة استجابة لتضرع النبي ﷺإلى الله أثناء محنة الحصار: **"اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم".**

لقد بذلت الأحزاب أقصى ما يمكنهم لاستئصال المسلمين، و لكن الله ردهم خائبين، و هذا يفيد أنهم لن يستطيعوا أن يفعلوا شيئا في المستقبل، و لهذا قال الرسول ﷺ : "الآن نغزوهم و لا يغزوننا، نحن نسير إليهم" هذا علم من علوم النبوة، لأن الذي حدث بعد هذا هو ما ذكره الرسول ﷺ .

غزوة بني قريظة

وقعت هذه الغزوة بعد غزوة الأحزاب مباشرة، في آخر ذي القعدة و أول ذي الحجة من السنة الخامسة الهجرية.

و واضح من سير الأحداث أن سبب الغزوة كان نقض بني قريظة العهد الذي بينهم و بين النبي ﷺ، بتحريض من حيي بن أخطب.

و قد أرسل الرسول ﷺ الزبير لمعرفة نيتهم، ثم أتبعه بالسعدين و ابن رواحة لذات الهدف ليتأكد من غدرهم، و لأن هذا النقض و هذه الخيانة قد جاءت في وقت عصيب، فقد أمر الله تعالى نبيه بقتالهم بعد عودته من الخندق و وضعه السلاح، و امتثالاً لأمر الله أمر الرسول أصحابه أن يتوجهوا إلى بني قريظة، و توكيدا لطلب السرعة أوصاهم قائلاً: "لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة"، كما في رواية البخاري، أو الظهر كما في رواية مسلم.

و عندما أدركهم الوقت في الطريق، قال بعضهم: لا نصلي حتى نأتي قريظة، و قال البعض الآخر: بل نصلي، لم يرد منا ذلك، فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنف واحدا منهم. و هذا اجتهاد منهم في مراد الرسول ﷺ.

خرج الرسول ﷺفي ثلاثة آلاف مقاتل معهم ستة و ثلاثون فرساً و ضرب الحصار على بني قريظة لمدة خمس و عشرين ليلة على الأرجح، و ضيق عليهم الخناق حتى عظم عليهم البلاء، فرغبوا أخيرا في الإستسلام و قبول حكم سعد، فلما دنا من المسلمين قال الرسول ﷺ للأنصار: "قوموا إلى سيدكم أو خيركم" ، ثم قال:" إن هؤلاء نزلوا على حكمك". قال: تُقتل مقاتلتهم و تُسبى ذراريهم و تُقسم أموالهم. فقال له النبي ﷺ: "قضيت بحكم الله تعالى".

و نفذ الرسول ﷺحكم الله فيهم، و كانوا أربعمائة على الأرجح. و لم ينج إلا بعضهم، و هم ثلاثة، لأنهم أسلموا، فأحرزوا أموالهم. فانفجرت الدماء من سعد و استجاب الله لدعوته فاحتضنه الحبيب و كله دم و هو يقول:" مات سعد فاهتز عرش الرحمن لموته و نزل سبعون ألف ملك يصلون عليه ".



دروس و عبر من غزوة بني قريظة

1- جواز قتل من نقض العهد.
2- جواز التحكيم في أمور المسلمين و مهامهم، كما في تحكيم سعد بن معاذ.
3- مشروعية الاجتهاد في الفروع، و رفع الحرج إذا وقع الخلاف. فقد اجتهد الصحابة في تفسير قول الرسول ﷺ: "ألا لا يصلين أحد العصر أو الظهر إلا في بني قريظة"، لم يخطئ الرسول ﷺ أحدا منهم.

الدروس المستفادة

1- " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة"
2 - العدالة و المساواة بين القائد و أفراد جيشه
3 - الرأفة بالمؤمنين
4 - مبدأ الشورى
5 - التضحية من أجل الرسالة



حادثة الإفك ... نور لنا إلى يوم القيامة

المنافقون في المدينة

لم تقتصر الفترة المدنية على الحروب و القتال فقط بل كانت أيضا فترة الآداب الاجتماعية، و التربية و الرقي بالذات وقد بلغ كان عدد المنافقين سبعمائة. و كانوا بدءا يؤذون بالحديث من دون إظهار الكفر.

و من ذلك، أثناء زيارة الحبيب ﷺ لسعد ابن عبادة ، و في طريقه خاطبه عبد الله قائلا : غبرت علينا (أي طيرت الغبار علينا) هلا تعود إلى بيتك.و لم يرد عليه ﷺ.

و بعد غزوة بدر، فرضت قوة الإسلام حينها على المنافقين تعظيم الدين و إعلاءه، فكلما صعد الحبيب ﷺ ليخطب خطبة الجمعة إلا و يأتي قبله عبد الله بن سلول ليهتف بقوله : هذا رسول الله فعظموه و وقروه و اسمعوا لكلامه.
و في غزوة أحد سحب عبد الله بن سلول ثلث الجيش و عاد به إلى المدينة. فقال له أحد الأنصار: اذهب يستغفر لك رسول الله بما عملت، فرد عليه : لا أريد استغفاره.

و بعد غزوة الأحزاب أدرك المنافقون أن محاربة الحبيب ﷺ بالسلاح لا تنفع، فقرروا أن يحاربوه بسلاح أقوى من الحرب و هو حرب الإعلام. و ذلك بأن ينشروا أخبار غير صحيحة عن الفواحش و عن أشياء تحدث في المدينة بل في بيت الحبيب ليتفكك المجتمع.

و بدأ المنافقون بتنفيذ مخططهم فعلا، و هنا يجب التذكير أن عبد الله بن سلول آذى الحبيبﷺ أكثر من أبي سفيان و أبي جهل.

و بدأت أولى محاولاتهم للنيل من الإسلام بزرع الفتنة بين المسلمين بعد غزوة بني المصطلق التي انتصر فيها المسلمون و كانت حربا سهلة جدا، فلما شهد المنافقون انتصار المسلمين خططوا لإقامة نزاعات و تفرقات بين الصفوف، و السبب في ذلك أنه وقع الخلاف على بئر ماء بين أجير لعمر بن الخطاب رضي الله عنه و حليف للخزرج، فتشاجر الغلامان و تعاركا فاجتمع إليهم الناس فصرخ الأجير يا معشر المهاجرين و صرخ الحليف يا معشر الأنصار، فأوشك النزاع أن ينشب بين بعض المهاجرين و الأنصار و أراد المنافقون إثارة الفتنة فصرخ منهم صارخ يا لقوم فلان و صرخ آخر يا لقوم فلان.

فلما سمع الحبيب ﷺ غضب غضبا شديدا لم يغضب لأمر أكبر منه، فخرج مسرعاً يقول "أو بدعوى الجاهلية و أنا بينكم؟!دعوها فإنها منتنة"
فيأتي عبد الله بن سلول يريد إشعال الفتنة، حيث قصد الخزرج يدعي قائلا : " هؤلاء الذين استضفناهم عندنا فأهانونا " فبدأ بزرع الفتنة. و وصل إلى الحبيب ﷺ كلام عبد الله بن سلول فغضب فقال له عمر رضي الله عنه : "أأقطع رقبته؟ " قال الحبيب : " لا يقتل محمد أصحابه ".

فقام الحبيب بمبادرة صغيرة. جمع الجيش و خرج به، يقولون : فمشى بنا النهار فقلنا سيرتاح الليل فمشى بنا الليل فقلنا سيريحنا الفجر فمشى بنا الفجر فقال سعد ابن عبادة : "أو لا نرتاح يا رسول الله؟" فقال له الحبيب ﷺ : ألم تسمع ما قال صاحبكم؟ فشغلهم بالسير عن الفتنة و شغلهم بالحق عن الباطل.

حادثة الإفك

رجع رسول الله ﷺ من غزوة بني المصطلق و في طريق العودة تحكي أمنا عائشة رضي الله عنها : و لما دنونا من المدينة نزلنا منزلاً فبتنا فيه بعض الليل ثم أذن مؤذن رسول الله ﷺبالرحيل، قالت : فقمت فمشيت حتى جاوزت الجيش لأقضي حاجتي و فى عنقي عقد لأخت فلما قضيت شأني انسَلّ من عنقي و لا أدري، ثم أقبلت إلى رحلي و تلمست صدري فلم أجد العقد وقد أخذ الناس في الرحيل، قالت فرجعت أتلمس العقد (حرصا على الأمانة) فحبسني طلبه و أقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه و هم يحسبون أني فيه، و كان النساء إذ ذاك خفافاً فلم يستنكروا خفة الهودج، قالت : فوجدت العقد بعد ما استمر الجيش جئت منازلهم فإذا هي بلقع ليس بها داعٍ و لا مجيب جلست في مكاني متلفقة بحجابي أسبح الله و أستغفر الله قالت : فأخذني النوم و إذا برجل من أهل بدر هو صفوان بن المعطل رضى الله عنه، هذا المجاهد الذي يقول عن نفسه بعد أن رمي بالفاحشة "و الذي نفسي بيده ما كشفت خمار أنثى لا تحل لي في جاهلية و لا إسلام"، أتى إلى مكان عائشة فرآها و عرف أنها زوجة المصطفى ﷺ لأنه يعرفها قبل الحجاب قالت عائشة : و الذي نفسي بيده ما كلمني كلمة و لا سلم عليّ حتى السلام و إنما سمعته يقول إنا لله و إنا إليه راجعون ، ثم أناخ بعيره فقمت و ركبت بعيره فأخذ زمام البعير يمشى به و لا يلتفت و لا يتكلم و إنما تقول عائشة كنت أسمعه يسبح الله و أتى بها في الظهيرة و هي على بعيره.
قالت فبدأ المنافقين يسيؤون الظن بي و أما المؤمنون فأحسنوا الظن و لكن...

بدأ المنافقون يقولون على زوجة الحبيب ﷺ بأنها تأخرت مع صفوان من أجل أمر و هو الزنا، لقد كذبوا على أم المؤمنين رضي الله عنها. و هذا ما يسمى بالإفك و هو أشد أنواع الكذب.



و انطلق الجيش إلى المدينة و لا زال المنافقون يشهرون و يلصقون هذه التهمة برسول الله ﷺ و بفراشه الطاهر فلما وصل ﷺ إلى المدينة سمع الخبر و أتاه النبأ العظيم فضرب في صميم قلبه.

و من رحمة الله على السيدة عائشة أن جعلها تمرض طوال الشهر الذي انتشرت فيه الإشاعة إلا في الثلاث الأيام الأخيرة. و تحمل ﷺ هذه اللطمة التي لم يصب بمثلها فذهب إلى بيته و سلم على زوجه و هي مريضة في فراشها و لم تكن تدر أنها متهمة و أن المنافقين قد ألصقوا بها أعظم فرية و هي مريضة على الفراش سلم عليها ﷺ، قالت عائشة :" و لم أر منه ذاك الحنان و العطف الذي كنت أراه منه كلما مرضت "، قالت : كان يقول لي :"كيف حالك يا عائشة؟". و كنت أراه مهموماً.

قالت عائشة : و لم أعلم الخبر ولم أدر ما السر، قالت : فلما شفيت من مرضي خرجت مع نساء في ضاحية من ضواحي المدينة و كان معنا امرأة اسمها أم مسطح صالحة من الصالحات و ولدها صالح من الصالحين من أهل بدر لكنه وقع في هذه الريبة و نشر الخبر و ساعد في نشر التهمة كما يفعل بعض الناس الآن فلما أصبحنا في الصحراء عثرت هذه المرأة الصالحة فقالت تعس مسطح، و العرب تدعو على عدوها بالتعاسة إذا أصيبت، قالت عائشة فقلت لها كيف تدعين على ابنك و هو من الصالحين من أهل بدر. قالت إنك ما علمت ماذا قال و ماذا فعل. قالت عائشة وماذا قال؟ قالت اتهمك هو و أمثاله في عرضك و قالوا إنك ارتكبت الفاحشة مع صفوان. قالت عائشة فسقطت على وجهي مغشياً عليّ من البكاء رفعها النساء إلى فراشها في بيت أبيها و أما رسول الله فبقي شهراً كاملاً لا ينزل عليه الوحي يتلمس متى يسمع النداء العلوي ليشفي غليله في هذه المشكلة ما عنده دلائل و ما عنده براهين لا يعلم الغيب اضطربت عنده الأمور ﷺ يثق في زوجه لكنه بشر.

تقول : فجريت إلى البيت أقول لرسول الله أتأذن لي أن أذهب إلى بيت أبي و أمرض عند أمي فأذن لها. و بسبب الإشاعة انقسمت المدينة إلى أربعة أقسام:

1- الأغلبية : لا يصدق و لا يكذب أي صامت.

2 - أقلية : و هي من تكذب الخبر مثل أبو أيوب و زوجته.
يا أبا أيوب: أما تسمعٌ ما يقولُ الناس في عائشة رضي الله عنها ؟ قال :نعم، و ذلك الكذب، أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا والله، ما كنتُ لأفعله، قال: فعائشة و الله خيرٌ منك.

ثم سأل أمِّ أيوب: ألا ترين ما يُقال؟ فقالت: لو كنتَ بدل صفوان، أكنت تظنٌّ بحرمةِ رسول الله ﷺ سوءاً ؟ قال: لا. قالت: و لو كنتُ أنا بدل عائشةرضي الله عنهاما خنتُ رسول الله ﷺ. فعائشة خيرٌ مني، و صفوان خيرٌ منك.

3 - قسم ثالث: لا يصدق و لا يكذب و لكنه يعتبرها قصة مثيرة صالحة للنشر، و من الذين نشروا القصة حسان بن ثابت و حمنة بنت جحش أخت زينب بنت جحش زوج الحبيب ﷺ و قامت بذلك لأن أختها الأقرب بعد عائشة لرسول الله ﷺ و هي قرشية.

4 - قسم رابع :الذين ألفوا هذا الكلام أنفسهم وهم "المنافقون".

و كان أبو بكر يبكي طول اليوم، و أما صفوان فقد أخذ قوساً فأصاب به حسان في رأسه، فذهب حسان يشكوه عند رسول الله. فقال له صفوان يا رسول الله إنه يشتمني في عرضي. فقال الحبيب ﷺ إذهب يا صفوان و أنت يا حسان سأعطيك حقك مني خذ هذا البستان لك.

إلى الآن ورغم كل هذه الضغوطات لم ينزل جبريل، لماذا؟ ليتعلم المجتمع.

قالت السيدة عائشة: جلست أبكي ثلاثة أيام لا أرى لعيني نوماً و أحس أن كبدي سينفطر.

كل هذاالصبر يا رسول الله و يا أمنا عائشة من أجل أن يتعلم المجتمع
فلنحذر أن نتكلم في عرض امرأة أبدا...

خلال هذه الأحداث كان للحبيب ﷺ صفتان : صفة الزوج و صفة المحايد باعتباره قائد الدولة. و أمامه ثلاثة حلول هي :
1- أن يطلقها.
2- أن يدافع عنها ولو بالقوة كإصدار حكم مثلا "بمن يتكلم عن أهل بيتي يسجن شهراً كاملا".
3- يقف موقف المحايد و يترك المجتمع يقرر.



و لكنه ﷺ قام بشيء آخر غير هذه الحلول، عقد سلسلة من اللقاءات مع من هم متأكدون من براءة زوجته ليخرجهم من صمتهم فيتحدثون. و الهدف أن تخبر هذه الفئة المجتمع أن عائشة بريئة.
فيذهب إلى أم أيمن ليسألها : " أسمعت ما قال الناس، ماذا تقولين أنت؟ قالت:" أحمي سمعي و بصري والله ما علمت عنها إلا خيراً".
و يذهب إلى زينب بنت جحش زوجها و يسألها :" هل سمعت ما قال الناس، ماذا تقولين أنت!!؟ " قالت:"أحمي سمعي و بصري و الله ماعلمت عنها إلا خيراً".

و يبعثُ ﷺ إلى أسامة بن زيد رضي الله عنه حبه القريب إلى قلبه، و يبعثُ إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يستشيرهما في خاصةِ أمره. أمّا علي رضي الله عنه فأشار بأنَ اللهَ لم يُضيق عليه، و يشيرُ مع هذا بالتثبتِ من الجاريةِ ليُطمئِن قلب رسول الله ﷺ و يستقر على قرار.

و أما أُسامة فيدركُ ما بقلبِ رسول الله ﷺ من الود لأهله، فيشيرُ بما يعلمهُ من طهارة أم المؤمنين و كذب المفترين الأفاكين. ثم يسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول له : " أسمعت ما قال الناس! ماذا تقول أنت؟" قال عمر: من زوجك إياها يارسول الله؟ قال ﷺ: "الله زوجني إياها"، فقال عمر : "أتظن أن الله يدنس عليك"

يقول أحد المستشرقين : " كلما أريد أن أكذبه (يقصد الحبيب ﷺ) تصادفني حادثة الإفك فأصدقه. فقد صبر شهراً ولم يصبر مثله أحد ولم يؤلف وحياً "

و في أحد الايام يصعد الحبيب ﷺ على المنبر ويقول : " أيها الناس بلغني أن رجلا يؤذيني في أهلي و ما علمت عن أهلي إلا الخير و شهد الناس على ذلك، و قد ذكروا لي رجلا فمن يعذرني في حقي من هذا الرجل" .
فيقول سيد الأوس إن كان منا فنضرب عنقه و إن كان من إخواننا الخزرج أأمرنا فنقطع عنقه، فيقول سيد الخزرج كذبت. و يحدث شجار بين الطرفين، فيقول لهم الحبيب و هو حزين : " أبدعوى الجاهلية و أنا بينكم عودوا إلى بيوتكم ".

و يذهب الحبيب ﷺ إلى عائشة، قالت فجلس ﷺ ثم شهد أن لا إله إلا الله ثم حمد الله الذي بنوره تقوم السماوات و الأرض ثم قال : "يا عائشة إن كنت بريئة فسيبرئك الله و إن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله و توبي إليه فإن العبد إذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه".

فتلعثمت من البكاء لا تستطيع الكلام تقول لأبيها: "أجب عني رسول الله فيم قال" فيبكي أبو بكر و يقول: " و الله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ".

قالت: فقلت لأمي أجيبي عني رسول الله فتبكي أمها و تقول:" والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺقالت: "فاستجمعت قواي و جف الدمع من عيني و قلت إني و الله قد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في نفوسكم و صدقتم به فإن قلت لكم إني بريئة لا تصدقوني و إن اعترفت لكم بأمر لم أعمله لتصدقنني، فو الله لا أجد لي و لكم مثلاً إلا أبا يوسف حين قال"فصبر جميل و الله المستعان على ما تصفون"" و ذهبت إلى فراشي و دعوت الله :قالت فاندفع أبي

و أمي باكيين أما رسول الله فلم يتحرك مهموماً به من الهم ما به، قالت فو الله ما غادر مكانه ﷺحتى أتاه الوحي، و كان إذا أتاه الوحي من السماء ثقل جسمه فاضطجع على فراشه و أخذ عرقه يتصبب من جبينه الطاهر فعرفنا أنه الوحي قالت

فو الله ما فزعت أما أبي فكادت نفسه أن تخرج خوفاً أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس تحدر العرق بعد ما استفاق ﷺ كالجمان من على وجه فجعل يمسح العرق و هو يبتسم و يقول:" يا عائشة أبشري إن الله قد برأك من فوق سبع سماوات براءة من الله" قلت: "و الله أني حسبت أن سوف أبرء برؤيا في منام رسول الله و ليس بقرآن يتلى إلى يوم القيامة".

فتهلل وجهها رضى الله عنها و قال لها أبوها أبو بكر رضي الله عنه:" يا عائشة قومي إلى رسول الله ﷺ فسلمي عليه و احمديه" قالت:" لا و الله لا أقوم و لا أحمده و لا أحمدك و لا أحمد أمي و إنما أحمد الذي أنزل براءتي من فوق سبع سماوات".

"إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ " النور : 11.

و تنزل الآيات :

" لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ لَوْلَا جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاء فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ



لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاء وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" النور 12-21.

و قال أبو بكر:" لن أصرف على مسطح" (وكان يصرف عليه لضعف حاله) بعد الآن بعد أن قال على أهلي ما قال و صدق المنافقين". فتنزل الآية : **" وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ "** النور : 22.

فعفا أبو بكر عن مسطح و أنفق عليه بعد الحادثة.

ثم يتوعد الله الذين يرمون المحصنات "عبدالله بن سلول" بالعذاب الأليم : **" إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ"** النور 23- 25.

الدروس المستفادة

1- عدم التشدق بأعراض الناس إن لم يكن معك أربعة شهود.
2- كيف نحمي المجتمع من الاساءات.
3-قاعدتان مهمتان عندما تسمع كلاما عن شخص ما :
- أن تضع حاجزا بين قلبك وأذنك : "لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ "
- حسن الظن بالناس.

قاعدة قلبية : و هي اعوذ بالله من الشيطان الرجيم لاتصدق يا قلب.
و قاعدة عملية: "لَوْلَا جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاء فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ" لاتتكلم إلا و معك أربعة شهود و إلا فأنت كذاب.

و هذاإنما هو درس لعامة الناس التي تسمع كلاما و تنشره دون تثبت. و درس خاص للإعلاميين ألا يتتبعوا أعراض الناس بكلام زائف حتى تباع صحفهم.

فالهدف من القصة هو ستر المجتمع و عدم انتشار الفاحشة فيه بالاستهزاء بالمعصية.



صلح الحديبية

جاءت السنة السادسة للهجرة، و قد أنهكت قريش خاصة بعد غزوة الأحزاب، و هزم المنافقون عسكرياً و إعلانيا، و العرب لا تستطيع أن تتدخل بعد غزوة الأحزاب، فأصبحت المدينة ساكنة هادئة. فهل يعني ذلك أن ينصرف المسلمون للصلاةو الصوم و التعبد ؟ لا، لأن الهدف الأساسي هو إصلاح الأرض و ما سبق من أحداث إنما هي أهداف تصب في هذا الهدف الكبير.

من أجل ذلك، جاءت خطوة و مبادرة من الحبيب ﷺ ليطرح خيارين : إما الحرب، أي حرب جديدة مع قريش أو السلم.

فاختار الحبيب ﷺ السلم و اختار الصحابة ما اختاره الحبيب رغم ما فعلته بهم قريش من سلب لبيوتهم و أموالهم لأنهم أصحاب رسالة و ليسوا أهل انتقام.

و من الله سبحانه و تعالى على رسوله برؤيا يجبر بها قريش على قبول السلم و طلب الصلح. فسر الحبيب بالمنام و قرر أن يقوم بالعمرة.

ابدأ بخطوة و الله سيعينك

أما قريش فكانت معروفة بين القبائل بزعامتها الدينية، و لن تستطيع منع الحبيب و أصحابه من أداء العمرة لأن ذلك سيكون مسا بكرامتها الدينية بين القبائل، فكانت بين خيارات ثلاث:

1- فإذا منعوا المسلمين فستفقد زعامتها بين القبائل و أما الحرب فلا تقوى عليها حاليا، و في الحالتين الرسول ﷺ و أصحابه رابحون.

2- أو تتركهم يدخلون فتقول القبائل أن المسلمين و قريشا ذوبت المشاكل بينهما فيكون الحبيب ﷺ و أصحابه المستفيدون أيضاً.

3- أو ترفض أن يدخلوا و تقبل بالصلح و في هذه الحالة الحبيب ﷺ و أصحابه أيضا هم الرابحون.

و قصد الحبيب ﷺ و أصحابه مكة في الشهر الحرام، و أخذوا معهم الهدي ليثبتوا حسن نيتهم، و حتى يثبتوا لقريش و العرب أنهم ما جاءوا محاربين.

و كانت روح المهاجرين أثناء ذلك، و عددهم 1400 مهاجر، كلها شوق إلى ديارهم، فها هم بعد ست سنوات سيعودون لبلدهم، دون أن ينسوا أنهم يقصدونها من أجل الرسالة.
أما موقف قريش فقد أقسمت ألا يدخل المسلمون إلى مكة، فأرسلت كتيبة مكونة من مائتي فارس بقيادة خالد بن الوليد لاختلاق اشتباكات مع المسلمين لكي تشيع قريش بعدها أن محمدا و أصحابه جاؤوا للقتال.

فأخبر سعيد و طلحة الحبيب ﷺ بأن خالدا بن الوليد خرج مع فرسانه أمام الحدود، و قد أقسموا ألا تدخل مكة حتى يموتوا.

فقام الحبيب ﷺ كعادته يسألهم: أشيروا علي أيها الناس.
فقال أبوبكر : خرجنا لعمرة فإن قاتلونا نقاتلهم حتى نكمل العمرة.

فقال الحبيب ﷺ : من يدلنا على طريق آخر نتجنب به الوصول إلى خالد؟ فقال رجل : أنا أدلك يا رسول الله

و لكن الطريق وعر، فمروا منها رغم ذلك، و عندما اقترب الرسول ﷺ من الحديبية بركت ناقته القصواء، فقال الصحابة رضي الله عنهم خلأت القصواء، فقال ﷺ: ما خلأت القصواء، و ما ذاك لها بخلق، و لكن حبسها حابس الفيل. ثم قال: "و الذي نفسي بيده، لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها "، ثم زجرها فوثبت، ثم عدل عن دخول مكة و سار حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد (بئر) قليل الماء، فما لبثوا أن نزحوه ثم اشتكوا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم العطش، فانتزع سهماً من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فجاش لهم بالري فارتووا جميعا.

الحبيب ﷺ الرحيم بالناس والحيوان

كلما أراد المستشرقون أن يضعوا الحبيب في شخصية واحدة تصادفهم في هذه القصه حادثة البئر لأنها معجزة تبين أنه نبي، و نذكرأنه كانت هناك كلبة تلد أثناء مرور الجيش إلى الحديبية فغير الحبيب ﷺ اتجاه الجيش كله من أجل ألا يروع هذه الكلبة....

و بذل الرسول ﷺ ما في وسعه لإقناع قريش أنه لا يريد حرباً معهم، و إنما يريد زيارة البيت الحرام و تعظيمه، و هو حق للمسلمين، كما هو حق لغيرهم، و عندما تأكدت قريش من ذلك أرسلت إليه من يفاوضه و يتعرف على قوة المسلمين و مدى عزمهم على القتال إذا لجؤوا إليه، و طمعاً في صد المسلمين عن البيت بالطرق السلمية من جهة ثالثة.

و أراد الحبيب ﷺ أن يؤكد هدفه من هذه الزيارة و يُشهد على ذلك كل العرب، لذا أرسل إلى قريش خراش بن أمية الخزاعي على جمله (الثعلب) و لكنهم عقروا جمل رسول الله ﷺ، و أرادوا قتله، فمنعته الأحابيش، لأنه من قومهم.

فأتاه بديل بن ورقاء في رجال من خزاعة، فقال الحبيب ﷺ: هذا رجل عاقل دارس القبائل و الناس، و بينوا أن قريشاً تعتزم صد المسلمين عن دخول مكة، فأوضح لهم رسول الله ﷺ سبب مجيئه و ذكر لهم الضرر الذي وقع على قريش من استمرار الحرب، و اقترح عليهم أن تكون بينهم هدنة إلى وقت معلوم حتى يتضح لهم الأمر، و إن أبوا فلا مناص من الحرب و لو كان في ذلك هلاكهم ، فنقلوا ذلك إلى قريش، و قالوا لهم: يا معشر قريش، إنكم تعجلون على محمد، إن محمداً لم يأت لقتال و إنما جاء زائراً هذا البيت، فاتهمتموهم وخاطبتموهم بما يكرهون، و قالوا: و إن كان إنما جاء لذلك فلا و الله لا يدخلها علينا عنوة أبدا و لا تتحدث بذلك العرب.

فأرسلت قريش عدداً من السفراء للتفاوض مع المسلمين، فبعد سفارة بديل بن ورقاء أرسلوا عروة بن مسعود الثقفي، و قبل أن يتحرك خشي أن يناله من التعنيف و سوء المقالة ما نال من سبقه، فبين لهم موقفه منهم، و أقروا له بأنه غير متهم عندهم، و ذكر لهم أن الذي عرضه عليهم محمد هو خطة رشد، و دعاهم إلى قبولها، فوافقوا على رأيه.

و عندما جاء إلى الرسول ﷺ قال له ما قال لبديل، فقال عروة عند ذلك: أي محمد، أرأيت إن استأصلت أمر قومك ، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ و إن تكن الأخرى، فإني و الله لا أرى وجوهاً وإني لأرى أشواباً من الناس خليقاً أن يفروا و يدعوك. و كان كلما تكلم كلمة أخذ بلحية الرسول ﷺ، و المغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ و معه السيف، فيضربه بنعل السيف و يقول: أخّر عن لحية رسول الله ﷺ. و لاحظ عروة تعظيم الصحابة للرسول ﷺ و حبهم له و تفانيهم في طاعته ، فلما رجع إلى قريش ، قال لهم : "أي قوم، و الله لقد وفدت على الملوك، و وفدت على قيصر و كسرى و النجاشي، و الله ما رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه مثل ما يعظم أصحاب محمد محمداً".

فبعثوا الحليس بن علقمة الكناني سيد الأحابيش، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : "إن هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه"، فلما رأى الحليس الهدي يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده، رجع إلى قريش قبل أن يصل إلى رسول الله ﷺ، و ذلك إعظاماً لما رأى، و قال لقريش : رأيت البدن قد قلدت و أشعرت، فما أرى أن يصدوا عن البيت، فقالوا : اجلس، إنما أنت أعرابي لا علم لك.
فغضب و قال : يا معشر قريش، و الله ما على هذا حالفناكم، أيصد عن بيت الله من جاءه معظما له؟ و الذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد و بين ما جاء له أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد، قالوا : كف عنا حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به.

ثم دعا الرسول ﷺ عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة، فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال عمر "يا رسول الله، إني أخاف قريشاً على نفسي، و ليس بمكة من بني عدي بن كعب أحد يمنعني، و قد عرفت قريش عداوتي إياها، و غلظتي عليها، و لكن أدلك على رجل أعز بها مني، عثمان بن عفان".

فدعا رسول الله ﷺعثمان فبعثه إليهم. فنزل عثمان في حماية و جوار أبان بن سعيد بن العاص الأموي حتى أدى رسالته، و أذنوا له بالطواف بالبيت، فقال :"ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ" و احتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ أن عثمان قد قتل. ولذلك دعا رسول الله ﷺ أصحابه للبيعة تحت شجر سمرة، فبايعوه جميعاً على الموت.



الإسلام دين مرونة ...

طلب ﷺ من الصحابة الخروج للعمرة فأجابوه ثم دعاهم إلى قتال فأجابوه

و هذا يوضح أهمية تلاحم الشعوب مع رؤسائهم و الجيش مع قائدهم

و كان أول من بايعه على ذلك أبو سنان عبد الله بن وهب الأسدي، فخرج الناس بعده يبايعون على بيعته، فأثنى عليهم الرسول ﷺ، فقال : "أنتم خير أهل الأرض" ، و قال : "لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها".

و أشار رسول الله ﷺ إلى يده اليمنى، و قال :هذه يد عثمان، فضرب بها على يده اليسرى ، و قال : "هذه لعثمان". فنال عثمان بذلك فضل البيعة. و قبل أن تتطور الأمور عاد عثمان رضي الله عنه بعد البيعة مباشرة. و عرفت هذه البيعة بـ "بيعة الرضوان"، لأن الله تعالى أخبر بأنه راض عن أصحابها ، في قوله: **" لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ "** الفتح:18.

و لكن الحبيب مازال مبادرا يقول: "و الله لو دعتني قريش اليوم إلى خطة تعظم فيها صلة الرحم إلا قبلت بها".

ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : هذا مكرز و هو رجل فاجر، فجعل يكلم الرسول ﷺ، فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو رسولاً من قبل قريش، فقال النبي ﷺ متفائلاً : لقد سهل لكم أمركم، و قال : قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل، و كانت قريش قد قالت لسهيل بن عمرو : ائت محمداً فصالحه، و لا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا، فو الله لا تحدث العرب عنا أنه دخلها علينا عنوة أبداً، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ تكلم فأطال الكلام، و تراجعا، ثم جرى بينهما الصلح.

و عندما بدأ الرسول ﷺ في إملاء شروط الصلح على علي بن أبي طالب، كاتب الصحيفة، اعترض سهيل على كتابة كلمة "الرحمن" في البسملة، و أراد بدلاً عنها أن يكتب (باسمك اللهم)، لأنها عبارة الجاهليين، و رفض المسلمون ذلك، و لكن الرسول ﷺ وافق على اعتراض سهيل. ثم اعترض سهيل على عبارة "محمد رسول الله" ، و أراد بدلاً عنها عبارة : محمد بن عبد الله، فوافقه أيضاً على هذا الاعتراض.

و عندما قال الرسول ﷺ: على أن تخلوا بيننا و بين البيت فنطوف به، اعترض سهيل قائلاً : لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة قهراً و لكن ذلك في العام المقبل، فنخرج عنك فتدخلها بأصحابك فأقم فيها ثلاثاً معك سلاح الراكب لا تدخلها بغير السيوف في القرب، فوافق الرسول ﷺ على هذا الشرط.

ثم قال سهيل : و على أن لا يأتيك منا رجل و إن كان على دينك إلا رددته إلينا. قال المسلمون: سبحان الله ! كيف يرد إلى المشركين و قد جاء مسلما؟ فبينما هو كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده، و قد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل : هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده إلي، فقال النبي ﷺ: "إنا لم نقض الكتاب بعد" فقال سهيل : والله إذا لم أصالحك على شيء أبدا. و ألح الرسول ﷺ على سهيل أن يستثني أبا جندل، فرفض على الرغم من موافقة مكرز على طلب الرسول ﷺ، و لم يجد الرسول ﷺ بدا من إمضاء ذلك لسهيل. فقال الحبيب ﷺ : "يا أبا جندل اصبر لعل الله يجعل لك و للمسلمين فرجاً و مخرجا".

فجلس عمر بن الخطاب بجانب أبي جندل و قال له: "يا أبا جندل إن الرجل ليقتل أباه في سبيل الله، ولو كان الخطاب حياً لقتله عمر" فقال أبو جندل: "و لم لا تقتله أنت؟" قال عمر: "أنا لا أعصي رسول الله" فقال أبو جندل:" و أنا لا أعصي رسول الله".

ثم بعد هذا تم الاتفاق على بقية الشروط و هي :

- وضع الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس، و يكف بعضهم عن بعض.
- بينهم بيعة، فلا سرقة و لا خيانة.

- من أحب أن يدخل في عقد محمد ﷺ و عهده دخل فيه، و من أحب أن يدخل في عقد قريش و عهده دخل فيه.

فتواثبت خزاعة فقالوا : نحن مع عقد رسول الله ﷺ و عهده، و تواثبت بنو بكر فقالوا : نحن في عقد قريش و عهدهم. و تبرم كثير من الصحابة من معظم هذه الشروط. و من الأدلة على ذلك أن عليا اعتذر عن محو كلمة (رسول



الله) التي اعترض عليها سهيل بن عمرو ، فقال له الحبيب ﷺ :أرني مكانها، فأراه مكانها فمحاها رسول الله ﷺ. و كتب مكانها (بن عبد الله). و غضبوا لشرط رد المسلمين الفارين من قريش إلى المسلمين، فقالوا : " يا رسول الله ، نكتب هذا؟ " قال : " نعم إنه من ذهب إليهم فأبعده الله، و من جاءنا منهم سيجعل الله له فرجاً و مخرجاً".

و يحكي عمر بن الخطاب مجيئه إلى رسول الله ﷺ غاضبا عند كتابة ذلك الصلح، قال : فأتيت نبي الله، فقلت : ألست نبي الله حقاً ؟ قال : بلى. قلت :ألسنا على الحق و عدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعط الدنية في ديننا إذاً ؟ قال : إني رسول الله و لست أعصيه و هو ناصري. قلت: أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به ؟ قال: بلى. أفأخبرتك أنك تأتيه العام ؟ قال : قلت : لا . قال: فإنك آتيه و مطوف به. و أتى عمر أبا بكر و قال له مثل ما قال للرسول ﷺ، فقال له أبو بكر : إنه لرسول الله ﷺ و ليس يعصي ربه و هو ناصره ، فاستمسك بغرزه، فو الله إنه على الحق، و قال عمر : ما زلت أصوم و أتصدق و أعتق من الذي صنعت مخافة كلامي الذي تكلمت به يومئذ حتى رجوت أن يكون خيراً، و لم تطب نفس عمر إلا عندما نزل القرآن مبشراً بالفتح".

و عندما كان أبو جندل يستنجد بالمسلمين قائلاً : يا معشر المسلمين ، أتردونني إلى أهل الشرك فيفتنوني في ديني ؟ والرسول ﷺ يقول : " يا أبا جندل، اصبر و احتسب فإن الله عز وجل جاعل لك و لمن معك من المستضعفين فرجا و مخرجاً) ، كان عمر يمشي بجنب أبي جندل يغريه بأبيه و يقرب إليه سيفه، لكن أبا جندل لم يفعل، فأعيد إلى المشركين، و ذلك لحكمة تجلت للناس فيما بعد، يوم كان أبو جندل و أصحابه سبباً في إلغاء شرط رد المسلمين إلى الكفار، و في إسلام سهيل و موقفه يوم كاد أهل مكة أن يرتدوا عندما مات الرسول ﷺ فثبتهم على الإسلام بكلام بليغ.

و عندما أمرهم الرسول ﷺ بأن ينحروا الهدي و يحلقوا رؤوسهم، لم يقم منهم أحد إلى ذلك، فكرر الأمر ثلاث مرات، فدخل على أم سلمة رضي الله عنها و حكى لها ما حدث من المسلمين، فأشارت إليه بأن يبدأ هو بما يريد، ففعل، فقاموا فنحروا، و جعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غماً، فدعا الرسول ﷺ لمن حلق منهم ثلاثاً و لمن قصر لمرة واحدة. و كان عدد ما نحروه سبعين بدنة، كل بدنة عن سبعة أشخاص.

و لم تتوقف قريش عن التحرش بالمسلمين و استفزازهم خلال مفاوضات كتابة الصلح و بعد كتابته، و قد تصرف الرسول ﷺ و الصحابة بانضباط شديد إزاء هذه الأفعال. فقالت قريش نرسل أربعين في جيش المسلمين نتحرش بهم لكن المسلمين كانوا متأهبين، فربطوهم و أعادوهم إلى مكة.

ثم رجع المسلمون إلى المدينة بعد أن غابوا عنها شهراً و نصف الشهر، منها بضعة عشر يوماً، و يقال عشرين يوماً، مكثوها بالحديبية. و في طريق العودة تكررت معجزة النبي ﷺ في تكثير الطعام و الماء، مثلما حدث في طعام جابر يوم الخندق، و تكثير ماء بئر الحديبية، فقد ذكر سلمة بن الأكوع أنهم عندما أصابهم الجوع و كادوا أن يذبحوا رواحلهم دعا الرسول ﷺ بأزواد الجيش، فلم يتجاوز ربضة العنز، و هم أربع عشرة مائة، فأكلوا حتى شبعوا جميعاً و حشوا جربهم، ثم جيء له بأداة وضوء فيها نطفة ماء فأفرغها في قدح، فتوضأ منها كل الجيش.

و نزلت سورة الفتح ، و هم في طريق العودة : **"إنا فتحنا لك فتحا مبينا"** و قال عنها الرسول ﷺ : "لقد أنزلت علي الليلة سورة لهي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس". و قال عمر متعجباً :أفتح هو ؟ فقال له الرسول ﷺ : نعم، فطابت نفسه و رجع. و فرح المسلمون بذلك فرحاً غامرا، و انجلت تلك السحابة من الغم، و أدركوا قصورهم عن إدراك كل الأسباب و النتائج، و أن الخير في التسليم لأمر الله و رسوله.

أما أبو بصير فقد هرب من مكة و ذهب لرسول الله بعد الصلح فلم يقبله الحبيب ﷺ لأن عقود الصلح لا تسمح بذلك، فهرب و عاد فرفضه الحبيب ﷺ. فقتل من جاء ليأخذه وقال لرسول الله أديت عهدك و ليس لك من شىء فأفعل ما أريد، فقال الحبيب ﷺ: "ويل أمه لو كان معه رجال" و صمت.

فلحق به ضعفاء المسلمين في قريش منهم أبو جندل، و كانوا يقطعون الطريق على قوافل قريش فأسرع أبو سفيان ليعدل الوثيقة و يسمح للمشركين بدخول هذا الدين فنظر الحبيب و ابتسم في وجه عمر فعرف عمر ماذا قصد الحبيب ﷺ. فيصل كتاب رسول الله إلى أبي بصير و القوم ليتبعوه إلى المدينة و لكنه يصل و أبو بصير يُدفن، فلقد أدى واجبه، فوضعوا الكتاب في صدره و دفنوه رضي الله عنه.

الدروس المستفادة:

لا تجعل الأهداف الصغيرة تنسيك الهدف الأساسي
إياكم أن تفتنكم الدنيا فتنسيكم هدفكم الأساسي و هو إصلاح الأرض



غزوة مؤتة

كان صلح الحديبية فاصلا كبيرا في التاريخ، و كان فتحا كما سماه الله، و في السنة السابعة وقعت أحداث كثيرة حاسمة منها ما هو مرتبط بصلح الحديبية :

عمرة القضاء

كان صلح الحديبية في السنة السادسة من الهجرة، في شهر ذي القعدة، و خرج النبي ﷺ العام الموالي للعمرة كما نص على ذلك الصلح، و أمر ألا يتخلف أحد من الذين خرجوا في السنة الفارطة و حضروا صلح الحديبية ، ردا لاعتبارهم وزرعا للثقة في ذواتهم خاصة مع ما عاشوه من ألم نفسي نتيجة منعهم من العمرة في السنة الفارطة ، و قد نزل قوله تبارك وتعالى:**" لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً"** الفتح:27، حتى تعود إليهم الثقة فتعلو و ترتفع.

فخرج النبي ﷺ و معه ألفا شخص ما بين رجل و امرأة، فالنساء لم يكن منعزلات و لا سلبيات.

أخذ الحبيب ﷺ معه السلاح و قدم مائة فارس، خرجوا معه بقيادة محمد بن مسلمة، فقال سيدنا أبو بكر الصديق:" يا رسول الله ألم يشارطونا ألا نأخذ معنا السلاح و لا الفرسان"، قال: "نعم يا أبا بكر إني لن أدخلها عليهم بسلاح، و لكني أخشى الغدر، و قد أخذت السلاح وسأجعله خارج مكة، فإن هيجونا أو أرادوا الحرب كان ذلك".

المسلم يكون حريصا دائما و يستخدم عقله

المسلم ليس ساذجا.... فالنبي ﷺ يقول أنا على المعاهدة لكني لا أضمنهم

فخرج النبي ﷺ، و قبل أن يبدأ بالاقتراب من مكة قدم الفرسان أمامه فقد شعر بترصد قريش له ، فأراد أن يبعث إليهم رسالة مفادها " إياكم و الغدر "، فأحست قريش بالقلق، فبعثوا سهيلا بن عمرو وهو من وقع المعاهدة السنة الماضية مع النبي ﷺ، فذهب سهيل بن عمرو إلى رسول الله ﷺ و قال" يا محمد ألم تشارطنا ألا تدخل بسلاح، ولا تدخل بفرسان"، فقال النبي" إني لن أدخل بسلاح و لا بفرسان" فلم يسأل سهيل بن عمرو رسول الله لأنه فهم القصد، فقال سهيل بن عمرو" ما عرفناك إلا بالعهد والوفاء".

لا للخيانة ...لا للغدر

- أثبت ﷺ أنه يمكن أن ننتصر بدون غدر، بدون خيانة، بدون كذب.
- قد يكون ذلك مستحيلا في منطق السياسة الحالي ، لكن النبي ﷺ طبق ذلك
- انتصار حاسم بتخطيط ذكي وبدون تدخل من الوحي،
- التخطيط أولوية لتحقيق النجاح وحتى عدوه ﷺ سهيل بن عمر يعترف بذلك



قدم إذن النبي ﷺ الفرسان، فما أن فهمت قريش الرسالة حتى أعادها ﷺ إلى الخلف، فبقي الفرسان على أعتاب مكة، و دخل النبي ﷺ إلى مكة و دخل معه شاعر عظيم، اسمه عبد الله بن رواحة الذي بدأ يشدو قائلا :

خلوا بنو الكفار عن سبيله　　　خلوا فكل الخير في سبيله

يا رب إني مؤمن بقيلـــــته　　　إني رأيت الحق في قبوله

فقال له عمر بن الخطاب :"ما هذا يا بن رواحة، شعر بين يدي رسول الله، بملابس الإحرام، يوم دخول مكة بعد سبع سنوات؟ فقال له النبي ﷺ " دعه يا عمر، و الله إن كلمات بن رواحه لأوجع في قريش من نطح السهام".

استخدام الفن والثقافة بشكل صحيح يخدم النهضة

- **تقدير النبي ﷺ لقيمة الفن و الثقافة التي لا تقوم نهضة إلا بهما**
- **قد يسخر الفن للإصلاح إن استخدم بشكل صحيح كما قد يسخر للإفساد**
- **لا نهضة بدون فن هادف**

فما إن بدأ النبي ﷺ بدخول مكة حتى بدأت قريش بالخروج منها إلى الجبال لمدة ثلاثة أيام، كل الناس النساء و الأطفال و الشباب، فالصغار الذين لم يشاهدوا رسول الله يريدون مشاهدته، فصعد الجميع إلى الجبال ليتفرجوا، فبدأ أبو سفيان و عكرمة و صفوان يخشون من تأثر النساء و الأطفال و الشباب من شكل الصحابة و المسلمين، فبثوا إشاعة مفادها أن المسلمين يعانون من مرض جلدي في أيديهم و أذرعهم، و أنهم ضعفاء جدا إلى درجة أنهم لا يستطيعون المشي و الحركة، و أنهم متعبون جدا، فوصلت الإشاعة إلى النبي ﷺ من مخابراته التي تنشط في كل مكان، فقال النبي "رحم الله رجلا أراهم من نفسه قوة اليوم"، فقال لهم الحبيب ﷺ: "على كل الرجال الكشف عن كتفهم الأيمن، و ليجري الجميع خلال ثلاثة أشواط جرية بسيطة و منتظمة، فاهتزت قريش لذلك النظام و الجندية.

سياسة الحبيب ﷺ، العبادة مع القوة

بعد فتح مكة، و بعد سنتين من هذه القصة، عاد النبي ﷺ ليعتمر فقام بنفس الأمر، فقال له عمر بن الخطاب" لقد فتحت مكة يا رسول الله فلماذا نفعل ذلك؟" قال" يا عمر هذه سنتي إلى يوم القيامة"، بمعنى أن القوة و العبادة يسيران جنبا إلى جنب عند أمته إلى يوم القيامة، حتى في أكثر منسك فيه عبودية، العمرة، حيث منتهى الخضوع لله،

العمرة = منتهى الخضوع لله +منتهى القوة و العزة

أدى النبي ﷺ عمرته، حتى إذا انتهى عمد إلى قادة قريش يدعوهم قائلا :"هل قبلتم أن أقيم لكم وليمة فأدعوكم إلى طعامي".

نفسية المسلم محبة للخير و الهداية للناس

نفسية المحب للناس، نفسية من يريد الهداية للناس مع ألذ الأعداء الذين عذبوه و آذوه و مع ذلك يتقرب منهم



ثم بعثت قريش إلى رسول الله حويط بن عبد العزى، فقال لرسول الله" لقد انقضت الثلاثة أيام، فاخرج من أرضنا" و قالها بمنتهى الغلظة، و كان سعد بن عبادة جالسا، فقال:" ليست أرضك و لا أرض أبيك، بل هي أرض رسول الله ﷺ، و لا يخرج منها إلا سالما عزيزا" فنظر النبي ﷺ إلى سعد و ابتسم وهو يقول: "يا سعد لا تؤذي من زارنا في ديارنا"، ثم قال:" هو ما أردتم يا حويطب، عاهدتكم على أن أخرج بعد ثلاث ليال" ثم نادى رسول الله في المسلمين قائلا:" يا معشر المسلمين لا تغرب الشمس على رجل في مكة" فقبل غروب الشمس كان الألفا رجل خارج مكة، لم يتأخر أي واحد منهم للحظة.

لنتعلم من الحبيب ﷺ أن نؤلف بين الناس و لا نفرق بينهم

إسلام خالد بن الوليد و عمرو بن العاص

و يخرج النبي ﷺ من مكة، و بينما هو في طريقه، إذا به يبعث برسالة لأكثر شخص آذاهم، هو من داخله ليس معاديا، إنما يعشق العسكرية، بعث برسالة لخالد بن الوليد، و كان رجلا عسكريا ينفذ الأوامر، فبعث النبي ﷺ له برسالة مع أخيه الوليد بن الوليد و كان مسلما فيما فحواه :" تأخرت علينا يا خالد، و هل مثلك يجهل الإسلام، و عقلك عقلك" أي إن عقلك كبير.

سامح و اغفر و كن صاحب قلب طيب مثل حبيبك

هذه نفسية القلب الطيب الرقيق للنبي ﷺ الذي سمح لمن كان السبب في قتل عمه حمزة و جم غفير من المسلمين

فبعث النبي الرسالة مع الوليد بن الوليد أخ خالد بن الوليد، فقال له :" يا خالد، لم أر أعجب من تأخرك على الإسلام، و عقلك عقلك، و لقد سأل عنك رسول الله، فقال" أين خالد؟، ولماذا تأخر علينا؟، والله لو أتانا لقدمناه على من سواه"، أي نحن نعرف إمكانياتك و قدراتك، فقرأ خالد الرسالة، يقول" فوقع في نفسي أن رسول الله سأل عني".

لنتعلم كيف نخرج الخير من قلوب الآخرين

مهما كانت النفوس قاسية و عنيفة و محاربة، عليك أن تلمس جانب الخير الذي يوجد فيها، فلا يوجد إنسان إلا و في داخله نقطة خير، مهما علا الغضب و الكراهية و النقط السوداء في قلبه، لأنه خلق الله، و خلق الله لابد أن يكون فيه جانب خير...

فقرأ خالد الرسالة، و تأثر، يقول" فبت الليل أفكر، فرأيت في النوم رؤيا، رأيت أنني في أرض ضيقة أخرج منها إلى أرض خضراء واسعة (الإسلام) " يقول " و كنت أعرف أننا ما من موقف و قفناه أمام محمد ﷺ إلا و انتصر علينا فيه، فعرفت أنه غالب"، يقول" فقررت أن أخرج إلى رسول الله، فقلت من آخذ معي إلى رسول الله؟

لنكن إيجابيين مثل خالد...

أسلم منذ دقيقتين فقط ومع ذلك يسأل من آخذ معي إلى رسول الله

يقول : فمررت بصفوان بن أمية، فقلت أتخرج معي إلى رسول الله؟ قال رسول من؟ قلت رسول الله فإننا و الله غلبنا و ما عاد لنا من الأمر شيء، بعد صلح الحديبية انتهى كل شيء، فأبى علي أشد الإباء، فقلت رجل فقد أباه في بدر، فذهبت إلى عكرمة بن أبي جهل، فأبى علي أشد الإباء فقلت أيضا قتل أبوه أبو جهل، فذهبت إلى عثمان بن طلحة الذي معه مفتاح الكعبة، فقلت رجل قتل أربعة من إخوته يوم أحد كانوا يحملون الراية، لن أكلمه، ثم قلت لنفسي و ما عليك أن تكلمه، فكلمته فقال و الله أفكر فيما تفكر فيه يا خالد، إني قادم معك"، فخرج الاثنان معا، و بينما هما في الطريق و على وشك الوصول إلى رسول الله، إذا بهما يقابلان أحدهم صدفة: عمرو بن العاص. فبعد صلح الحديبية قال عمرو بت العاص لنفسه" قريش انتهت، سأترك هذه البلاد ، فالأكيد أن محمدا سيدخل مكة"، فخرج إلى النجاشي صديقه القديم.

فذهب عمرو بن العاص إلى النجاشي، فقال النجاشي" مرحبا بصاحبي"، و دخل عليه، و بينما هو عند النجاشي، فإذا بأحد الصحابة و كان عمرو بن أمية يدخل على النجاشي برسالة من رسول الله، فغضب عمرو بن العاص و قال:" أيها الملك دع لي هذا الرجل، فإنه رسول رجل عدو لي، دعني أقطع عنقه و أضربه فأقتله، فغضب النجاشي و قال: "أتقتل رسول رسول الله، خاتم النبيين؟ " فنظرت إلى النجاشي و قلت:" أيها الملك أهو رسول الله؟" فقال: "نعم و إني و الله على دينه"، يقول: خرجت من بلدي لآتي عند النجاشي، فأجده على دين رسول الله"، فقال لي النجاشي" يا عمرو أطعني و اتبعه"، ثم قال:" يا عمرو تبايعني على الإسلام؟" فبايعته و عدت إلى المدينة"، فالتقى الثلاثة و هم في طريقهم إلى رسول الله، فدخل الثلاثة على المسلمين، فما فرح أهل المدينة بشيء بعد دخول رسول الله، كفرحتهم بدخول الثلاثة، فقال النبي ﷺ: "هذه مكة ألقت إليكم بفلذات أكبادها"، فدخل خالد و سلم على النبي ﷺ فابتسم النبي و قال له:" تعال اجلس يا خالد"، فقال" أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أنك رسول الله، " فقال النبي" اللهم اغفر لخالد ما مضى"

، فجاء عمرو بن العاص و قال:" ابسط يدك أبايعك يا رسول الله" فبسط النبي يده فقبض عمرو يده، فقال النبي ﷺ:" ما بك؟" فقال:" لي شرط" فقال النبي ﷺ:" وما هو؟"، قال:" يغفر لي كل ما مضى"، فقال ﷺ:" أما تعلم أن الإسلام يجب ما قبله"، قال:" فبايعت رسول الله ﷺ.

مراسلة النبي ﷺ للملوك في العالم

بدأ النبي ﷺ يكاتب ملوك العالم، يدعوهم فيها إلى الإسلام، **"من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، إني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم"**، **"من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم مصر، أسلم تسلم"**، **"من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم الفرس...."**، و كان هدفه ﷺ إيصال الرسالة إلى العالم.

و من مثل ذلك، أنه لما وصلت الرسالة إلى ملك الروم، قرأها، فما أن قام بقراءتها حتى سأل " هل يوجد أحد هنا من بلد هذا الرجل؟" ، قالوا: "نعم هناك قافلة من بلد هذا الرجل تمر بأرضنا" فقال" أتوني بهم"، فصدفة كانت قافلة أبي سفيان هي الموجودة وقت وصول الرسالة ، فأوقف هرقل أبا سفيان أمامه، و جعل بقية القافلة خلف أبي سفيان، و قال لهم:" لو كذب ارفعوا أيديكم" ثم سأله:" ما نسب هذا الرجل فيكم؟" فقال:" هو فينا ذو نسب"، فقال :"هل يغدر؟" قال:"لا" فقال:"هل يكذب؟" قال:"لا"، فقال:"فهل أصحابه يزيدون أم ينقصون؟"، قال: " يزيدون"، فقال:" فهل يرتد أحد منهم عن دينه سخطا من هذا الرجل؟"، قال:"أبدا"، فقال:" فبما يأمركم؟"، قال:" بالصدق والعفاف و صلة الأرحام و الصلاة"، فقال هرقل:" إن كان كما تقول فسيرث موقع قدمي هاتين"، فخرج أبو سفيان و نظر إلى أصحابه و قال:" لقد بلغ شأن بن أبي كبشة (يقصد رسول الله) شأنا عظيما، إن هرقل ملك الروم يخشاه، و الله سيظهر علينا"

و بعث الحبيب ﷺ أربعة عشر رسالة لأربعة عشر ملكا(رسائل الملوك)، فقالوا له" يا رسول الله، إن الملوك لا تعترف إلا بكتاب مختوم، و لم يكن للنبي وقتئذ ختم، فقال: "نعم" و جعل له ختما.



المسلمون لم يكونوا متصلبين

الاعتراف بالأعراف الدولية ليس عائق طالما أنها في حدود الحلال ....

فصنع الختم و بعث رسول الله الرسائل لملوك العالم، بعثهم مع 14 رسولا كانوا يتكلمون بلغة البلد الذي يقصدونه، فقد كان في المدينة أناس يتكلمون لغات العالم، و كان الحبيب ﷺ يرسل بعض الصحابة لتعلم اللغات حيث قال مرة لزيد بن ثابت :" يا زيد، إذهب و تعلم لغة اليهود، و لا ترجع إلا وقد أتقنتها" يقول زيد فذهبت وتعلمتها في 18 يوما و رجعت" فقال: أتعلمتها؟" قلت" نعم يا رسول الله"، قال" أتكاتبهم بها؟"، فقلت: "أكاتبهم بها يا رسول الله"، قال فكنت أكاتبهم بها.

النهضة تحتاج إلى تنمية المواهب والمهارات

كان النبي ﷺ حريصا على تعلم اللغات و تنمية المواهب بكل أنواعها

النهضة لا تقوم إلا بشباب متميزين ذوي قدرات و مواهب و إمكانيات

14 رسول يتكلمون لغات، و أيضا سفراء، قادرون على تمثيل النبي ﷺ ، و قد مثل النبي ﷺ لدى هرقل سيدنا دحية الكلبي، و كان وسيما جدا ، أما النجاشي فجاءه سيدنا عمرو بن أمية. أما كسرى ملك الفرس فقد قرأ الرسالة من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم الفرس، و استخدم النبي ﷺ كلمة عظيم، لأنه عظيم عند قومه، و لابد أن ينزل الناس منازلها، لكن كسرى لما وجد أن الرسالة مكتوب فيها من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم الفرس، و كان أحمقا، قال: "يضع عبدي إسمه قبل إسمي" فمزق الرسالة، دون أن يقرأها، فعلم النبي ﷺ بذلك فقال:"مزق الله ملكه" فوجبت. فأرسل كسرى إلى رجل يدعى بازان، والي كسرى على اليمن، و قال له أن ابعث رجلين من عندك يأتونني بهذا الرجل لأعلمه الأدب، فأرسل بازان رجلين، و قال لهما اذهبا و أحضراه، فوصل الاثنان إلى رسول الله ﷺ و قالا له: "هيا إن كسرى يطلبك"، ففي نفس اليوم كان قد مزق الله ملك كسرى بدعوة رسول الله، ذلك أن ابن كسرى قتل والده، فالنبي ﷺ نظر إليهما، ثم ابتسم و قال:" ارجعا إلى رجلكما و قولا له، إن ربي قد قتل ربكما، فرجعا إلى بازان، فقال بازان: " و الله لقد علمت بالخبر الآن" و قد حدث في ذلك اليوم، أشهد أن لا إله إلا الله و أنه رسول الله، فأصبحت اليمن للمسلمين بواحد فقط هو بازان. فأبقاه النبي ﷺ قائدا على اليمن إلى أن مات أيام حجة الوداع.

غزوة مؤتة

بعث الحبيب ﷺ 14 رسولا كما أسلفنا كلهم عادوا آمنين، لكن واحدا فقط حدثت له مشكلة كبيرة: الحارث بن عمير الأزدي، صحابي و أحد رسل رسول الله، أخذ الرسالة و انطلق إلى الغساسنة، و هي مملكة عربية تدين بالمسيحية، تقع على حدود الشام، و كانت مملكة ضخمة، عددهم بالمائة و المائتي ألف مقاتل، و تعد هذه المملكة شريطا حدوديا يحمي الرومان من جانب العرب، (مثل جيش لبنان العميل للكيان الصهيوني). فوصل الحارث بن عمير الأزدي و معه الرسالة، ليدخل بها إلى الملك، فأخو الملك قابله فقال له:" من أنت؟"، قال:"رسول" قال" و ماذا معك؟"، قال: "معي رسالة"، فسيدنا الحارث لا يتكلم و لا يعطي معلومات إلى أن يقابل الملك، فنظر إليه أخ الملك و قال له: "لعلك من أصحاب محمد؟"، قال:" نعم" و عرفه من خلال النظافة و الوسامة، و العقل، و الحكمة، فأخذه و ربطه و ضرب عنقه. فوصل

الخبر إلى النبي ﷺ يوم الخميس ليلا، بأن رسوله قد قُتل، فإذا بالنبي يقول:" الصلاة جامعة"، و كانت صلاة العشاء قد انتهت، فاجتمع الناس، فوقف النبي و قال:" قتل أخوكم رسولي الحارث بن عمير الأزدي، من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فليتجهز غدا بعد صلاة الفجر لقتال الغساسنة"، وكان رد رسول الله ﷺ سريعا و قويا لأن:

1-الحبيب ﷺ لا يقبل الخيانة و الغدر.

2- رسول الله ﷺ يريد أن يوصل الرسالة، و قتل الحارث سيشجع القبائل العربية على إثارة مشكلة مع كل من يبعثه النبي ﷺ، فلو سكت ﷺ على هذا الأمر لضاعت هيبة المسلمين . إذن لابد من موقف سريع و حاسم، تعرف به كل الجزيرة، و رسول الله ﷺ اضطر إلى الحرب دفاعا عن حرمة رسول رسول الله

3-أمر آخر "قتل أخوكم" : فقيمة المواطن غالية في المجتمع المسلم.

من يكرمه وطنه يضحي من أجله

- **المواطن الذي تقهر نفسه من أجل أن يأخذ ختما على وثيقة هي من حقه، من الصعب أن يحس بالانتماء إلى بلده...**
- **الإنسان الذي يشعر أنه غير محترم في وطنه، صعب أن يطلب منه التضحية من أجله ...**
- **النبي ﷺ يرفع قيمة المواطن**

النبي يقول للعالم : نحن أعزة ولنا هيبتنا بين الأقوام.

و قد كانت دولة الغساسنة موالية للروم القوة العظمى في العالم، و المسافة بين المدينة و الأردن موطن الغساسنة حوالي ألف كيلومتر، وكان توقيت الغزوة كان شهر غشت.

و يخرج ثلاثة آلاف مقاتل، في تلاحم عظيم مع أخيهم الذي استشهد. و النبي ﷺ يقول لهم:" ابقوا في أماكنكم سأصلي الجمعة و أعود إليكم". و يصلى رسول الله ﷺ الجمعة ثم يلحق بالجيش ثم يقول ﷺ : " أين عبد الله بن رواحة؟" ، فإذا بابن رواحه يأتي، فقال" أين كنت يا بن رواحه؟"، فغضب النبي ﷺ: "ألم نقل بعد صلاة الفجر؟"، فقال" يا رسول الله أردت أن أستزيد من الخير، فقلت أصلي الجمعة معك، ثم أخرج إلى الجيش"، فاحمر وجه النبي و قال" لا والله يا ابن رواحة، لغدوة في سبيل الله خير من الدنيا و ما فيها، أتعرف يا بن رواحه ما الفرق بينك وبين من سبقك؟" فقال:" الفرق الغدوة يا رسول الله"، قال:" لا و الله، الفرق كالبعد بين المشرقين و المغربين"، و كأنه ﷺ يقول له لا تتأخر عن الرسالة يا ابن رواحة.

لا تتأخروا عن الرسالة ...

فاحمر وجه النبي، و بكى ابن رواحة، و قال : "و الله لا أجد ما يكفر عني غضب النبي إلا أن أموت شهيدا". و لم يخرج الحبيب ﷺ في هذه المعركة ليس لأنه كان مريضا أو لأنه كبر في السن، بل لأنه أراد أن يعلم الصحابة أن يكونوا مسؤولين عن الرسالة، و ألا يعتمدوا عليه دائما، فالرسالة ليست له فقط، بل على الجميع تحملها. ثم قال رسول الله: "قائد الجيش زيد بن حارثة (هذا الذي كان عبدا) ، فإن قتل فجعفر بن أبي طالب (الذي كان مهاجرا 14 سنة في الحبشة و عاد قريبا) ، فإن قتل فعبد الله بن رواحة (لهذا كان ﷺ يبحث عنه)، فإن قتل فاختاروا من شئتم".

و كان هناك من يرقب هذا التقسيم : قائد جيش قريش خالد بن الوليد الذي أسلم منذ 3 أو 4 أشهر،

لماذا لم يعينه رسول الله ﷺ ؟ لأنه كان حديث عهد بالإسلام،

فكأن الرسول ﷺ يبلغنا ما يلي : أثبت أولا و دع القيادة لوقتها

هذه هي تربية النبي ﷺ الهادئة المتزنة

و لما أوشك الجيش على الخروج، فإذا برجل يهودي اسمه فنحص، يأتي إلى رسول الله ﷺ، و هو دارس جيد للتوراة، فيقول للحبيب ﷺ " يا أبا القاسم عندنا في التوراة أن النبي إذا قال: قائد الجيش فلان فإن قتل ففلان، فلابد أن يموت الأول، لأن الأنبياء لا ينطقون عن الهوى، وإن سمى 99 اسما، فلابد أن يموتوا، أليس كذلك في دينكم يا أبا القاسم؟، فسكت النبي ﷺ.

فذهب الرجل إلى زيد بن حارثة و قال له:" يا زيد، إذهب فودع امرأتك، و قبل أولادك، فلن تراهم بعد اليوم، فإنك إن رأيتهم بعد اليوم، فإن نبيك كذاب، ألم يقل رسول الله فإن قتل ففلان" فقال زيد :"و الله أشهد أنه لرسول الله، و لا أودع و لا أوصي، و أتوكل على ربي" فقال الرجل اليهودي:" ربما لديه مشكلة مع زوجته فلا يريد أن يعود لتوديعها" فذهب إلى جعفر بن أبي طالب و قال :" يا جعفر إذهب فقبل أولادك، و ودع امرأتك، و اكتب وصيتك، فإنك لن تراهم بعد اليوم، والله لو رأيتهم بعد اليوم فإن نبيكم كذاب" فإذا بجعفر يقول له :" أشهد أنه رسول الله، و لا أعود، و لا أودع و لا أوصي و أتوكل على ربي" فمضى فنحص يعض على يده.

يقول الله تعالى" **إن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**" آل عمران:210.

أبدا لا يقع كيد على هذه الأمة و يضرها إن كانت مؤمنة،
وإلا فستدفع ثمن جحودها 200 و 300 سنة...

و يخرج الجيش و تخرج النساء لتوديعه و هن يقلن "حفظكم الله نصركم الله أيدكم الله، ردكم الله صالحين". فيرد عليهن عبد الله بن رواحة : " أما أنا فلا ردني الله لكني أسأل الرحمان مغفرة و ضربة بالرمح تمزق الأحشاء و الكبد، حتى يقولون إذا مروا على قبري أرشده الله من غاز و قد رشدا"، فانطلق الجيش يقطع ألف كيلومتر حتى وصل إلى بلد إسمها مؤتة، فوصلتهم أخبار أن الغساسنة علموا أن جيش النبي ﷺ قد خرج إليهم فأعدوا جيشا من مائة ألف، غير أن الغساسنة علموا أن جيوش محمد ﷺ لا تقهر، فأرسلوا إلى ملك الروم أن يرسل إليهم مددا، فأرسل إليهم مئة ألف أخرى، فأصبح تعداد جيش الغساسنة مائتي ألف، و أصبحت الروم القوة العظمى في العالم مشتركة في المعركة : مائتا ألف، منهم خمسون ألف فارس، حينها دمع سيدنا زيد بن حارثة الجيش و قال: " أشيروا إلي بالرأي؟" فتوصلوا إلى أن هناك حل من ثلاث:

الحل الأول: أن يعودوا إلى رسول الله ﷺ و يقولون له يا رسول الله وجدناهم مائتي ألف، فقالوا: "و نترك دم أخينا، و نعود إلى رسول الله و نقول له تركنا أمرك ".

الحل الثاني: أن يرسلوا إلى رسول الله ﷺ يطلبون منه مددا، و لكنهم يدركون أنه لا يوجد جيش غيرهم.

الحل الثالث: المواجهة. و لكن كيف؟ فخرج لهم عبد الله بن رواحة و قال :" يا قوم إن التي تخافونها الآن لهي التي خرجتم من أجلها، و والله لا نقاتل أعداءنا بعدد و لا عدة و لكن نقاتلهم بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فقوموا و توكلوا على الله"، فقالوا : "توكلنا على الله"، فارتأى المسلمون ضرورة تبني خطة: فوجد المسلمون أنهم لو دخلوا على مائتي ألف وسط الصحراء فإنهم سيهزمون للتو ، فكانت الخطة أن يبحثوا عن قرية صغيرة يتحصنون بداخلها، و تكون ضيقة جدا، فيكون الزرع و الشجر على يمينهم و على شمالهم ، و في ظهرهم مساكن، فلا يستطيعون مواجهتهم إلا من الأمام و بعدد محدود .

لا نهضة إلا بالإيمان و التخطيط السليم...
التنمية بالإيمان شيء عظيم...
يجب أن نجعل أكثر دافع يدفع الناس للإصلاح هو الإيمان و الحافز للإنتاج و النهضة...
يجب أن لا نخاف من الدين

فتحصن الجيش في القرية وفق الخطة المتفق عليها ، و قد رتب الرومان مائتي ألف من الجنود عرضا، فأدركوا أن هذا الترتيب لن يجدي نفعا أمام الوضع الحالي ، فاضطروا إلى إعادة ترتيب جيشهم على شكل فصائل بحيث يكون كل فصيل من ثلاثة آلاف مقاتل، و بشكل طولي فتلي الفصائل بعضها بعضا، لأن القرية لا تسمح بأكثر من ذلك، و يكون بذلك سيدنا زيد بن حارثة قد عطل جيش الرومان بأكمله، فأصبح ثلاثة آلاف أمام ثلاثة آلاف، لتعطل بقية العدد وتكتفي بالفرجة. لكن واجهتهم إشكالية حقيقية وهي أن الثلاثة آلاف من جيش الرومان يتغيرون كل ساعتين أو ثلاث، بينما الثلاثة آلاف من جيش المسلمين ثابتة لا تتغير مما سيؤدي إلى إنهاكها ،و هنا يبرز فرق الإيمان ودوره في رفع الروح المعنوية .

و بدأت المعركة و يلتحم الجيشان، و قد دامت المعركة ستة أيام كانت الغلبة فيها للمسلمين، و فاق عدد قتلى الرومان قتلى من المسلمين، فقد استشهد من المسلمين في الستة أيام اثنا عشر شهيدا، بينما قتل من الرومان المئات.

طاقة الإيمان سبيلنا للعطاء و التضحية

و في اليوم السادس يأتي مالك بن رافلة قائد الروم فيقول : "علينا أن نغير الخطة، فمفتاح النصر في قتل حامل الراية، (زيد بن حارثة) حينا سيسقط الجيش، و هذا ما كان يعتقده ، و لم يكن يعرف أن النبي ﷺ قد وضع البدائل، و هنا سيتحقق قول النبي ﷺ:"فإن قتل"، فما أن بدأت المعركة في اليوم السادس، و التحم الجيشان، حتى كان كل الرومان يضربون في اتجاه واحد، اتجاه زيد بن حارثة، فلو أن ألف شخص كلهم يضربون في اتجاه رجل واحد فلا محالة هم صارعوه ، فركز الرومان على زيد، و بدؤوا يرمونه بسهامهم و رماحهم، يقولون فرأينا جسد زيد كالمنحل من السهام، فو الله ما تحرك من مكانه حتى طاشت فيه الرماح، (طاشت بمعنى أن جسمه لم يعد واضحا من كثرة الرماح التي تخترقه) فلما سقط، ما سقط خطوة إلى الوراء سقط في مكانه رضي الله عنه وأرضاه.

الرجولة هي أن تحمل الرسالة



و كان الحبيب ﷺ في المدينة يصف الغزوة للناس وكأنه فيها ، يقول النبي ﷺ : " إن الله رفع لي الأرض حتى رأيت معتركهم "، فيقول الحبيب ﷺ:" أخذ الراية زيد بن حارثة أراه يقاتل، قتلوه شهيدا، أراه الآن في الجنة، فأخذ الراية جعفر بن أبي طالب فكل السهام و الحراب عليه، فلما وجد الأمر كذلك ترجل عن صهوة جواده و عقره، و نزل يقاتل على رجليه على الأرض، بمنتهى الشجاعة، فجاء رجل من الرومان فضربه بسيفه على يده اليمنى فقطعت يده اليمنى، فسقطت الراية، فلم يلتفت ليده و إنما التفت إلى الراية قبل أن تسقط، فأخذها بيسراه، فأخذ الراية بشماله و لم يلتفت لآلام ذراعه الأيمن، فجاء رجل آخر فقطع يده اليسرى، فرأى جعفر بن أبي طالب الراية تقع فأخذ الراية بين عضديه، (ما تبقى من الكتف بعدما قطع) حضن راية الإسلام، فجاء رجل فضربه بسيف في بطنه فسقط شهيدا، يقول عبد الله بن عمر :" نظرت في صدر جعفر بن أبي طالب، فوجدت أكثر من 70 طعنة فقلبته على ظهره فما وجدت طعنة واحدة" و النبي ﷺ من المدينة يقول:" أخذ الراية جعفر بن أبي طالب أراه يقاتل، قطعوا يده اليمنى فأخذ الراية بيده اليسرى، قطعوا يده اليسرى، فأخذ الراية بين عضديه، قتلوه أراه الآن في الجنة يطير بجناحين من ياقوت، أبدله الله بذراعيه جناحين من ياقوت، أراه الآن يسرح في الجنة حيث يشاء، يشرب من أنهارها و يأكل من ثمارها"، يقولون" فنظرنا إلى عيني الرسول فإذا هما يذرفان بالدموع، حتى ابتلت لحيته" لقد بكى ﷺ لأن زيدا و جعفرا أحبته، فزيد رباه رسول الله و هو ابن ثمان سنوات، و جعفر بن عمه أب طالب الذي فضله عليه، و ليس هذا فقط فجعفر قطعت يداه الاثنين، فجاء الثالث عبد الله بن رواحة فأخذ الراية، يقول النبي، "فأخذ الراية عبد الله بن رواحه، فتلكأ هنيهة". بدأ يتساءل مع نفسه أأدخل أم لا؟ لقد قتل الاثنان قبلي، و رسول الله ﷺ قال فإن قتل فاختاروا من شئتم، إذن أنا ميت لا محالة... ثم شجع نفسه بأبيات شعر حتى يثبت نفسه فبدأ يقول :

أقسمت يا نفسي لتنزلن	لتنزلـــن أو لتكرهـــــن
ما لي أراك تكرهين الجنة	يا نفس إلا تقتلي تموتي
هذا حمام الموت قد صليتي	و ما تمنيتي فقد أعطيتي

إن تفعلي فعلهما هديتي

فأخذ الراية و نظر و قال و كأنه يرى الجنة وقال:

يا حبذا الجنة واقترابها	طيبة و بارد شرابها
و الروم قد دنا عذابها	علي إن لاقيتها ضرابها

ثم دخل يقاتل، فجاءه ابن عمه و قد كان في الساقة، فأتاه بفخدة مشوية و قال له:" تقوى يا بن رواحة، فأخذها و نهش منها نهشة ثم قال:" ما هذا يا بن رواحة، أما زلت في الدنيا، والله لا ينبغي لك إلا أن تكون مع صاحبيك، ليتحقق وعد نبيك". فيدخل عبد الله بن رواحه إلى المعركة، فيقاتل رضي الله عنه، فيموت شهيدا، و النبي ﷺ في المدينة يقول" أخذ الراية بن رواحة أراه يقاتل في سبيل الله، قتلوه أراه الآن في الجنة" الحمد لله، ففرح الأنصار لأن الاثنين السابقين كانوا من المهاجرين فالأنصار اطمأن قلبهم، الحمد لله، ذهب عبد الله بن رواحة مع الاثنين إلى الجنة، ثم بدأ النبي ﷺ يتحدث عن الثلاثة و هم في الجنة، و هو يقول" أرى زيدا بن حارثة على سرير من ذهب في الجنة، و أرى بجواره جعفر بن أبي طالب على سرير من ذهب في الجنة، و أرى بجوارهما عبد الله بن رواحه على سرير من ذهب في الجنة، غير أن بسرير بن رواحه ازورارا، (انخفاض) فقالوا : " لم يا رسول الله؟" فقال تلكأ هنيهة.

كفانا تلكؤا
لقد تلكأ هنيهة فنزل درجة في الجنة عن صاحبيه...
فما بالكم بالذي يتلكأ منذ 20 سنة ؟؟؟
ما بالكم بالذي يتلكأ عن نصرة رسول الله بعد وفاته؟؟؟



و استشهد الثلاثة، و سقطت الراية، فجاء ثابت بن الأقرم من صحابة بدر ، فأخذ الراية و رفعها، و بدأ ينادي يا أبا سليمان، يا أبا سليمان، يا أبا سليمان، فجاء خالد بن الوليد، قال:" خذ الراية" فقال خالد:" أنت أحق بها يا ثابت أنت رجل شهد بدرا، و أنا كنت عدوا لكم يوم بدر". فقال ثابت : "يا خالد أنت أولى بها مني"، فأخذ الراية خالد بن الوليد، يقول خالد" و الله انكسر في يدي يوم مؤتة تسعة سيوف" فقد كان الجيشان يتصارعان من الفجر إلى المغرب، فما أن حل مغرب ذلك اليوم، حتى أخذ خالد الجيش و اجتمع بهم استعدادا لليوم الموالي من المعركة ثم قال : " إن هذه المعركة لا تنتهي بنصر"، قالوا:" نعم"، قال" و قد انتقمنا لأخينا و نفذنا أمر نبينا"، قالوا:" نعم، فماذا ترى؟"، قال:" أرى أن ننسحب" **لأن المسلم عاقل و ليس بمتهور.** فقالوا:" فلنعمد إلى الشورى"، فرفع الجميع يده و اتفقوا على الانسحاب، فقال خالد:" لا نستطيع الانسحاب"، ثم استطرد:" إذا انسحبنا و خرجنا إلى الصحراء أبادونا"، قالوا:" يا خالد فماذا نفعل؟"، قال:" ننسحب دون أن يلحقوا بنا" قالوا:" فكيف يكون ذلك ؟"

فلجأ خالد إلى سلاح خطير و هو تحطيم الروح المعنوية للرومان، فيضع خطة يقال أنها تدرس إلى اليوم في المدارس العسكرية في أوربا، أعظم خطة انسحاب في التاريخ : الجيش ميمنة و ميسرة و مقدمة و مؤخرة و ساق، الميمنة ستأتي إلى الميسرة، و الميسرة ستذهب إلى الميمنة، و المقدمة سترجع إلى المؤخرة، و المؤخرة ستصبح مقدمة، و على الجميع أن يغتسل و يستحم و ينظف ملابسه جيدا، و الرايات أريدها أن تدهن بألوان جديدة و يكتب عليها كلام جديد : باختصار، خطته جيش جديد :لأن ميمنة المسلمين تحارب ميسرة الرومان منذ ستة أيام، حتى تعودوا على بعضهم البعض، من كثرة ما التقوا و اعتادوا على بعضهم البعض، فخطته أن يعتقد العدو أن هناك جيش جديد يحاربه، يجب أن ندفع الرومان بعدما مر عليهم ستة أيام من التقهقر، إلى الاعتقاد أننا أتينا بجيش جديد، و لنبدأ من البداية، لكن هذا الأمر لا يكفي هذا الأمر يهز الروح المعنوية قليلا، نحن نريد أمرا أشد، أريد أن يرجع ثلاث مائة فارس إلى الوراء ما استطاعوا، و غدا بمجرد أن يقف الجيشان أمام بعضهما البعض، و يبزغ نور الشمس بشكل يسمح للرومان بالرؤية الواضحة، فلتضربوا الخيول ببعضها البعض، أريد أن يصعد الغبار بشكل كبير، بمعنى أن هناك جيش آخر قادم بمعنى أنه لا يكفي أنني أحاربكم بجيش جديد، بل أن هناك مددا في الطريق، و أريد أن يعلو الغبار، و قال" كلما ارتفع الغبار ازددتم عند الله ثوابا". ثم قال لهم : "و لا أريدكم أن تلحقوا بنا ككتلة واحدة، بل أريد قتلهم بالبطيء، لذا فلينقسم الثلاث مائة إلى ست فصائل كل فصيل من خمسين فارس، الفصيلة الأولى تلتحم بالجيش أول ما تلتحم به يكبر الجيش الله أكبر، كلما رفعتم أصواتكم بالتكبير كلما ازددتم ثوابا، ثم تليها الفصيلة الثانية، فالفصيلة الثالثة، فالرابعة، ثم الخامسة، و ما أن تلتحم بنا الفصيلة السادسة، سأقول لكم يا عباد الله توكلوا على الله، فندخل عليهم وهم مرتبكون فنأخذهم على حين غرة، فنقتل منهم، ثم أقول يا عباد الله عودوا، فتنسحب الفصيلة السادسة، الخامسة، الرابعة، الثالثة، الثانية، الأولى، الميمنة ، الميسرة، المؤخرة، المقدمة، فننسحب دون أن يلحقوا بنا". رضي الله عنه و أرضاه، و النبي ﷺ في المدينة يقول" أخذ الراية سيف من سيوف الله يفتح الله على يديه"

و عند الصباح فوجئ الرومان، ميمنة الرومان تقول من هؤلاء؟ جيش جديد، ميسرة الرومان من هؤلاء؟ جيش جديد، المقدمة جيش جديد المؤخرة جيش جديد، قالوا فأين الجيش القديم؟ ، قالوا يستريح، فبعثوا لقائدهم ملك بن رافلة، بأن المسلمون جاؤوا بجيش جديد، و بعد ذلك دخلت الفصيلة الأولى، الثانية، الثالثة، الرابعة، يقولون فرأينا الموت في عيون الرومان، و غدوا مقهقرين، الخامسة، السادسة، يا عباد الله توكلوا على الله، يقولون فقد مات فيها ثلاثمائة من الرومان.

ثم قال يا عباد الله عودوا، أناس متلاحمة، تنسحب الفصيلة السادسة، الخامسة، الرابعة، الثالثة، الثانية، الأولى، الميمنة، الميسرة، و يبدأ الجيش بالرجوع، يقولون فاقترب الجيش من المدينة و مازال الرومان ينتظرون، و قد حاول جيش الرومان اللحاق بالمسلمين في بادئ الأمر، غير أن قادة الرومان قالوا للجنود" لا تتبعوهم، كمين كمين"، لأنه كيف ينسحبون و هناك جيش يستريح، فمعناها، أن هناك كمين، فانتظر الرومان في أماكنهم، حتى أن سيدنا خالد و جيش المسلمين اقتربوا من المدينة و مازال الرومان ينتظرون الكمين، فرجع سيدنا خالد و الجيش إلى المدينة، و بينما هم على مشارفها، خرجت النساء تستقبل الجيش بالحجارة، يقلن للجيش: "يا فرار يا فرار" ، فقد ظن النساء أن الجيش فر و هرب، علما أن هؤلاء أزواجهن، و هن لم ينعتنهن بذلك لأنهن مستغنيات عن أزواجهن، كما قد يفكر أحدهم، أخذت النساء تقول:"



يا فرار يا فرار، أفررتم في سبيل الله؟"، فخرج النبي ﷺ و قد فتح يديه للجيش، فهذا الجيش الذي عاد متعبا و منهكا، بعدما قام بهذا العمل العظيم، صحيح أنهم انسحبوا غير أنهم انسحبوا لأنه لم يكن هناك حل غير ذلك، و النساء يستقبلنهم استقبالا صعبا، فيقول الرسول ﷺ " لا لا ليسوا فرارا بل هم الكرار إن شاء الله"، و يتوجه نحو خالد و نظر إليه، و هو يقول" يا خالد أنت سيف من سيوف الله"، و يدخل الجيش، فما أن دخل الجيش المدينة، حتى أسرع رسول الله إلى بيت سيدنا جعفر بن أبي طالب، و حضن أولاده.

فيأخذ رسول الله أولاد جعفر الثلاثة في حضنه و يضمهم، فبكى ابن جعفر الكبير عبد الله، فقال له النبي ﷺ، و كان يبكي أيضا : "لا تبك يا بني فإن أباك الآن يطير مع الملائكة في السماء"، فعلمنا النبي أننا كلما رأينا أولاد جعفر أن نقول مرحبا بابن ذي الجناحين، حتى نكرم أولاده دائما، يقولون ثم أخذ النبي الثلاثة و حملهم، و خرج بهم إلى المسلمين، و قال ﷺ:" من يكفل أولاد جعفر؟"، فرأينا ثلاثة يرفعون أيديهم، كل يقول أنا يا رسول الله، أنا يا رسول الله، أنا يا رسول الله، يقول الراوي و الثلاثة أفقر من بعضهم البعض.

الدروس المستفادة

1- الرسالة غالية.

2- الإيمان أعظم أمر تحتاجه بلادنا من أجل تحقيق التنمية، ولا تنمية بغير إيمان لأن الإيمان هو أعظم طاقة تملكها شعوبنا و بلادنا.



غزوة خيبر

بعد مرور سنة على الصلح مع قريش، اتجه نظر الحبيب ﷺ إلى منطقة أو مركز تآمر على المسلمين و مركز إعلامي يشتم في المسلمين : خيبر. فبعد أن طرد الحبيب ﷺ اليهود المتآمرين اتجه الجميع إلى خيبر، و خاصة منهم حيي الذي جمع القبائل لمقاتلة المسلمين في غزوة الأحزاب.
و اتضح أن خيبر أصبحت خطرا على المسلمين، فهي أول من دعمت في غزوة الأحزاب و هي من جعل بني قريظة يخلفون العهد مع الحبيب ﷺ ، كما أنها مركز إعلامي و تآمري على المسلمين و الأمل الأخير لقريش. فشكلت بذلك حاجزا لمنع وصول الرسالة إلى الأرض.

و كان للحبيب ﷺ حل واحد و هو السلم، ليرغمهم علي كما فعل مع قريش، و لكن بالحرب. فخيبر إذا لم تُحارب فسوف تستعين بالفرس و الروم للقضاء على دولة المسلمين، فكان لا بد من الخروج لهم. خاصةو أن خيبر تضم ثمانية حصون، و كل حصن أقوى من الآخر، و معها قوة عسكرية تعد بأكثر من عشرة ألف مقاتل و قوة زراعية تكفيهم سنة كاملة، فحتى لو حوصروا فالأكل و الشرب متوفر عندهم، و لهم جميع الوسائل، إضافة إلى الأسلحة .
فكان الهدف من الغزوة هو نشر الرسالة و إرغام خيبر على الصلح، و الدليل على ذلك أن إجمالي قتلى خيبر وصل إلى ستة و تسعين قتيلا فقط.

و كانت خطة الحبيب ﷺ تقتضي محاربتهم و ليس قتلهم و تحويلهم بالتالي إلى مرحله التعايش السلمي، فأهل خيبر يتقنون الحرب الدفاعية و لا يستعملون الحرب الهجومية و لهذا يتحصنون في كل تلك الحصون : **" لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاء جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ"** الحشر:14.

و كان الهدف من القتال هو :
1- نزع سلاحهم.
2- ألا يعودوا لتهديد المسلمين.
3- التعايش السلمي.

هذه أمة تعيش للرسالة بالإيمان لا بالغدر أو الظلم...
فالحبيب ﷺ لم يخرج لحرب و إنما من أجل السلام

فخرج الرسول بـألف و أربعمائة صحابي و عشرين امرأة...

فتخرج النساء و تخرج معهم جارية صغيرة يبلغ سنا ما بين 12 أو 13 سنة، فسألها الحبيب ﷺ: " ما الذي أخرجك؟" قالت: "أخرج معك يا رسول الله " فصحبها خلفه في الناقة .
و عندما انتصر المسلمون كان من الغنائم قلادة، تقول: "فكان النبي يبحث عني و قال لي تعالي فهممت أن آخذها لكن قال لا أنا ألبسك إياها، فو الله من يوم ما ألبسني رسول الله القلادة لا تفارق عنقي و طلبت منهم أن يدفنوها معي حتى إذا جاء يوم القيامة خرجت من قبري و قلت لرسولي أتذكرني ؟ هذه القلادة التي ألبستني إياها؟ "

و حين كان الجميع يتجهز للغزوة جاء أبو مشحم و هو رجل يهودي إلى عبد الله ابن حذرد و كان عبدالله مدينا له بخمسة دراهم، فجاء إلى عبد الله يقول له: "أنت ذاهب إلى غزوة و لا أثق بعودتك فأعد لي الخمسة دراهم". فقال له عبد الله : "لم تنته مهلتي و وعدنا رسول الله أننا سنغنم و سوف أعيد لك". قال : "لا، أريدها الآن". فذهبا إلى رسول الله فقال له الحبيب ﷺ : " لا تخرج حتى تعطيه ماله".

هل توجد دولة تعامل أقلياتها بمنتهى عدل الحبيب ﷺ ؟؟



يقول عبد الله:" كان معي ثوبان و لا أملك غيرهما أحدهما ألبسه و الآخر أغير فيه، فبعت ثوبي بثلاثة دراهم و بقي لي درهمان فبعت عمامتي التي ستقيني من حر الشمس بدرهمين، ثم جلست حزيناً" ، فمرت بي عجوز فقالت لي : "مابك ياصاحب رسول الله؟" قلت لها: "بعت ثيابي و لا يوجد معي شىء لأخرج فيه سوى هذا الثوب الذي ألبسه". فقالت لي : "خذ بردتي و اخرج بها و سأجلس بالبيت أنتظركم، خذها فإني أريد أن أثوب معكم".

عش للرسالة...تحقق النهضة

باع عبد الله ثيابه من أجل الرسالة... و كذلك العجوز

فكانت من الغنائم التي قُسمت في فتح خيبر حصول عبد الله على جارية تقرب لأبي شحم اليهودي، فدفع أبو شحم لعبد الله ألف درهم ليفتديها بها ، فسبحان الله.

و عندما خرج الجيش للحرب أمرهم الحبيب ﷺ أن يسيروا في صفوف منتظمة و لايسبق أحد أحدا، فإذا بالحبيب ﷺ يرى ضوءا، فيقصده فإذا هو أبو عبس فيقول له : " ألم أقل لا يسبق أحد أحدا"، قال: "يارسول الله ناقتي سريعة فسبقت"، فغضب الحبيب ﷺ و قال له: "عد إلى مؤخرة الجيش" و جلس يوما كاملا لا يكلمه أحد.

لا تكن متهورا..

و اتفقت خيبر مع غطفان أن تأتي من خلف ظهور المسلمين و هم من الأمام و يحاصروهم، و كان عدد مقاتليهم أربعة آلاف مقاتل. فأرسل الحبيب ﷺ لسيد غطفان : ارجع و لك نصف ثمار خيبر.
قال : القوم (أي خيبر) قالوا لي سنأخذ سنة كاملة للثمار.

قال له الحبيب ﷺ: إذا ارجع و لكم سنة كاملة من الثمار. فقال : لا

و في المرة الثالثة قال له الحبيب ﷺ: ارجع و إلا لن تجد إلا السيف، قال : لا، معي عشرة ألف من خيبر. و في هذه اللحظة تحركت المخابرات الإسلامية، فقد كان للمسلمين عملاء مسلمون داخل غطفان لا يظهرون إسلامهم ، فجاءوا إلى غطفان يوهمونهم أن النبي ﷺ أرسل بجيش آخر ليدخلها، فرجع جيش غطفان ليدافعوا عن قبيلتهم و ينقذ جيش المسلمين.

و عندما وصل الحبيب ﷺ خيبر دعى أن يبلغهم الله خير تلك البلدة و يقيهم شرها فقال: **" اللهم رب السموات و ما أظللن و رب الأراضين السبع و ما أقللن و رب الشياطين و ما أضللن و رب الرياح و ما أذرين، فإنا نسألك خير هذه القرية و خير أهلها، و خير ما فيها، و نعوذ بك من شر هذه القرية و شر أهلها ، و شر ما فيها . أقدموا باسم الله."**

و وصل الجيش ليلا فقالوا يارسول الله نحارب؟ فقال لهم : "لا تروعوا النساء و الأطفال". فجاءه الحباب بن المنذر يقول: " يارسول الله أهذا مكان أنزله الله و أمرنا فأسكت أم هو المكر و الخديعة؟"

قال ﷺ: "بل هي المكر والخديعة"، فقال له: "إذا نتراجع إلى الخلف حتى لايعرف عدونا عنا و لا يرمينا بالسهام"، فقال له الحبيب ﷺ : "أشرت بالرأي، و لكن لن نتحرك حتى لايظنوا أننا جبنا فنرفع روحهم المعنوية".

و استمر الحصار خمسة عشر يوما، و بدأ الجوع و العطش و التعب يظهر على وجوه الصحابة، لدرجة أن عبدالله بن مغفل يقول: "وجدت قليلا من الشحم ففرحت بها فأخذتها بين يدي و قلت لا أعطي أحدا منها شيئا"، فنظرت فإذا بالنبي ﷺ ينظر إلي و يبتسم. قال: "فاستحيت من نفسي و قسمت الشحمة بيني و بين خمسة من الصحابة".



لنتعلم من تربية الحبيب لصحابته

بنظرة واحدة و ابتسامة من النبي ﷺ فهم الصحابي قصده

و بدأت الروح المعنوية للصحابة تتراجع، فأراد الحبيب ﷺ أن يرفع روحهم المعنوية، فقال: أين ابن الأكوع ألا تسمعنا من هنياتك؟ فنزل يشدو و يقول :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا..................... و لا تصدقنا ولا صلينـــا
فأنزلن سكينـــة علينــــــا...................... و ثبت الأقدام إن لاقينا
إنا إذا صيح بنا أتينـــــــــا...................... و بالصياح عولوا علينا
وإن أرادوا فتنة أبينا

فيردد الحبيب ورائه : "أبينا أبينا أبينا".

و مرت ثلاثة عشر يوما و لم يستطيعوا فتح حصن واحد، ثم أصاب النبي ﷺ صداع في رأسه، و كان قد أخذ الراية

أبو بكر و حارب و لم يفتح، ثم بعده عمر و لم يفتح فأحس النبي ﷺ أن الصحابة مهزوزين. فقال لهم: في ليلة الرابعة عشر بعد صلاه العشاء : " لأعطين غدا الراية بعد صلاه الفجر لرجل يفتح الله على يديه يحب الله و رسوله و يحبه الله و رسوله ليس بفرار" و ذهب.

قال الصحابة: فكان الجميع يفكر من سيأخذ الراية؟ حتى عمر قال تمنيت أن أكون قائداً في ذلك الوقت. قال بريدة : فيأتي الناس يعرضون أنفسهم لرسول الله حتى تطاولت و قلت ربما يعطيني إياها. قال: "فبعد صلاة الفجر جاء الجميع يقف و يتقاتل على الصف الأول لعل الحبيب يختاره.

فقال الحبيب ﷺ : "أين الراية؟" فجاء بها سلمة. فقال : "ياسلمة إغرسها حتى يراها الجميع"
فقال : "أين علي بن أبي طالب؟" فقالوا:" يارسول الله يشتكي من عينه". فقال : "مابها؟" قالوا: " رمد يارسول الله".

فذهب الحبيب ﷺ إلى علي و قال: "نم يا علي على الأرض و ضع رأسك في حجري"، و بدأ الرسول يقرأ و يمسح بيده على عين علي، قال علي: " تمنيت أن يبقى الرمد ليبقى الرسول يمسح على عيني".

فقال الحبيب ﷺ : "يا علي خذ الراية و لا تلتف إلى الخلف".
قال علي: "سألت نفسي و أنا ذاهب على ما أقاتل الناس؟" قال : "فأردت أن أعود فتذكرت كلام رسول الله لا تلتف إلى الخلف".
فقال علي لرسول الله : " يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس؟"
قال : "يا علي ادعوهم أولاً إلى الإسلام فلإن يهتدى على يدك رجل واحد خير مما طلعت عليه الشمس".
فجاء علي عند باب الحصن: " فسأله يهودي من أنت؟"
قال : "علي ابن أبي طالب"
فصاح اليهودي: "هزمتم و الذي أرسل به موسى، فقد ذكر عندهم أن من سيفتح خيبر رجل يدعى علي"

فجاء رجل يهودي يدعى مرحب و كان أشجعهم، فقال:

قد علمت خيبر أني مرحب .... شاكي سلاحي بطل مجرب
أطعن حينا وحينا أضـــرب............. إذا الليـــــــوث أقبلت تلتهب

فخرج إليه علي و قال :

أنا الذي سمتني أمي حيدره

ضرغام آجام و ليث قسورة.............. عبل الذراعين شديد القصرة
كليث غابات كريه المنظر.............. على الأعادي مثل ريح صرصرة
أكليكم بالسيف كيل السندرة .... أضربكم ضربا يبين الفقرة
و أترك القرن بقاع جزره .... أضرب بالسيف رقاب الكفرة
ضرب غلام ماجد حزوره .... من يترك الحق يقوم صغره
أقتل منهم سبعة أو عشرة .... فكلهم أهل فسوق فجره



فبارزه فقتله علي رضى الله عنه.
فجاء ياسر أخو مرحب ليقاتل فقال علي: "ما أطوله"، فقال له الزبير: "دعه لي". فقالت صفية أمه : "يارسول الله ابني"، فقتل الزبير ياسرا فقال الحبيب ﷺ : " لكل نبي حواري و حواري الزبير بن العوام".

و في اليوم الخامس عشر، فتح علي الحصن الأول، و كان هناك غنم ترعى، فقال الحبيب ﷺ: "من يأتينا بهذه الغنم"، قال كعب بن عمر:"أنا آتيك بها يارسول الله"، فأخذت غنمتين و أحضرتهما، فدعى له النبي و قال: "اللهم متعنا به". فكان آخر صحابي من أصحاب رسول الله يموت. و كان يحكي للأطفال هذه القصة و يقول: "هلك كل أصحاب النبي و مازلت حياً فمتى لقاء حبيبي؟ "

و عند فتح الحصن الثاني حدثت قصة، فقد كان هناك عبد أسود يرعى الغنم فجاء إلى رسول الله و قال له: "إذا أسلمت معك فماذا تعطيني؟" فقال له الرسول: "الجنة". فقال: "يا رسول الله إني رجل أسود اللون قبيح الوجه منتن الريح لا مال لي. فإن قاتلت هؤلاء حتى أقتل أدخل الجنة ؟" قال: " نعم " فقال العبد: "إن غنم القوم معي فهل أعيدها لهم و آتيكم؟" قال: "نعم أعدها لهم".

فتقدم فقاتل حتى قتل، فقال النبي ﷺ لما رآه: " لقد حسن الله وجهك ، و طيب ريحك . و كثر مالك " و قال: "لقد رأيت زوجتيه من الحور العين تتنازعان جبة عليه، و تدخلان فيما بين جلده و جبته"

و بدؤوا يقتسمون الغنائم، فإذا بأحد المسلمين يقول: "لا و الله ما لهذا اتبعته و لكن اتبعته و أشار الى تحت الرأس عند العنق و قال على سهم هنا". فإذا بيهودي يأخذ سهما و يصيبه في المكان الذي أشار إليه.

فقال الحبيب ﷺ: " أهو هو ؟" قالوا: "نعم". قال: "حيثما أشار؟" قالوا: "نعم" ، قال: "صدق الله فصدقه الله"

ياصاحب الرسالة اصدق الله ليصدقك،
سيختبرك لتصدقه، فإن نجحت أعانك.

و كان من بين الغنائم التي أخذها المسلمون المنجنيق، فقال الحبيب ﷺ أرموا به و لكن لاتصيبوا أحداً، و بعد أيام يستسلم أهل خيبر و يذهب كنانة لعقد الصلح مع رسول الله، و ينزلون على شروط الحبيب و هي :
1- نزع السلاح.
2- الخروج من خيبر.
3- نأخذ نصف ثمار الأرض و سيأتيكم كل سنة شخص ليأخذ نصف المحصول.

و انتصر الحبيب ﷺ و حول خيبر من أعداء إلى مسالمين، و استفاد اقتصادياً (يأخذ نصف الثمار)، و تنموياً فلم يترك بطالة في الشعوب.
و كان أحد الصحابة يأتي كل سنة ليأخذ المحصول فقالوا نعطيك ربع الثمار و لكن تقلل في حصة محمد. فخلع نعله و أمسكه و قال : أترشونني في نصيب رسول الله؟

و أسلم شخص يدعى الحجاج بن علاط، و كانت له تجارة في قريش، فقال لرسول الله : اسمح لي أن أخفي إسلامي و أقول ما أقول فيك لأعيد تجارتي، قال : افعل. فذهب إلى قريش فقالوا عنده الخبر، فقال: أين التجار؟ قالوا: ما هو الخبر؟ قال اجمعوا التجار و أعطوني مالي و أخبركم. قال أأبشركم و تأتوني مالي؟ قالوا :نعم.
ففي الصباح قال لهم إن خيبر انتصرت و أسرت محمدا و إنهم سوف يسلمونه لكم، ففرحوا و أعطوه ماله و خرج. فلحق به العباس و قال له اصدقني الكلام، قال إن خرجنا من قريش فاتبعني أخبرك، فتبعه حتى خرج من مكة، فقال له : لا و الله بل محمد انتصر و هزمت خيبر هزيمه شديدة، و لقد قتل من أصحاب رسول الله ستة عشر فقط.

و في تلك الأثناء أعدت قريش الأفراح بهزيمة الحبيب ﷺ و لما علموا بالخبر الصحيح قالوا فعلها الحجاج لينفذ بماله.

الدروس المستفادة :

1- نحن دعاة سلام لا حرب
2- أهمية المخابرات في دولة المسلمين
3- الصدق مع الله في الرسالة
4- لا للتهور

فتح مكة

نحن الآن في السنة الثامنة للهجرة، و سن ﷺ ستون سنة، و جاء فتح مكة بعد صلح الحديبية و فتح خيبر. و قد مهدت هذه الأحداث لهذا الصلح، فبعد أن كان الحبيب ﷺ يطلب منهم أن يخلوا بينه و بين الناس، ها هو ينشر رسالته بكل سهولة، فأسلمت جل القائل العربية كقبيلة أسلم و غفار و دوس و بني سليم و غيرها.

و بعد سنتين من صلح الحديبية أسلم المئات من الناس و كان من بين شروط الحديبية أن تختار القبائل الحلف التي تريد الدخول فيه سواء حلف قريش أو حلف محمد ﷺ. فدخلت قبيلة خزاعة في حلف الحبيب و دخلت قبيلة بني بكر في حلف قريش، فتوقفت الحرب التي كانت تدور بينهما لسنين طويلة.

وأثناء هذا الاستقرار تفكر قبيلة بني بكر في شن حرب على خزاعة مرة أخرى بعد أن تضرروا بتحالفهم مع قريش، و خزاعة تعلو و تقوى مع حلف الحبيب ﷺ. ففكروا في الخيانة و الثأر لأنفسهم، و كانت القبائل حينها تقصد مكة للعمرة و الطواف بالكعبة بكل أمان، فذهب قائد بني بكر إلى قريش و قال لهم : إني أحس أن خزاعة قد بدأت تعلو فأنا فكرت أن أقتل منهم لكي يحسوا أننا أقوياء كما كنا من قبل فوافقت قريش. فدخلت قريش في الخيانة و أعطت السلاح و الإذن بقتل الناس في الحرم، و قد أعطى هذه الموافقة كل من سهيل بن عمرو و حويط بن عبد العزى و عكرمة بن أبي جهل و صفوان بن أمية، و هم لا يشعرون أنهم بفعلتهم هذه يمهدون لدخول الحبيب والصحابة إلى مكة.

و قدمت خزاعة للعمرة و دخلت في منطقة إسمها "الأثير" و هي منطقة خارج الحرم، فخرج عليهم نوفل بن معاوية ودخل عليهم خيامهم و قتل منهم ثلاثة، فخرجوا يركضون تجاه الحرم لأن الحرم آمن، و مهما غدرت قريش فلا يمكن أن تغدر داخل الحرم، فتبعهم نوفل يجري ورائهم فصاح بنو بكر على قائدهم : يا نوفل الحرم الحرم، إلهك إلهك، فقال لهم لا إله لكم اليوم، إنكم تسرقون داخل الحرم فلم لا تأخذون بثأركم في الحرم، فقالوا معك حق فدخل و قتل منهم عشرين آخرين. لقد كانوا يسرقون فقط و ها هم الآن يقتلون...

> **لا تصر على صغائر الذنوب أو نستهن بها**
> **فإنها تقود إلى الذنوب الكبيرة**

فهرع الناس اتجاه بيت سيد خزاعة بديل بن ورقاء، و هناك قرب بيته قتلوا منهم عشرة أفراد. فلما رأى بديل ما فعلوا و بسرعة بديهة فائقة أرسل في طلب عمرو بن سالم، و قال له إذهب إلى رسول الله و لا تتوقف حتى تصل إليه و بلغه ما حصل.

و يأخذ عمرو فرسه و ينطلق و يصل إلى المدينة في يومين دون توقف ، و يدخل المسجد النبوي و كان فارغا إلا من رسول الله ﷺ و معه حاطب بن أبي بلتعة يناقشه في أمر، و هو سفير رسول الله إلى المقوقس ملك مصر و قد شهد بدرا وكان النبي يثق فيه ويؤثره.

فدخل عمرو بن سالم على النبي و قال له بلغة الإعلام في ذاك الوقت أي بالشعر أبياتا شرح فيها ما حصل بشكل مؤثر جدا فقال :

ياربي إني أناشد محمدا	**حلف أبينا وأبيه الأتلدا**
قد كنتم ولدا و كنا والــــدا	**ثم أسلمنا ولم ننزع يدا**
إن قريشا أخلفوك الموعدا	**و نقضوا ميثاقك المؤكدا**
هــم يبيتون بالوثير سجدا	**فقتلونا ركــــــعا سجدا**
فانصر هداك الله نصرا أيدا	**و ادع عبد الله يأتوك مددا**

فلخص كل ما حصل في أبيات، فغضب الحبيب ﷺ و احمر وجهه و أخذ يضرب بقبضة يده على فخده و يقول:"نصرت يا بن سالم، نصرت يا بن سالم".
انظروا لهذه العزة و كيف يتحدث مع عمرو بن سالم فكم نحن محرومون من العزة اليوم.

لقد غدرت قريش، و الحبيب ﷺ يصفح عن كل شيء إلا الغدر و الخيانة وعليه أن يخرج إليهم دون تردد.

و يقرر الحبيب ﷺ ألا يخبر أحدا من أصحابه، و قريش تظن أنها في حلف مع الرسول ﷺ لمدة عشر سنوات مرت منها سنتان و لكنها بفعلتها هذه ورطت نفسها. و لما عرف كبراء قريش خاصة أبو سفيان أقروا أن ما حصل خطأ كبير لن يسكت عنه الحبيب ﷺ، و هذه فرصة مناسبة له بعد أن خانوا العهد.

إلا أنه ﷺ لا يرغب في سفك الدماء و الثأر و لا الانتقام و إنما يريد الهداية، وإلا لما أمضى صلح الحديبية، و في نفس الوقت حان أوان أن تستقر الرسالة في مكة بلا دماء. و رغم ما لقيه منهم في بداية الدعوة من قتل للمسلمين وكذا



الصحابة، و هجرته إلى المدينة و خروجه من بلده. إلا أنه مهما أوذي لا ينتقم. **و ما ذلك بالهين بل يحتاج لقلب كبير،** لقد قيل عنه مجنون و ساحر و عانى مدة عشرين سنة، و مع ذلك يأتيهم يريد لهم الهداية ولا يطلب القتل أو الدماء.

لقد زكاه ربه فقال **"وَ إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ "** القلم:4. و لقد عرف الأنبياء بأخلاقهم الفاضلة و عرفوا بأخلاق معينة كإبراهيم عرف بالوفاء و إسماعيل بالصدق و موسى كان مخلصا ...

أما الحبيب ﷺ فمدحه الله بكل الأخلاق

قال له أحد أصحابه لنقتل أولادهم فقال له، وهل خيراكم إلا أولادكم؟ أنتم جئتم أيضا من الجاهلية وأسلمتم، فهل نسيتم من أنتم.

إنها النفسية التي ينبغي أن يكون عليها المسلم
لا أن يقيم الحجة على العصاة

و هكذا ظل الحبيب ﷺ على قراره و لم يخبر أحدا و كأن عمرو بن سالم لم يخبره بأي شيء، فهو يريد أن يفاجأ مكة بجيش أمامها.
في تلك الأثناء ندمت قريش على ما فعلت، و اجتمع كبار قريش في دار الندوة يتدارسون الأمر و قالوا ماذا سنفعل؟ فقام عبد الله بن أبي السرح وكان قد أسلم وبقي مع النبي سنة ثم ارتد لأنه لم يجد مكانة عند المسلمين، فقال لهم أنا عشت معهم وأعرفهم وأمامكم ثلاثة حلول :
- إما أن تدفعوا الدية لخزاعة، فقالوا و الله لو أعطيناهم كل أموالنا ما سامحونا.
- و إما أن تعطوهم الناس الذين قاموا بالقتل لينتقموا منهم، فقالوا و الله لن يدخل حلفنا بعد اليوم أحد.
فقال لهم إذن لم يبق لكم سوى حل واحد
- هو السيف، لأنه لن يترككم.

فقام أبو سفيان و اقترح خطة، تتلخص في أن يستغل أن الرسول لم يعلم بعد بالخبر – حسب اعتقاده – ليجدد صلح الحديبية بدعوى أنه لم يحضر التعاقد الأول وقد أعجب ببنوده ، فليعد نفس الصلح بالشروط ذاتها ، فيكون تاريخ المجزرة قبل تاريخ الصلح الجديد فلو عرف محمد، لما استطاع التصرف لأن الهجوم كان في الصلح القديم ، وحتى لو فكر أن يهاجمهم فسيطلبون العون من القبائل و إن سكت ضمنوا عدم انتقامه .
ثم أضاف قائلا : " احبسوا خزاعة لا يخرج منهم أحد إلى المدينة " فحبسوهم، و كل هذا و قريش لا تعرف أن الخبر قد وصل إلى الحبيب ﷺ.
فذهب أبو سفيان إل المدينة و كانت المرة الأولى التي يدخل فيها قائد قريش إلى المدينة، و كان له في المدينة ابنته و زوجة الحبيب ﷺ و هي أم حبيبة، فذهب إليها ودخل حجرتها وعندما هم أن يجلس جاءت بسرعة و شدت اللحاف من تحته لكي لا يجلس عليه، حصل هذا بعد فراق بينهما دام 15 سنة منذ هجرة الحبشة ، فسألها قائلا : " أرغبت عني هذا الفراش، أم رغبت بالفراش عني؟ " فأجابت : " بل رغبت به عنك " ، فقال : لم؟ قالت: هذا فراش رسول الله وأنت رجل نجس.
فقال لها أبو سفيان: لقد أصابك بعض شر، فقالت أبدا ما أصابني بعدك منذ عرفت رسول الله إلا كل خير، فخرج من بيتها وذهب إلى المسجد ليقابل الحبيب ﷺ و كان في المسجد مع صحابته، فرأى أبو سفيان قادما فقال لهم يأتيكم الآن أبو سفيان إنه يريد أن نجدد العهد و نزيد في المدة.
فدخل أبو سفيان و وقف وقال : " أيها الناس يا محمد إني لم أحضر صلح الحديبية و لقد وجدناه صلح خير و قد آتيتك لنجدد العهد و نزيد في المدة ". فقال النبي ﷺ : " أذلك ما أتى بك يا أبا سفيان؟ " فقال : "نعم".
فقال النبيﷺ: هل أحدثتم حدثا؟ فقال : معاذ الله. فقال ﷺ: يا أبا سفيان إنا على العهد الأول لا نجدد و لا نغير و لا نغدر، فلم نجدده ما دمنا على العهد؟ و لو هناك جديد قل. قال : لا جديد.
قال الحبيب ﷺ :إذن نحن على العهد.
و قد كان في مقدور النبي ﷺ أن يحبسه و يقتله و ينتقم منه و يدخل مكة، و لكنه آثر السلم والخير .

إنها عظمة الحبيب ﷺ الشاملة لكل النواحي و لن تجد رجلا عظيما مثله في تاريخ البشرية كلها ، فهو عظيم في السلم و في الحرب و في المعاملات و في صلة الرحم و في القوة و في الحزم...و لذا فهو سيد خلق آدم، و لليوم نقول في تشهدنا لا إله إلا الله محمد رسول الله و اسمه مكتوب على باب الجنة. فلا أحد رحم و أصلح في الأرض و عفا عن الناس مثل ما فعل الحبيب ﷺ.



ثم قام أبو سفيان و ذهب إلى أبي بكر و قال له : هل لك إلى أن تراجع محمدا أن يزيد المدة، أو تجير بين الناس، أي أن ينوب عنه أبو بكر ويجيره بين المسلمين و قريش، فلا يحاربون من أجل وضعي الاجتماعي و هذه عند العرب إذا قالها رجل له قيمة تسمع كلمته، و لو قالها أبو بكر هنا معناه أنه سيورط المسلمين.

فقال أبو بكر " إنا على العهد لا نبدل و لا نغير و لا نغدر، جواري في جوار رسول الله".

فذهب إلى عمر فقال له هل لك في عز الدهر ، تجير بين الناس؟ فقال له : أما وجدت غيري، و الله لو لم أجد غير النمل لقاتلتكم به، و الله إن بيننا و بينكم معاهدة أدعو الله إن كانت متينة مزقها الله وإن كانت ممزقة فلا وصلها الله.

ثم ذهب إلى عثمان وسأله، هل لك أن تجير بين الناس؟ فقال له جواري في جوار رسول الله.

فلننظر إلى تلاحم مجتمع الصحابة ومتانته
فلو كانت الأمة الإسلامية كذلك لما كانت بهذا الضعف

ثم ذهب إلى علي و قال له أنت أقرب إلي منهم و كانت مع علي زوجته فاطمة و ولديه الحسن و الحسين أطفال، فقال له هل لك أن تجير بين الناس؟ فقال له جواري في جوار رسول الله، فقال أبو سفيان يا فاطمة هل لك إلى أن تجيري بين الناس؟ فقال له أنا امرأة و هذا الأمر يفعله الرجال، فقال لها هل لك أن تؤمري الحسن و الحسين أن يجيروا بين الناس؟ فضحكت وقال يا أبا سفيان إنهم أطفال.

ثم نظر إلى علي و قال له إني في كرب شديد، فهل تنصحني؟ فقال علي إن أردت أن تجير بين الناس إفعلها بنفسك، إذهب إلى المسجد وقف بين الناس وقل أنا أبو سفيان سيد قريش قد أجرت بين الناس، فقال : هل تنفع يا علي؟ قال علي : لا، قال : فلم تنصحني بها؟ قال له علي : لا أجد لك غيرها.

وذهب أبو سفيان إلى المسجد و وقف و قال : أنا سيد قريش أنا أبو سفيان بن حرب أنا قد أجرت بين الناس فلا يعتدي أحد على أحد و لا يرد أحد جواري، فنظر إليه النبي وقال له :يا أبا سفيان أنت قلت ذلك أنا لم أقل شيئا، قل ما شئت فأما نحن فنفعل ما نريد.

وكان رد الحبيب ﷺ مليئا بالأدب فلم يهنه رغم ما فعله.

رجع أبو سفيان إلى مكة فقالوا له لعب بك علي بن أبي طالب، أليس هذا علي الذي قال يوما للنبي وهو ابن العاشرة أنا أنصرك يارسو ل الله فضحكنا منه، لعب بك يا سيد قريش فأحس أبو سفيان بالإهانة وخرج متوجها للأصنام وقال : أقسم ألا أعبد غيركما ما حييت.

بعد ذهاب أبو سفيان دخل النبي ﷺ على عائشة و قال لها جهزيني للقتال، و سأقول لك شيئا لا تخبري به أحدا، هي الوحيدة التي ائتمنها على السر ، فقال لها غدرت مكة و أخبرها بكل ما حدث.

لقد ائتمن الحبيب ﷺ امرأة على سر خطير و هذا إنما يدل على تقديره للمرأة
و عقلها و رزانتها و ما حديث إنكن ناقصات عقل و دين إلا كلام في سياق أخر لم يكن يقصد به النبي التقليل من قيمة المرأة ودورها

دخل أبو بكر على ابنته عائشة و هو يحس أن شيئا ما يحدث، فقال لها: أتجهزين النبي ﷺ للقتال؟ قالت نعم، هل يريد القتال؟ قالت : نعم، فقال لعله يريد الروم؟ تقول فابتسمت و لم أرد، أو لعله يريد هوازن، فابتسمت و لم أرد، قال أو لعله يريد قريشا؟ فابتسمت و لم أرد و قمت من أمامه فخرج.

هذه رسالة للسيدات :
لا تكشفن أسرار أزواجكن خارج البيوت و لا تفشين الأسرار

أمر النبي ﷺ الناس ليجهزوا للقتال، فقالوا أين يارسول الله؟ قال سوف تعرفون. فلقد كان يسر الأمر لأن بالمدينة منافقين، و لكي يفاجئ قريش بمجيئه، و لأنه لا يريد القتال. فبدأت القبائل تتجهز للخروج مع الحبيب ﷺ ثم جلس مع أبي بكر وعمر و تحدث معهم طويلا، وكأن النبي ﷺ أخبرهم و هذا جاء من بعض الرواة بأنهم سمعوا عمرا يقول له : لقد قتلونا و آذونا و النبي ﷺ يحنن قلبه عليهم.

ثم أرسل النبي جواسيسه ليمسحوا طريق هوازن فقالوا إذن هو يريد هوازن، فانتشر الخبر في المدينة أن النبي ﷺ يريد هوازن.

و بدأت القبائل تتوافد و كلما حضرت قبيلة دعا لها النبي ﷺ، فلما قدمت أسلم قال أسلم سالمها الله، ثم جاءت قبيلة غفار فقال لهم غفار غفر الله لها، وذلك ليؤلف بين القبائل.

و أثناء تجهيز الجيوش حصل شيء لم يكن في الحسبان، فقد قام حاطب الذي كان مع الحبيب ﷺ عندما جاء عمرو بن سالم بالخير، و أرسل رسالة إلى أبي سفيان يقول فيها :
"من حافظ بن أبي بلتعة إلى أبي سفيان إن محمدا يجهز الجيش ليحاربكم" و أعطاها لمرأة و أمرها أن تخرج بها إلى أبي سفيان دون أن يراها أحد و ألا تخبر أحدا بالرسالة.

فنزل جبريل و أخبر الحبيب ﷺ عن الرسالة، نزل لأن رسالة الإسلام في خطر و لأن الحبيب ﷺ لا يريد القتال،

فبعث الحبيب ﷺ بعلي و الزبير وراء المرأة ليحضروا الرسالة قبل أن تصل مكة، فذهبوا في أثرها و لحقوا بها، و قالوا لها : أخرجي الرسالة. قالت: و الله ما معي رسالة.
قالوا لها : أخرجي الرسالة، قالت: لهم والله الذي لا إله إلا هو ما معي رسالة.قالوا : ما كذب جبريل وما كذب رسول الله أخرجي الرسالة فأبت.
فقالوا : لتخرجن الرسالة أو لتنزعن الثياب، فأخرجتها و سلمتها لهم. فعادوا بها للنبي و قال لعلي: إقرأ الرسالة يا علي.

فقرأها علي، و التفت النبي ﷺ إلى حاطب و قال له : ما هذا يا حاطب؟ و رمى بالورقة. إنه موقف صعب يقفه حاطب.

و نحن هل سيقول لنا ﷺ يوم القيامة
ما قاله لحاطب : ما هذا الذي فعلتم؟

فقال له: لا تعجل علي يا رسول الله فو الله إني مؤمن بالله وروسله و لا بدلت و لا غيرت و لا ارتددت عن ديني و إنما أنا لصيق بقريش و أولادي و أهلي لا زالوا بمكة، فأحببت أن يكون لي على قريش يدا عليا يحفظون بها لي أولادي و أهلي.

فقام عمر و أخرج سيفه و قال للحبيب ﷺ : دعني أقطع رأس هذا المنافق فقال له النبي ﷺ : دعه يا عمر فلعل الله اطلع على أهل بدر فقال لهم افعلوا أهل بدر ما شئتم و هو من أهل بدر. فبكى عمر و قال: الله ورسول أعلم.

و مع أنها خيانة عظمى فإن الله ورسوله عفا عنه. ونزلت في حقه آية شديدة **" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ "** الممتحنة:1.

فليكن لنا رصيد كما كان لحاطب نستخدمه وقت الحاجة،
و لنملأ رصيدنا بالحسنات تنفعنا يوم القيامة،
ولنقم بوقفات عظيمة في حياتنا تنفعنا أمام الله عز وجل و رسوله

ثم قام النبي ﷺ بعد ذلك بحصار للمدينة فلا يخرج منها أحد و أما الدخول فمباح، خاصة أن القبائل التي ستشارك مع النبي تأتي تباعا، و كان مسؤول الحراسة سيدنا عمر بن الخطاب.
ثم بدأ الجيش بالتحرك و كان عدده عشرة آلاف بعد أن كان 300 في بدر و 700 في أحد و 1400 في صلح الحديبية و خيبر، فقد كانت سنتا السلام أبرك من سنوات الجهاد و ارتفع عدد المسلمين كثيرا في سنيتين.
و انطلق الجيش متجها في طريق هوازن و كل الجواسيس تعتقد أنه ذاهب لهوازن. فبدأت هوازن تستعد لقدوم الجيوش، و قد كان قائد الجيش خالدا بن الوليد و في الميمنة أبا عبيدة بن الجراح و في الميسرة الزبير بن العوام و قلب الجيش و حامل لواء المسلمين سيد الأنصار سعد بن عبادة و كأنه يقول للأنصار أنا لم أنسكم.

و يصل الجيش على بعد ثمانية كيلومتر من هوازن و هناك يغير الحبيب ﷺ اتجاه الجيش نحو مكة و بدأوا يتحركون بسرعة كبيرة جدا و يوصي مخابراته بأن يمسحوا الطريق من جواسيس قريش فتأخرت الأخبار عن قريش و لم يعد لديها أخبار عن النبي ﷺ لمدة أيام حتى وصل إلى مشارف مكة و هم لا يعرفون بقدومه.

و على أعتاب مكة طلب الحبيب ﷺ من المسلمين أن يشعلوا النيران لرفع روح قريش المعنوية، فكان في كل خيمة شعلة نار، و في تلك الأثناء كان هناك شخص مهاجر إلى المدينة: إنه عمه العباس الذي أسلم و كان ذاهبا إلى الحبيب ﷺ فأخذ ثواب الهجرة في آخر لحظة.

ذهب إلى الحبيب ﷺ و قال له : لا تدخل عليهم حتى أعود فلعلهم يستقبلونك، و سأقنع أبا سفيان أن يسلمك مكة، ثم طلب منه أن يعطيه أمارة، فأعطاه الحبيب ﷺ بغلته فركب عليها و ذهب إليهم، في نفس اللحظة كان أبو سفيان عائدا إلى المدينة ليحاول مرة أخرى إقناع المسلمين بتجديد العهد، فرأى النيران فبدأ يسأل : لمن هذه النار؟ فقيل له لعلها هوازن، فقال: هوازن أذل من ذلك وأقل، و قيل له لعلها خزاعة فقال : خزاعة أذل من ذلك و أقل، ثم رأى العباس قادما فقال له العباس: هذا رسول الله يا أبا سفيان، فقال له : أأسلمت؟ قال: يا أبا سفيان إن معه عشرة آلاف مقاتل مدججين بالسلاح و جاءت معه العرب كلها ليفتحوا مكة، يا أبا سفيان في يدك الأمر الآن إذا فتحها بالقوة هلكت قريش فاخرج معي



و سلم له مكة، فقال له أبو سفيان : نعم، و لكني أخاف أن يقتلني وقد قتلت منهم الكثير، و كان الحبيب ﷺ قد أرسل عليا في أثر العباس فقال له علي : لا تخف، قل له ما قال إخوة يوسف، "تالله لقد آثرك الله علينا و إن كنا لخاطئين ".فركب مع العباس على بغلة النبي و دخلوا معسكر المسلمين و كان عمر بن الخطاب في الحراسة فلما رأى أبو سفيان صاح فيه : أسلمك الله يا غادر بلا عهد و لا ذمة أعطني رقبتك كي أقطعها، فقال له العباس : دعه إنه في جواري، فقال له لا جوار لك اليوم أعطني رقبتك يا أبا سفيان، فقال له العباس : إني أقول لك إنه في جواري، فعاد عمر بن الخطاب لنفس الكلام فقال له العباس، افعل ذلك فإنه من بني عبد مناف، فلو كان من بني عدي ما كنت فعلت ذلك، فبكى عمر وقال : تقول لي هذا يا عباس إنك أسلمت منذ قليل و فرحت بإسلامك أكثر من فرحتي بإسلام أبي الخطاب و لم يسلم، لأن رسول الله سيكون أكثر فرحا بإسلامك من إسلام أبي و أنا أريد ما يريده النبي.

فدخلوا على النبي ﷺ فاحمر وجهه و قال لأبي سفيان : أغدرتم يا أبا سفيان و جئتني للمدينة تدعي غير ذلك،

فقال أبو سفيان :" تالله لقد آثرك الله علينا و إن كنا لخاطئين "، فأجاب الحبيب ﷺ بجواب يوسف :"لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم و هو أرحم الراحمين".

فقال العباس لأبي سفيان : يا أبا سفيان سلم مكة، فقال الحبيب ﷺ قبل تسليم مكة: يا أبا سفيان هل تشهد أن لا إله إلا الله و أني رسول الله؟ فقال له : ما أحلمك يا محمد و ما أصبرك و ما أوفاك، و الله لو كانت هذه آلهة لأغنت عنا اليوم، فقال له : هل تشهد أني رسول الله؟ فقا له : أما هذه ففي النفس منها شك.

فقال العباس : يا أبا سفيان أنقذ قريش و قلها، فقالها أبو سفيان بسرعة و لم تخرج من قلبه، فعلمها النبي ﷺ و ابتسم.

ثم قال العباس للحبيب ﷺ : يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فأعطه شيئا. فقال له من دخل دار أبا سفيان فهو آمن. فقال أبو سفيان : بيتي صغير لا يكفي أهل مكة، فقال الحبيب ﷺ: من دخل الحرم فهو آمن، فقال أبو سفيان : إنه لا يكفي أهل مكة، فقال له: من أغلق عليه بيته فهو آمن.

فذهب أبو سفيان متجها لبيته فبعث الحبيب ﷺ العباس ورائه و قال له : الحق به و احبسه عندك حتى نؤمن منه و نريه قوتنا العسكرية. فلحق به العباس و قال له يا أبا سفيان، فقال أبو سفيان : أغدرا يا بني هاشم. فقال له العباس : لا، فقال: أخفتني، فقال له العباس : أبلغ منك الخوف كل هذا المبلغ؟؟

إنها قصة الحق والباطل...
من يعمل من أجل الحق لا بد أن ينتصر، من يخطط و يعمل
و يشتغل و يعيش للسلام و يبني و يبدع و ينتج لا محالة منتصر

ذهب مع العباس إلى بيته و صعدا على جبل قرب البيت ليبيتا هناك، فبدأت وفود القبائل تدخل تباعا، و الجيوش تتقدم شيئا فشيئا و تتوقف لحظات قرب الجبل الذي يقف عليه أبو سفيان، و بدأ يسأل العباس من هذه فقال له هذه قبيلة أسلم، فيقول أبو سفيان : ألم يكونوا أعداء الإسلام؟ فيرد عليه : لقد أسلموا، و من هذه يا عباس؟، هذه قبيلة أشجع، و ظلت تتوالى القبائل و هو ينتظر دخول الحبيب ﷺ فقال له العباس عندما يأتي سأخبرك، و لما انتهت القبائل تقدم جيش كبير يغلب عليه اللون الأخضر و يلبسون الحديد فلا يرى منهم إلا العيون يقودهم سعد الذي كان يصيح : رويدا رويدا حتى يقترب آخركم من أولكم.

و أثناء دخول الجيوش رفع سعد بن عبادة حامل اللواء صوته يقول : "اليوم يوم الملحمة، اليوم يذل الله قريشا" فغضب النبي ﷺ و قال : لا اليوم يوم المرحمة اليوم يعز الله قريشا، و بكل حزم عاقب سعد بأن أخذ منه الراية و أعطاها لابنه قيس بن سعد بن عبادة و كأنه يقول له سأترك للأنصار اللواء و لكني في نفس الوقت أرفض إهانة قريش و حتى لا يقلدك باقي المسلمين.

فقال العباس لأبي سفيان: هذا محمد، فقال أبو سفيان : لقد بلغ ملك ابن أخيك شيئا عظيما فقال له العباس : "ليس ملكا إنها النبوة".

ثم خرج أبو سفيان من بيت العباس و هو يقول : من دخل بيت أبا سفيان فهو آمن و من دخل الحرم فهو آمن و من دخل بيته و أغلق عليه بابه فهو آمن، فدخل الناس بيوتهم.

و دخل الحبيب ﷺ و هو يقرأ :"إنا فتحنا لك فتحا مبينا " و الصحابة يرددون وراءه و قرأ السورة كلها حتى وصل إلى آخر آية :" **مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً** " الفتح:29. و رفع صوته بالآية فبكى الجيش.

فيا له من منظر رائع جيش قوي منتصر يبكي بكل خشوع ،
و يدخل النبي مطأطأ رأسه تواضعا لله عز وجل



ثم قال لهم: " لا تقتلوا أحدا إلا عشرة : عكرمة وصفوان وهند بنت عتبة وعبد الله بن أبي السرح، إلا أنه عفا عن معظمهم.

و يأتي أبو قحافة والد أبي بكر الصديق يعلن إسلامه أمام النبي ﷺ و كان شيخا طاعنا في السن، فقال الحبيب ﷺ لأبي بكر : هلا تركت الشيخ في بيته و ذهبنا نحن إليه؟ فقال أبو بكر : هو أحق أن يأتي إليك، و بكى أبو بكر بعد إسلام والده فسألوه لم تبك؟ فقال : كنت أحب أن يكون بين يدي النبي ﷺ أبو طالب و ليس أبي فذلك كان سيسعد رسول الله أكثر.

و دخل الحبيب ﷺ إلى الحرم رافعا صوته : **"وَ قُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً "** الإسراء:81، **"قُلْ جَاء الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ "**سبأ:49، فلقد رأى المسلمون الحق بأعينهم بعد جهاد و صبر عشرين سنة.

ثم صعد بلال فوق الكعبة ليؤذن، و صعد الحبيب ﷺ على جبل الصفا و قال : أخرجوا الناس من بيوتهم، و قال لهم: يا معشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم؟ فقالوا :أخ كريم ابن أخ كريم فقال لهم لا تثريب عليكم اليوم، يتوب الله عليكم اذهبوا فأنتم الطلقاء.
ثم يشير النبي للأصنام فوق الكعبة فتبدأ بالسقوط، فكلما أشار إلى صنم سقط و كانت تلك معجزة جديدة حتى لا ينسوا أنه نبي و ليس قائدا سياسيا فقط.

هذه الأصنام كان من الممكن أن تسقط في السابق،
و لكن الله أراد أن يعملوا ويجاهدوا
ثم ينصرهم في آخر المطاف

في تلك الأثناء كان أبو سفيان جالسا يفكر و يتساءل، كيف أجمع جيشا أحارب به محمدا؟ فإذا بيد تربت على كتبه و صوت يقول له : إذن يخزيك الله يا أبا سفيان، فالتفت فإذا به رسول الله ﷺ، فقال له :أشهد أن لا إله إلا الله و أنك رسول الله.
أما هشام بن الحرث فكان يتحدث مع أبي سفيان فقال له : أحمد الله الذي جعل أبي يموت قبل أن يسمع نعيق بلال فوق الكعبة، فقال أبو سفيان أخشى أن أتكلم فيخبره الحصى، فمر الحبيب ﷺ و قال لهشام : الحمد لله الذي جعل أباك يموت قبل أن يسمع شرف بلال فوق مكة، و قال يا أبا سفيان لو تكلمت فسوف يخبرني الحق، فقال له أقسم أنك رسول الله فثبت إيمانه و من يومها أصبح أحد جنود الإسلام و دافع عن الإسلام في معركتين و مات مسلما.

و قابل الحبيب ﷺ شريكه في التجارة أيام خديجة رضي الله عنها، السائب بن أبي السائب فقال له: كانت لك أخلاق في الجاهلية، كنت أمينا و وفيا فكن في الإسلام كما كنت في الجاهلية.

و أخيرا نذكر هذه القصة : فقد كان هناك رجل من قريش يحمل خنجرا تحت يده، و كان الحبيب ﷺ يطوف بالكعبة فبدأ يقترب منه شيئا فشيئا فالتفت إليه النبي و قال له : بم تحدثك نفسك يا فضالة؟ فقال : إني أذكر الله، فقال له الحبيب ﷺ : اتق الله يا فضالة، ثم رفع يده فقلت سيضربني، فبدأ يمسح على قلبي و يقول استغفر الله يا فضالة، و ظل يمسح و يمسح، يقول فضالة : فقبل أن يضع يده على قلبي كان أبغض أهل الأرض على قلبي فما إن رفع يده عن صدري حتى صار أحب أهل الأرض إلى قلبي فعاد فضالة مسلما.

الدروس المستفادة

هذه الأصنام كان من الممكن أن تسقط في السابق،
و لكن الله أراد أن يعملوا و يجاهدوا
ثم ينصرهم في آخر المطاف

غزوة تبـوك

ما الذي أنجزه رسولنا الكريم ﷺ خلال التسعة عشر يوما التي مكث فيها بمكة ؟

حين فتحت مكة في رمضان من السنة 8 للهجرة كان سن النبي ﷺ 61 عاما، فلم يتبق سوى سنتين على وفاته ﷺ ، فهل نزل النبي في منزله، منزل خديجة؟ لا، لأنه لم يعد يمتلكه بعد أن استحوذ عليه عقيل بن أبي لهب وغيَّـر فيه ثم باعه، و حين سئل ﷺ : أفلا تذهب إلى بيتك يا رسول الله؟ أجاب : و هل تركت لي قريش بيتاً؟ مع أنه و قبل وقت قليل خاطبهم بكل سماحة قائلا : "اذهبوا فأنتم الطلقاء ". فأين نزل رسول الله ﷺ خلال هذه المدة؟ لقد أقام نبي آخر الزمان وفاتح مكة بخيمة، لأنه لا يظلم و لا يستولي على بيت أحد.

سمعنا و نسمع عن بلاد تفتح فتنهب ثرواتها و تؤخذ كنوزها إلا أن رسول الله ﷺ رفض أن يسلب منزل أحد غصباً فأقام بخيمة . إنه معنى عظيم يحتاج العالم و القوة العظمى إلى تعلمه، إنها سيرة نبوية لا تقتصر على المسلمين فقط بل هي للعالم كله.

ما هي أهم الأحداث التي ستقع أثناء مقامه ﷺ بمكة ؟

سيعفو سيد الخلق عليه أفضل الصلاة والتسليم على كل سادة قريش الذين آذوا المسلمين بشكل رهيب وخانوا صلح الحديبية كعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية وسهيل بن عمرو الذي أمضى مع رسول الله على صحيفة الصلح ثم خان العهد، كما سيعفو نبي الله ﷺ عن هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان التي شاركت في قتل سيدنا حمزة بن عبد المطلب وشقت بطنه ومضغت كبده، رغم أنه أحب الناس إلى قلب رسول الرحمة ﷺ ، إضافة إلى عبد الله بن سعد بن أبي السرح، الذي ارتد بعد إسلامه، فماذا فعل بهؤلاء؟

خذ العبرة من نفسية النبي ﷺ مع أناس لطالما آذوه سنين طويلة، و لنبدأ بعكرمة :

كان يقول : "لقد قتلت و خنت و إذا تمكنوا مني سيقتلونني و إن أبي صاحب الثأر القديم (أبو جهل) لهذا سأهرب إلى جدة ثم أركب البحر لأصل إلى الحبشة و أعيش هناك"، ففعل ذلك، و من رحمة الأقدار أن أسلمت زوجته، حيث ذهبت إلى النبي ﷺ و توسلت إليه ﷺ قائلة : "أفلا تأمنه يا رسول الله ؟ إنه سيد قومه و قد أمنت كل الناس ما عدا عكرمة؟ " فوافق رسولنا الكريم قائلا : "نعم أمناه". فتدرك الزوجة عكرمة و قد هم بركوب البحر، و قد خاطبه قائد المركب قائلا : "قل لا إله إلا الله"فرد عليه عكرمة بقوله : "ما هربت إلا منها"، و بينما هما كذلك إذا بزوجة عكرمة تقبل لتبشر زوجها من شاطئ البحر قائلة "يا عكرمة لقد أمنك رسول الله"، فنزل و رجع معها. و حين لمحه النبي ﷺ قادماً من بعيد توجه ﷺ إلى الصحابة و قال: "يأتيكم عكرمة مسلماً مؤمناً فلا تسبوا أباه فإن سب الميت يؤذي الحي و لا يصل إلى الميت"، مع أن أبا جهل كان أكثر من آذى رسول الله ﷺ. فيفرش له النبي رداءه و يقول ﷺ: " اجلس يا عكرمة "، فيفاجئ هذا الأخير بهذا التعامل الراقي الذي يفوق كل تصور، فيسأل عكرمة : "إلى ما تدعو يا محمد؟" فأجابه الرسول ﷺ بكل ثبات : "أدعو إلى صلة الرحم، و لذلك قبلناك و أدعو إلى محاسن الأخلاق و أدعو إلى الصلاة و أدعو إلى توحيد الله"، فتقبل عكرمة كلام رسول الله ﷺ. فقال عكرمة بعد 20 سنة أبت فيه أذناه الإصغاء لصوت الحق : "أشهد ألا إله إلا

الله و أشهد أنك رسول الله"، فقبل منه النبي ﷺ إسلامه. فأضاف عكرمة قائلا : "و الله يا رسول الله كل درهم أنفقته للصد عن سبيل الله لأنفقن مثله في سبيل الله، و كل صد صددت عن سبيل الله لأضعن ضعفه من جهدي في سبيل الله"، و هكذا تحول عكرمة بفضل جود و حلم رسول الله و حسن سماحته و أخلاقه ﷺ من عدو للإسلام إلى عنصر فعال و إلى صاحب رسالة، بل مات شهيدا في معركة اليرموك.

و من النماذج الأخرى التي قصدت رسول الله عليه أفضل الصلاة و التسليم صفوان بن أمية الذي فر في البداية كعكرمة، فقد عذب سيدنا بلال في بداية الدعوة عذابا شديدا و نقض العهد فطلب أمية بن وهب النبي ﷺ راجيا : "أفلا تأمنه يا رسول الله؟" فقال سيد الخلق ﷺ "نعم آمناه"، فأضاف أمية قائلا : "يا رسول الله أفلا أعطيتني شيئاً أطمئنه به حتى يدخل إليك و لا يقتله الناس؟"، فخلع رسول الله ﷺ عمامته التي دخل بها مكة و قال : "اعطه عمامتي فليلبسها فلن يقترب منه أحد". فأسلم صفوان بعد أن عايش سمو أخلاق الرسول ﷺ و تسامحه اللامحدود .

و أبرز مثال ينطق بعفو و سماحة الرسول ﷺ و سعة صدره عفوه عن هند بنت عتبة، و قد أمر ﷺ من رآها بقتلها بسبب إذايتها البالغة للمسلمين و قتلها لحمزة رضي الله عنه. و حين فتحت مكة ذهب النبي ﷺ إلى النساء ليبايعنه على الإسلام، و عقد جلسة خاصة بهن. و في ذلك تكذيب للادعاء المنسوب للإسلام على أنه يحتقر المرأة و يحرمها كافة حقوقها .

و بينما كن يبايعهنه فإذا بإحداهن و هي هند تجلس وسط النساء و قد نقبت وجهها حتى لا تعرف، فلما خاطبهن الرسول ﷺ قائلا : "أبايعكن على ألا تشركن بالله شيئاً" ردت هند بقولها : "و الله لو كانت هذه آلهة لأغنت عنا اليوم"، أي لكانت دافعت عنا، فابتسم النبي ﷺ و مر إلى البند الثاني من المبايعة فقال ﷺ : "ولا تسرقن"، فردت للتو : "إن أبا سفيان رجل بخيل فهل يحل لي أن آخذ ماله دون أن يدري"، فقال النبي ﷺ "أهذه هند بنت عتبة؟"، فقالت "عفا الله عما سلف فهل عفوت عني؟"، قال "قد عفوت عنك يا هند". فأكمل النبي ﷺ "و ألا تشركن بالله شيئا و لا تسرقن و لا تزنين"، فقالت هند "أو تزني الحرة؟""، ظناً منها أن الزنى يرتكبه العبيد و سفلة القوم لا الأشراف، فسكت النبي ﷺ و كأنه يهمس قائلا : "إنك لا تعلمين"، و أكمل "و على ألا تقتلن أولادكن" فسكتت ثم قالت "أيه ربيناهم صغاراً و قتلتهم أنت في بدر كباراً"، فضحك النبي ﷺ و سيدنا عمر رضي الله عنه حتى سمعنا صوت القهقهة، ثم سأل النبي ﷺ **:** "أين عتبة وعتيبة ابني أبي لهب؟" و هما أولاد عم و قد طلقا بنتي رسول الله ﷺ رقية و أم كلثوم بغرض الكيد للنبي ﷺ، فقال العباس "أآتيك بهما يا رسول الله"، فقال : "الآن"، فجيء بهما فوقفا أمام النبي ﷺ و كأنهما يرتعدان فقال لهما ﷺ **:** "إنما أنتما ابن العم إني أدعو لكما أن يهديكما فهلا أسلمتما"، فقالا "نشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله"، نطقاها خوفاً فقال لهما النبي ﷺ **:** "أعطياني يديكما"، فأخذهما ﷺ و صعد إلى الكعبة و ألصق بطنه وخده بجدار الكعبة في الملتزم، و ظل ﷺ يدعو أن يهديهما الله، يقول عمر : "يدعو النبي و أرى الهداية في وجهيهما، يدعو النبي و أرى الهداية في وجهيهما، يدعو النبي وأرى الهداية في وجهيهما". فخرج رسول الله ﷺ باسماً يقول "الحمد لله الذي هداكما". انظروا إلى هذه النفسية :



إنها نفسية المؤمن والمسلم الذي يريد الخير حتى لمن آذاه و يأخذ بيده، لأنه يريد الإصلاح في الأرض لا الانتقام ، فكيف يتهم النبي ﷺ من لدن المستشرقين و غيرهم بأنه صاحب دين يدعو للدماء والقتل و الإرهاب؟! من يصدق هذا الكلام بعدما يقرأ سيرة النبي ﷺ، فحذار أن يخجل أحدكم من دينه بعد معرفة كل هذه الحقائق عن سيرة سيد الخلق والأنام .

و بقي من الكافرين اثنان استحل النبي ﷺ دمهما لمي لقيهما، حين ضاقت بهما السبل قصدا بيت أم هانىء بنت أبي طالب (أخت سيدنا علي) و استنجدا قائلين : "أجيرينا يا أم هانئ"، فأجرتهما على أمل أن يهتديا، فدخلا بيتها فرحين، فلمحهما سيدنا علي بن أبي طالب فقال لأخته "جزاك الله خيراً فسلميني إياهما اقتلهما حتى أكون أول من ينفذ كلام النبي"، فردت : "قد أجرتهما" فقال علي كرم الله وجهه : "و هل تجير النساء و قد أحل الرسول ﷺ دمهما"، فقالت "أنا أجرتهما و والله لا أسلمهما إليك حتى أذهب إلى النبي"، فقصدته ﷺ في خيمته و قالت "يا رسول الله قد أجرت فلاناً و فلانا"، فنظر إليها و قال ﷺ "قد أجرنا من أجرت يا أم هانىء".

إنه موقف سياسي تجاه المرأة، ذلك أن الإجارة أمر سياسي وهو ما يعني أن النبي ﷺ أعطى للنساء حقوق سياسية، فقد شاركن في بيعة العقبة وهو عمل سياسي وشاركن في الحروب وهو عمل عسكري، والآن تساهم في عمل سياسي آخر و هو الإجارة، وقد قبل النبي ﷺ إجارة أم هانىء رغم أنه كان عملاً غريباً عن المرأة يقع لأول مرة في التاريخ .
فلا يدعي عالمنا الحالي أنه منح حقوقا للمرأة حين نصبها وزيرة أو منحها حق المشاركة في الانتخابات ، فقد سبق الإسلام إلى أكثر من ذلك منذ قرون طويلة خلت وإن غيرنا شرع الله وسنة رسوله ﷺ فذلك ذنبنا ولا صلة للإسلام بتقصيرنا .

و من الأحداث البارزة في مكة أن النبي ﷺ نادى على عثمان بن طلحة قائلا "يا عثمان إيتني بمفتاح الكعبة"، و لنتذكر أن عثمان في الماضي و قبل أن يسلم كان يدخل الناس في يوم من الأيام إلى الكعبة فقال له الرسول ﷺ **:** "أريد أن أدخل فأصلي في الكعبة"، قال "لا"، قال "يا عثمان دعني أصلي مع الناس"، قال "لا"، قال ﷺ **:** "يا عثمان دعني أصلي قبل أن يأتي يوم يكون المفتاح معي و لا أعطيك إياه"، فرد عثمان: "إذا جاء ذلك اليوم فباطن الأرض خير لي من ظاهرها"، أي أفضل لي أن أدفن على أن يكون المفتاح بيديك، فالنبي ﷺ يطلبه الآن و هو مسلم قائلا : "اعطني المفتاح"، فقال عثمان :"هو في حوزة أمي"، فتذكر حادثته السابقة مع رسول الله ﷺ فذهب إلى أمه و قال لها "رسول الله يريد المفتاح"، فقالت "و الله لا أعطيك"، و أخفته في ثيابها، و كان النبي واقفاً ينتظر أمام باب الكعبة فقال : "يا عمر اذهب فاتني بالمفتاح" فذهب عمر و طرق الباب فسألت أم عثمان "من؟" فأجاب : "عمر" فأخرجت المفتاح بسرعة و أعطته لابنها الذي سلمه لعمر ليصل إلى النبي ﷺ. و حين أمسكه النبي ﷺ نظر إلى عثمان فمال العباس إلى رسول الله و قال: "يا رسول الله أعطيني المفتاح ليكون شرفاً لنا"، فقال: "لا يا عباس يوم بر و وفاء"، فماذا يعني بذلك رسول

الله؟ لقد أعطى حلف في أيام الجاهلية لقبيلة بني شيبة التي ينتمي إليها عثمان بن طلحة الحق في الاحتفاظ بالمفتاح، فاحترم النبي ﷺ عرفاً وجد قبل الإسلام و لم يغيره لأنه بعث ﷺ للبناء لا الهدم ، فقال نبي الرحمة ﷺ : "خذوه بني شيبة لا يأخذه منكم إلا ظالم إلى يوم القيامة"، وما زال المفتاح مع بني شيبة إلى يومنا هذا، و لا يدخل أحد الكعبة إلا بإذنهم.

غزوة حنين

و عندما انتهت الأيام التسعة عشر التي قضاها النبي في مكة ودخل شهر شوال للسنة الثامنة للهجرة ، علم النبي ﷺ أن قبيلة هوازن تعد جيشاً بمعية قبيلة ثقيف لمهاجمة مكة، فلماذا هذا التحالف و هذا القرار ؟
لأنهما القوة التي كانت تعادل قوة قريش في الجزيرة، و حين شهدت هزيمة قريش طمعت أن تحظى بريادة الجزيرة و حق السيطرة عليها، فجهزت جيشاً من عشرين ألف محارب، و حينها قرر النبي ﷺ الخروج إليهما، فقد كانت حياة رسول الله ﷺ حياة جهاد متصل و هو البالغ من العمر 61 سنة.

قال الصحابة رضوان الله عليهم : "ما غدر رسول الله قط، ما ظلم رسول الله قط، ما غضب لنفسه قط، ما كذب رسول الله قط، ما أخلف رسول الله عهدا قط".

وخرج النبي ﷺ في جيش قوامه اثنا عشر ألف جندي، عشرة آلاف منهم فتحوا مكة و ألفان من حديثي العهد بالإسلام، و لما دنا وقت الخروج ذهب إلى صفوان بن أمية فقال له و قد كان حديث عهد بالإسلام و تاجر سلاح "هل تعيرني 200 أو 300 درع؟" فرد : "أغصباً يا محمد؟، قال "لا بل إعارة مضمونة"، فأعطاه إياها، و حين هم النبي ﷺ بإرجاع الدروع إليه بعد غزوة حنين قال له صفوان : "يا رسول الله إني أكثر رغبة في الإسلام، لا حاجة لي بالمال."

يخرج النبي ﷺ إلى الحرب و تختار هوزان منطقة تسمى حنين تبعد عن مكة بثلاث ليال و تعسكر فيها و تبحث عن مكان به منحدر شديد لا بد أن ينزل منه المسلمون الآتون من مكة، فتختار هوزان الكمون في الشعاب و الشجر و تنصب الكمائن عند نهاية المنحدر، و في الجهة المقابلة يبعث النبي ﷺ بعض الصحابة لاستقصاء الأخبار و معرفة ما يوجد أسفل المنحدر و هو الحذر و القائد العسكري العظيم، لكن انطيقت الآية الكريمة و اغتر المسلمون بعددهم و نصرتهم قال تعالى : **" وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ "** التوبة:25. فتفشت حالة من التراخي في الجيش واطمئنان بقدوم النصر، أما هوزان فقد خبأت فرسانها ورماتها وجيشها أسفل المنحدر مباشرة بين الشعاب، و قد استشعر النبي ﷺ ذلك لكن تراخي الجيش و اغتراره بنصر مكة أفقدهم زمام الأمور رغم تواجد الرسول بينهم .

درس ثابت في التاريخ يذكر بدرس يوم أحد مفاده أنه إذا قصرنا في التخطيط و الاهتمام بوسائل النصر فالهزيمة محققة و لو كان معنا رسول الله ﷺ. إنه معنى في منتهى الخطورة، فما بالكم بأمة مقصرة منذ 200 سنة فلا استغراب لانهزامها و سقوطها. فما كان الدعاء في رمضان مجديا ما دامت المعادلة لم تكتمل بعد ، فلازالت عناصر النصر ناقصة و هي : التخطيط السليم و الصبر و التضحية و الإصرار و الإيمان بالرسالة...



و يصل المسلمون إلى المنطقة و يقتربون من المنحدر، و في قيادة مقدمة الجيش خالد بن الوليد و معه ألف فارس، فيحذرهم النبي ﷺ بقوله "لا تنزلوا دفعة واحدة و لكن فرقة فرقة"، و كأنه شعر ﷺ بوجود كمائن في الأسفل مع أن المعلومات التي يتوفر عليها تفيد بعدم وجود أي شيء يذكر، فتنزل الفرقة الأولى ثم الفرقة الثانية فتخرج بغتة هوزان من الكمائن و يغيرون على المسلمين من كل مكان، يقولون : " حتى أن خالد من كثرة الجراح التي أصيب بها أغشي عليه "، و أصبحت الضربات تأتي من كل مكان و صار بعض المسلمين ينزل إلى أسفل المنحدر و البعض الآخر يهرب صاعداً و فئة يدوس بعضها على بعض، فارتبك الجيش ارتباكا شديدا، و أخذ الجميع يجري في كل اتجاه، و النبي ﷺ لا يعرف كيف يجمع الناس فاضطر إلى الإعلان عن مكان وجوده، و كانت تلك شجاعة و جرأة منه ﷺ فنادى بأعلى صوته : "أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب"، و ذلك ليجتمع حوله الصحابة، فلم يسمعه أحد ، فالكل يجري مرعوبا لدرجة أن الأحصنة لم يعد يستطيع أحد إيقافها و هي تركض من شدة الهلع و الارتباك، و النبي ﷺ ينادي بأعلى صوته و يدعو "اللهم أنجزني وعدك اللهم انصرنا اللهم لا تخزني اليوم". فكان أول الملتحقين برسول الله ﷺ العباس ذو الصوت القوي، أمسك بخطام ناقة رسول الله ﷺ ونادى بأعلى صوته : "يا معشر المسلمين هلموا إلى رسول الله"، و لا أحد يأتي، فقال النبي ﷺ **:** "ليس هكذا يا عباس و لكن ذكرهم بالأيام العظيمة يجتمعون إليك"، قال :"فماذا أقول يا رسول الله"، قال : "قل يا أصحاب بيعة العقبة، يا أصحاب بيعة الشجرة، قل يا للمهاجرين قل يا للأنصار، قل يا من حفظتم سورة البقرة أين بيعتكم؟"؟

أريدكم أن تتخيلوا اليوم الذي يناديكم نبي الله ويقول : يا من عاهدتم الله وبكيتم وأنتم تقولون سنعمل كذا وكذا، ماذا فعلتم بعد رمضان ؟"، إن الأمر سيان بين النداء الأول والثاني.

فظل العباس ينادي حتى بدأت الجموع تلتف حول رسول الله ﷺ و تقول : "لبيك يا رسول الله"، على من كان ينادي رسول الله ﷺ؟ هل كان يريد العشرة ألف من المحاربين ؟ كان هناك مقصودون بالنداء ليس العشرة ألف كلهم لأن فيهم حديثو عهد بالإسلام، حين نادى المهاجرين و الأنصار قالوا : "لم نعلم ما نفعل فالأحصنة هاربة"، فأخذوا دروعهم و قفزوا من فوقها باتجاه صوت العباس و أرض المعركة مكتظة بالهرج فتجمع بعض الناس حول رسول الله ﷺ و كانوا مائة صحابي، يقولون "لقد بدأ هؤلاء المائة يقتحمون المعركة وكأنهم إعصار" فشرع العشرة آلاف يتجمعون و ازداد العدد حول النبي ﷺ .

و اقترب من رسول الله ﷺ رجل يدعى شيبة بن عثمان بن طلحة و كان حديث عهد بالإسلام فأخذ خنجراً، و قال: هذه فرصتي، اليوم بطل السحر، ماذا يقصد؟ يعني أن كل ما فات كان سحرا انتهينا منه، فدنا من النبي ﷺ و هو يقاتل قتالاً شديداً لدرجة أن سيفه ﷺ كسر و هو في يده، حتى إن سيدنا علي بن أبي طالب يقول "فلما اشتدت المعركة كنا نتقي و نأتي خلف رسول الله ﷺ"، مع أن النبي عمره آنذاك 61 سنة و علي 33 سنة و هو من أشجع الفرسان، يضيف علي قائلا : "كان رسول الله ﷺ أقربنا إلى العدو"، فيا لشجاعة رسولنا سيد الخلق و المرسلين .

فجاء شيبة و هو يحمل الخنجر مقتربا من رسول الله فالتفت إليه النبي ﷺ و قال: "يا شيبة أريد بك الخير و تريد بنفسك الشر"، فارتبك لهذه الجملة و قال له النبي ﷺ "استغفر الله يا شيبة"، فيقول هذا الأخير "أنظر إلى وجهه فيتغير قلبي حباً له فأنظر إلى وجهه فيتغير قلبي حباً له حتى أحببته" .



فقال شيبة "أشهد أنك رسول الله"، فسأله ﷺ : "تكون معي ؟ "، قال : "نعم" فانقلب من شخص يريد قتل رسول الله إلى شخص يدافع عنه، كل ذلك في دقيقة وبجملة واحدة من رسول الله ﷺ، فلما انتهت المعركة جاء النبي شيبة و قال له "أرأيت كيف أراد الله بك الخير، و لو كنت فعلت ما فعلت لكنت من أهل النار، احمد الله يا شيبة".

فبدأ الجيش يتجمع و وقعت بشرى عظيمة و هي نزول الملائكة، و التي لم تقاتل إلى جانب المسلمين إلا في بدر، و تكتمل الآيات **"لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ثُمَّ أَنَزلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَعذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ "** التوبة : 25-26.

و انتصر جيش المسلمين و هزمت هوزان و غنم المسلمون غنائم كثيرة لم يحصلوا على مثلها من قبل، فقام رسول الله ﷺ بتوزيعها، فبدأ بأبي سفيان و أعطاه 100 ناقة، ثم صفوان بن أمية و حكيم بن حزام و كلهم من قريش و من المؤلفة قلوبهم، و لقد أعطاهم النبي ﷺ أموالا كبيرة لدرجة أن أبا سفيان وجد مالا كثيرا فقال للنبي "أآخذه يا رسول الله؟" قال : "خذ"، قال :"و لابني يزيد"، قال : "خذ"، و قال :"و لابني معاوية"، قال : "خذ"، فما استطاع حمل المال فقال: "هلا أعنتني بأحد يحمله معه"، قال ﷺ : "أنت أخذته وحدك فاحمله وحدك".

ذلك درس في التربية على قيمة المال وتحمل مسؤولية الاختيار .

و هكذا وزع رسول الله ﷺ المال كله على المهاجرين دون أن يترك للأنصار شيئا، و الأنصار يرقبونه مستغربين و يقولون: "أعطى الناس كلهم و لم يترك لنا شيئا رغم أننا أعطيناهم من أموالنا حين أتونا إلى المدينة"، فبدأ الأنصار يتداولون بينهم الحديث على أن رسول الله ﷺ قد عاد و حن إلى عشيرته و أهله، فذهب سعد بن عبادة بكل حرية إلى النبي ﷺ و هو قائد الجيش و الدولة ـ فخاطبه قائلا : "إن هذا الفريق يقولون إنك وجدت أهلك"، فرد عليه النبي ﷺ : "فماذا تقول أنت يا سعد؟"، قال "أقول مثل ما قال قومي"، فانظر إلى مساحة حرية التعبير دون خوف أو تنميق .

و الأمر عند الأنصار لا يتعلق بحب المال و تحصيله و إنما يودون فهم تصرف النبي ﷺ و لماذا أعطى المهاجرين و ترك الأنصار مع أن الغنائم كثيرة ؟ فقال رسول الله ﷺ: " يا سعد اجمع الأنصار في هذا المكان و لا يدخل أحد دونهم إلا أبا بكر "، فجمع الأنصار و دخل النبي ﷺ فقال: " يا معشر الأنصار بلغني عنكم أنكم قلتم وجد رسول الله أهله، فقالوا : "نعم قلنا ذلك"، فقال النبي ﷺ: "يا معشر الأنصار ألم آتيكم ضلالاً فهداكم الله ؟ ألم آتيكم أعداء فألف الله بين قلوبكم؟ ألم آتيكم فقراء فأغناكم الله ؟"، فقالوا : "المن لله و الرسول"، فقال رسول الله ﷺ: "يا معشر الأنصار لو شئتم لرددتم علي" قالوا : "ما نقول يا رسول الله؟"، قال: "تقولون و أنت أيضا جئتنا فقيرا فأغناك الله و جئتنا مطرودا فآويناك و جئتنا مكذباً فصدقناك و جئتنا محارباً فواسيناك، جئتنا مطروداً فكنا معك"، فأخفضوا رؤوسهم و قالوا : "المن لله و للرسول"، فقال النبي ﷺ: "يا معشر الأنصار أوجدتم في قلوبكم في لعاعة من الدنيا، ألفت بها قلوب قوم أسلموا حديثاً و تركتكم إلى إيمانكم، أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يرجع الناس إلى بلادهم بالشاة و البعير و الإبل وترجعون أنتم إلى بلدكم برسول الله، و الله لو سلكت الناس طريقا و سلك الأنصار طريقا لسلكت طريق الأنصار و تركت طريق الناس، اللهم ارحم الأنصار و أبناء الأنصار و أبناء أبناء الأنصار"، فبكى الناس حتى امتلأت لحاهم بالدموع فقالوا : "رضينا برسول الله قسماً و نصيباً"، فكانوا هم الفائزين إذ عاد الناس بالإبل والأموال و عادوا هم بما هو أغلى بكثير و هو رسول البشرية أجمعين.

و أنت هل ستختار مرافقة نبي الله في الجنة إذا سرت على خطاه
و حققت نهضة بلدك ؟ أم تختار زيف الدنيا و فتنتها ؟

و انتهت غزوة حنين و سأل النبي ﷺ عن خالد؟ فيقولون "مثخن في جراحه"، فيترك الغنائم و يعود إلى خالد فينفخ في بطن يديه و يمسح الجروح و يربت عليه قائلاً : "قم يا سيفا من سيوف الله"، فيقول خالد : "فو الله برئت جروحي فقمت فركبت خيلي و كأن لم يصبني شيء من قبل، و الله لكلمات النبي ﷺ و مسحه أحلى عندي من ألف سيف ضربني".

لقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يحبون رسول الله ﷺ حبا كبيرا لا يوصف فهل ملأ حب النبي قلبك؟ وانتبه إلى ما تقوله الآية "واعلموا أن فيكم رسول الله"، فينا بماذا؟ فينا بسنته و بالكنز الذي تركه لنا و هو السيرة النبوية، إنه فينا بخلقه العظيم بحبه و رحمته، و فينا كل خميس حين تعرض عليه أعمالنا فما كان فيها من خير حمد الله و ما كان فيها من شر استغفر لنا الله، فينا بدعائه لنا قبل أن يموت، فينا أنه قال قبل أن يقضي نحبه "اشتقت إلى إخواني"، أي نحن فقال له الصحابة "أو لسنا إخوانك"، قال ﷺ : "أنتم أصحابي، إخواني هم من سيأتي من بعدي"، انظر وتدبر معنى قوله تعالى : "لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ " التوبة:128

و رجع الجميع إلى المدينة و بدأت وفود العرب تأتي من كل حدب قائلة "نشهد ألا إله إلا الله"، و عم الإسلام كل الجزيرة العربية لما صبر النبي ﷺ على الرسالة و أصر عليها من غير غدر و لا التواء، انتصر و نزلت سورة النصر: **"إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً "**
و يبكي سيدنا أبو بكر الصديق لنزول هذه السورة و يشعر بأنه نعي رسول الله ﷺ، فقد اكتملت الرسالة و تمت لتصبح جاهزة للأجيال القادمة فما عاد للرسول ﷺ إلا أن يسلم الروح لبارئها

غزوة تبوك

تقع تبوك على بعد ألف كيلومتر من المدينة. و كانت من مخلفات غزوة مؤتة ضد الغساسنة و الرومان التي هزموا خلالها ، أن بلغ النبي ﷺ من سعيد بن زيد أنهم يجهزون جيشاً من أربعين ألف فردا ليغزوا المدينة، فبادر الرسول ﷺ و خرج إليهم بعد أن أمر بتجهيز الجيش المكون من الصحابة و كل القبائل التي أسلمت معه، و لم تشن حرب في هذه الغزوة. و كان لغزوة سببين:

أولا : إنها المعركة الفاصلة لكل صحابي في المدينة لاختبار مدى استعداده للتضحية من أجل رسالته؟

و هنا التساؤل لكل من وعد بحمل الرسالة و إصلاح بلده
هل ستجد طريقة لتحقيق نهضة بلدك ؟ هل ستعيش للرسالة و المبدأ و الهدف ؟



لقد كان الهدف من غزوة تبوك الخالية من الأحداث أن نتفرغ من خلالها للفكرة نفسها و هي : الرسالة و إتمام ما بدأه رسول الأمة ﷺ لتتمه الأجيال فيما بعد، حتى يصل إلينا فنحمل المشعل. و كانت معركة صعبة جدا و تزامنت مع شهر غشت، و الحرارة شديدة الارتفاع و بمسافة تبعد عن المدينة بألف كيلومتر، إضافة إلى أن المدينة المنورة منطقة زراعية و ثمارها لم تكن قد نضجت بعد و هذا يعني أن الصحابة لن يجدوا مؤونة تحميهم من ضراوة الجوع، و كل هذه الظروف لم تمنع الصحابة من التجهز للحرب ضد الرومان ذوي العدة و العتاد.

و كان اختبارا رهيبا، علما أن الرسول ﷺ قد اقتربت ساعة رحيله عن الدنيا و يحتاج الأمر لاختبار كاختبار مكة خلال بداية الدعوة بما فيه من تعذيب و تضحية لأجل الهدف و نصرة الدين.

و قد سميت هذه الغزوة ب" العسرة " تبعا لما ورد في قوله تعالى : **"لَقَد تَّابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ "** التوبة:117 .

و خرج مع رسول الله ﷺ ثلاثون ألفاً، عانوا لمدة خمسين يوماً كلها تعب و جوع و عطش لدرجة أن الصحابي يكاد يموت عطشاً فيذبح بعيره و يأخذ فرثه و يمص ما فيه من ماء، و لا يأكلون إلا ثمرة واحدة في اليوم لندرة الطعام.

كل المشاهير لا يحتكون بالناس حتى لا تكشف عيوبهم فيحافظوا على هيبتهم
بخلاف سيد الخلق و المرسلين، فقد كان الاحتكاك به ﷺ مدرسة
و علما لا ينفذ ليكتشفوا عظمته و كماله فيتأثروا به و يتبعوا سنته ﷺ .

و لكن عملية الانطلاق لحرب الروم تحتاج لإمكانيات كبيرة يجهز بها الجيش فيقوم النبي ﷺ على المنبر و يخاطب الناس قائلا : "أيها الناس أنفقوا لتجهيز الجيش"، فيقف سيدنا عثمان بن عفان و يقول: "علي بـمائة بعير بأحلاسها و أقتابها (بأكلها و بسلاحها)، فيبتسم له النبي ﷺ فينزل درجة فيقف ثانية ثم يقول "من ينفق في سبيل الله؟" فيسود الصمت ليقف عثمان مرة أخرى و يقول "علي بـمائة بعير أخرى بأحلاسها و أقتابها"، فيبتسم الرسول ﷺ له و ينزل درجة و يعيد السؤال نفسه فيقوم سيدنا عثمان و يقول مثل الذي قال، آنذاك يحرك رسول الله ﷺ يديه من أعلى إلى أسفل قائلاً: "ما ضر عثمان ما فعل بعد ذلك". ثم يأتي عبد الرحمان بن عوف و يضع في حجر النبي مائتي أوقية فضية و يأتي عمر بن الخطاب و يضع بين يدي رسول الله ثلاثة آلاف درهم و يسأله الرسول ﷺ :"ماذا أبقيت لأهلك؟" فيرد "نصف مالي"، و قد ظن أنه فاق أبا بكر بسخائه هذا، فيقبل هذا الأخير ليضع بين يدي النبي أربعة آلاف درهم فيسأله النبي "ما أبقيت لأهلك؟" فيقول "أبقيت لهم الله و رسوله".

ثم يتوافد الفقراء ليضع أحدهم ثمرة و آخر يجلب صاع شعير، فيشرع المنافقون في اللمز، يقولون إن أبا بكر و عمر يتباهيان بأموالهما و هما غير مخلصين، و ما يعطيه الفقراء لا يغني شيئاً في هذه الغزوة، فينزل قوله تعالى **"الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ "** التوبة:79**.** فيستعد الجيش للخروج و يؤمر ﷺ على المدينة سيدنا عليا بن أبي طالب، فينشر المنافقون شائعة مفادها أن "ما منعه أن يخرج معه إلا استثقالاً منه عليه"، و يقصد المنافقون أن الرسول ﷺ لم يأذن لعلي بالخروج معه لأنه ثقيل على قلبه، حينها لا يطيق علي البقاء فيشهر سيفه و يلحق بالنبي ﷺ و يترجاه قائلا :

"خذني معك يا رسول الله يقولون إنك خلفتني في المدينة استثقالاً منك لي"، فقال النبي ﷺ :"يا علي كذبوا و الله، و الله ما خلفتك إلا على أهلي و أهلك و أن تحفظ المدينة، أما ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي"، فقال "أرضى يا رسول الله" فرجع إلى المدينة.

ولما انطلق النبي ﷺ و من معه علم الرومان بقدومهم فتراجعوا معلنين ألا حاجة لهم في الحرب، و لم يعلم الرسول و صحابته بالأمر مما سيضطرهم إلى تحمل كافة الصعاب و المشاق.

فلماذا لم ينزل جبريل عليه السلام لإخبار رسوله الكريم؟

لأن المغزى هو إكمال الغزوة حتى يرافق الصحابة الرسول ﷺ خمسين يوماً فيتعلموا منه و يدركوا قيمة الرسالة .

و يستأذن المنافقون النبي ﷺ في عدم الخروج إلى الغزوة، قال تعالى **: "وَجَاء الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ "** التوبة: 90، و قال أيضا **: "فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللّهِ وَكَرِهُواْ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيراً جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ "** التوبة 81-82.

و يقول أحدهم و يدعى الجد بن قيس : "يا رسول الله ائذن لي لا استطيع الخروج معك" : و حين سأله ﷺ عن السبب قال : "إني لن أصبر إن رأيت نساء بني الأصفر (نساء الروم) و سأفتن بجمالهن و أترك المعركة"، فنزلت الآية الكريمة : **"وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ "** التوبة:49، أي أنه فتن قبل أن يخرج.

ثم تجيء آيات في السياق نفسه :

"أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" التوبة 38-39

"قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ" التوبة:24.

و يصل النبي ﷺ إلى تبوك دون حرب، فيحاول بحكمته المعهودة أن يدعو القبائل المجاورة للروم للإسلام و يمضي صلحا معها، فيرسل خالد بن الوليد إلى ملك دومة الجندل و يدعى "أوكيدر" ليأتي به قصد إمضاء معاهدة صلح معه، فيسأل خالد حائرا:"و كيف آتيه يا رسول الله و هو داخل حصونه؟" قال ﷺ : "امض بأربعمائة فارس"، فيستفسر قائلا : "كيف أكتفي بأربعمائة فارس و الحصون هناك رهيبة؟"، ثم أضاف : "كيف أعرفه؟"، قال ﷺ : "ستجده يصطاد البقر"، و كأن النبي قد حلل شخصية أوكيدر هذا فاستخباراته ﷺ تؤكد أن هواية الصيد تجري منه مجرى الدم و قد تدفعه إلى الصيد حتى في وقت الحرب، فقال خالد: "خرجت و الله لم أجد لي إلا أن أصدق النبي ﷺ فكمنت أمام الحصن ثلاثة أيام أعلم أنه لا يمكن أن أدخله"، و بعد ثلاثة أيام يحكي خالد "أرى أوكيدر على باب الحصن واقفاً على شرفته هو و زوجته"، فإذا بالبقر و قد أقبل من بعيد ليحك جلده بباب الحصن"، فما أن رآه حتى هرع نحوه و قد عجزت زوجته عن منعه رغم تنبيهاتها . و ما إن فتح باب الحصن حتى انطلق البقر في اتجاه خالد بن الوليد و كأنه مسخر من الله فمر بالقرب منه



فأسره، ثم انطلق به إلى رسول الله ﷺ ليوقع مع أوكيدر صلحا مفاده ألا يحارب النبي ﷺ، فأحب أوكيدر أن يهدي النبي هدية فمنحه عباءته، فما إن رآها الصحابة حتى انبهروا لجمالها فقد كانت مرصعة بالذهب و مصنوعة من الحرير و الألوان الزاهية ، فقال ﷺ: "و الله لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير من هذه"

لا زال رسول البشرية ﷺ يذكر سعد بن معاذ وقد مضى زمن طويل على استشهاده رضي الله عنه . فإن وجدت في نفسك زيغا نحو الدنيا و مفاتنها فتذكر أن نعيم الجنة فيه مال عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر .

و في طريق العودة يلتقي النبي ﷺ بأبي البجادين و عمره آنذاك ثلاث و عشرون سنة و هذه قصته : فعندما بلغ هذا الشاب ستة عشر سنة دخل الإسلام و كان يدعى حينها عبد العزى، و هو ينتسب إلى بلدة تسمى مزينة و قد كان أول من أسلم بها، عاش حياة مرفهة عند عمه بعد أن توفي والداه و كان أكثر شباب القرية غنى و بذخا.

و لما توجه المهاجرون من مكة إلى المدينة أسلم عبد الله في تلك الفترة و أخفى إسلامه ثلاث سنوات ينتظر إسلام عمه، فكان يذهب إلى الصلاة مستخفياً، و حين طال انتظاره و لم يسلم عمه توجه إليه بعدما لم يعد يطيق صبرا على فراق رسول الله ﷺ فأخبر عمه بإسلامه، فغضب عمه غضباً شديداً و هدده بالحرمان من المال إن هو ظل على الإسلام، فرد عليه بإصرار: "خذ ما شئت فو الله لا أستبدل برسول الله شيئاً من الدنيا"، فزاد غضب عمه ليخلع ثيابه و يمزق عباءته على ظهره حتى تركه شبه عار، و حين لم يجد بدا من ملاقاة رسول الله ﷺ أخذ بجادا كان ملقى بالأرض فشقه نصفين ليستر به جسده، ثم ذهب إلى رسول الله ﷺ. و دخل المدينة قاصدا رسول الله ﷺ و حين رآه ﷺ سأله قائلا : "من أنت؟" فقال "أنا عبد العزى"، فقال "لماذا تلبس هكذا؟" قال مزق لي عمي ملابسي يوم أردت أن أهاجر إليك مسلماً، ففرح النبي ﷺ و قال له "أنت لست عبد العزى أنت عبد الله ذي البجادين سأسميك هكذا، و يستبدلك الله بهذين البجادين إزارا و رداءا في الجنة تسرح فيها حيث تشاء".

و حين خرج ذو البجادين مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك مال على النبي ﷺ و قال "يا رسول الله ادع الله أن أموت شهيدا فقد كنت غنيا و صرت أفقر الناس لا أهل لي و لا أرجو من الدنيا شيئا "، فنظر إليه النبي ﷺ و قال : "يا عبد الله إن من عباد الله من يخرج من بيته في سبيل الله فتصيبه الحمى فيموت فيكتب شهيداً و إن من عباد الله من يخرج من بيته في سبيل الله فيسقط عن فرسه فيموت شهيداً". فسأل ذو البجادين : "أيكون ذلك؟" قال ﷺ : "نعم"، و كأن نبي الرحمة كان يعلم بشكل وفاة ذي البجادين، ففي ليلة شديدة البرد، يحكي عنها سيدنا عبد الله بن مسعود، سمع هذا الأخير صوت حفر فعجب لمن يحفر في هذا الجو القارس، فنظر إلى سرير رسول الله ﷺ و عمر و أبي بكر فلم يجد أحدا منهم، فإذا بأبي بكر وعمر يمسكان سراجا لرسول الله و هو يحفر في الأرض، فقصدهما متسائلا : "أتتركان رسول الله يحفر و أنتما هكذا "، فالتفت النبي ﷺ و عيناه تذرفان بالدموع، ثم قال : "مات أخوك ذو البجادين"، فقد أصيب عبد الله بحمى شديدة ثم مات، وقد أبى رسول الله إلا أن يحفر له قبره بنفسه". فلما انتهى النبي ﷺ من الحفر نزل في قبر ذي البجادين و اضطجع فيه حتى يكون رحمة لعبد الله يوم القيامة، ثم قام النبي ﷺ و مد يديه إلى أبي بكر و عمر فقال لهما "ناولاني أخاكما، أدنيا إلي أخاكما." و قد كان عبد الله ذي البجادين فقيراً خفيف الوزن، فوضعاه بين يدي النبي ﷺ فأخذه ﷺ، يقولون "فضمه إلى صدره حتى رأيت دموع النبي على كفن ذي البجادين"، يقول عبد الله بن



مسعود "حتى قلت ليتني كنت صاحب الحفرة و يحضني رسول الله هكذا"، ثم وضع النبي ﷺ ذي البجادين في قبره و ظل يهيل عليه التراب و يبكي و يرفع يده إلى السماء و يقول: "اللهم إني أشهدك أني راض عن ذي البجادين فارض عنه".

و تنتهي الغزوة إلى هذا الحد ليعود المسلمون إلى المدينة و قد تخلف بها أحد الصحابة و هو كعب بن مالك فيحكي قصته و يقول : " عاد النبي ﷺ إلى المدينة فتوجه إليه المنافقون يطلبون منه السماح و كل يتحجج إليه بحجة و النبي العالم بحقيقتهم يقبل عذرهم و يقول لهم سأستغفر لكم و يوكل سرائرهم إلى الله عز وجل، أما كعب فيحكي قائلا : " لم أكن طيلة عمري أحسن حالا أو أغنى مما كنت عليه حين هم المسلمون بالخروج إلى غزوة تبوك، لدرجة أنني كنت أملك جملين و ما أنا بامرئ سوء فلقد شهدت كل الغزوات مع رسول الله ﷺ و شهدت بيعة العقبة" فلما حان وقت الخروج استثقله و ظللت أؤخر التجهز للخروج حتى أضحى اللحاق بالجيش مستحيلا ". يقول بعدها : "خرجت أمضي في المدينة لا أجد إلا معذورا عذره الله أو منافقا شديد النفاق أو نساء أو أطفال أو رجلا كعلي أمره النبي ﷺ أن يحفظ المدينة، فلما عاد النبي ﷺ إلى المدينة، فطفقت أتذكر الكذب (أي بدأ يفكر في الكذب) حتى دخل النبي إلى المسجد فصلى ركعتين ينتظر الناس فذهب إليه العشرات و إني متأكد أنهم يكذبون عليه، حتى جاء دوري و أنا أفكر أأكذب أم أصدقه القول؟ فقررت أن أتحرى الصدق فجلست بين يديه فقال لي "و أنت ما الذي خلفك؟" ، فقال كعب : "قلت يا رسول الله، و الله لو كنت عند غيرك من أهل الدنيا لخرجت من غضبهم بعذر فلقد أعطيت جدلا (أي أنه يتقن تنميق الكلام) و لكنك رسول الله و لو قلت لك اليوم حديث كذب و الله يعلم أني كاذب و أنت تظن أني صادق سيسخطك الله علي، و إن قلت لك حديث صدق ستجد مني (أي ستغضب مني قليلا) لكن أسأل الله أن يسامحني به، و الله يا رسول الله لأصدقنك القول، و الله ما كنت أفضل و لا أقوى من ذلك اليوم و ما كنت أكثر مالا من ذلك اليوم و ليس لي عذر في تخلفي عنك". فقال رسول ﷺ "أما هذا فقد صدق" أي أنه يدرك بأن من سبقه كان كاذبا ثم قال ﷺ : "قم حتى يقضي الله فيك"، قال "فقمت فقابلني الناس يقولون لي عد إلى رسول الله و استغفر منه و لاموني لأني لم أختلق عذرا "، يقول كعب : " حتى هممت أن أكذب نفسي و أعود إلى النبي و أختلق عذراً، و لكن حين سألت هل أحد غيري قال مثلما قلت؟"، فقالوا "رجلان"، فقلت "من؟" فقالوا "هلال بن أمية و مرارة بن أبي الربيع"، و هما رجلان من أهل بدر، فقلت "و الله لن أغير ما قلت"، فأمر النبي ﷺ ألا يكلم أحد هؤلاء الثلاثة لمدة خمسين يوماً.

و قاطعتهم المدينة بأكملها امتثالا لأوامر رسول الله ﷺ. يقول كعب عن هذه الفترة العصيبة : "حتى تنكرت لي الأرض فما هي بالمدينة التي أعرفها و ضاقت علي " فورد في الآية الكريمة **"وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ"** التوبة: 118، يقول كعب : "فكنت رجلاً شاباً بخلاف الرجلين الآخرين فقد كانا مسنين، فكنت أقابل الناس و أذهب إلى المسجد فأجد رسول الله ﷺ فأسلم عليه فيدير وجهه إلى الجانب الآخر فأتساءل أرد علي السلام؟ أحرك شفتيه ؟ " يقول كعب : "فأدخل في الصلاة و أختار مكانا خلف رسول الله فأسارقه النظر فيلتفت فأقبل على صلاتي فينظر إلي"، فقد كان النبي ﷺ يحب كعبا لكنه اقترف ذنبا كبيرا و لابد له من عقاب يوازي تخلفه عن أمر رسول الله ﷺ و عن جهاد في سبيله. و يسترسل كعب قائلا : "فتعبت و تعبت فكان لي ابن عم يدعى أبو قتادة في البيت المجاور لبيتي فتسلقت السور، و رجوته قائلا : " يا أبا قتادة أناشدك بالله هل تعلم أني أحب الله و رسوله؟" ، فلم يرد علي فبكيت و كررت السؤال فقال : "الله و رسوله أعلم"، فيقول كعب: "فنزلت من السور و ظللت أبكي حتى صار لي شهيق، فبقيت على هذا الحال أمشي في السوق لا يكلمني أحد من أهله فإذا بنبطي من أنباط الشام (نبطي أي فلاح) أتى ليبيع بضاعته، يسأل : "من يدلني على كعب بن مالك؟" فأشار الناس على كعب بدون كلام، يقول كعب : "فجاءني و معه رسالة من ملك الغساسنة يقول فيها "بلغنا أن صاحبك قد جفاك فألحق بنا نواسيك"، فما أن قرأها كعب حتى بكى



و قال : " أهُنتَ على رسول الله و على المسلمين حتى يطمع بي أعداء الإسلام ؟"، فأحرق الرسالة فبينما هو على ذلك و بعد أربعين يوما جاءه رسول رسول الله و خاطبه قائلا : " إن رسول الله يأمرك أن تعتزل زوجتك" فسأل كعب : " أطلقها ؟" ، قال : " لا ، تعتزلها فلا تقربنها " فأمر كعب زوجته بالرجوع إلى بيت أهلها حتى يحكم الله بما يريد"، فذهبت زوجة هلال بن أمية إلى النبي ﷺ و قال له : "يا رسول الله إن هلالا رجل عجوز و أنت أمرت ألا يقربني فهل أبقى معه أم أرجع إلى أهلي"، فقال الرسول ﷺ "بل ابقي معه و اخدميه في البيت و لكن لا يقربنك"، قالت : "و الله يا رسول الله لا يفعل، إلا أنه يبكي و كأنه سيفقد بصره" .

و شاءت الحكمة الإلهية أن يظل كعب و من معه من المخلفين على الحال نفسه خمسين يوما و هي نفس المدة التي قضاها المسلمون أثناء رحلة الذهاب و الإياب من تبوك، و بعدها مباشرة نزلت آيات التوبة لتسمى السورة بالتوبة و هي توبة من التخلف عن أمر الله و طريق رسوله الكريم و ليست توبة من المعاصي و الذنوب فقط . قال تعالى: **"لَقَد تَّابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ "** التوبة:117-119.

و مباشرة بعد نزول هذه الآيات على نبي الرحمة ﷺ في الثلث الأخير من الليل تلاها في صلاة الفجر، ففرح الصحابة لتوبة الله على أصحابهم، تلاحما و ترابطا فيما بينهم. و بعد انقضاء الصلاة نظر الرسول ﷺ إلى الصحابة و بشرهم بقوله : "تاب الله على كعب بن مالك"، يقولون "فخرج الناس من المسجد يَجْرون إلى بيوت الثلاثة"، و يحكي كعب فيقول "فصعد رجل على الجبل ينادي (و كان كعب يصلى الفجر فوق سطح منزله من فرط إحساسه بالوحدة) : يا كعب بن مالك أبشر، فقلت رجل ينادي علي باسمي فسجد لله شاكراً لذلك"، فكان صوته من أعلى الجبل أسرع وصولا من رجل ركب صهوة جواده ليصل إلى كعب و يبلغه بقبول توبته، فلما وصل الرجل أبى كعب إلا أن يجازيه و يكافئه على بشراه فخلع عباءته و هو لا يملك غيرها و ألبسه إياها، ثم خرج مسرعا إلى المسجد و كل الناس تبارك توبته. يقول كعب :"فدخلت على النبي ﷺ فقام إلي طلحة بن عبيد فاحتضنني و لم يقم إلي أحد من المهاجرين غيره"، فكان كعب لا ينساها لطلحة، يقول "فدخلت فرآني النبي من بعيد فأشار بيده أن تعال و استنار وجهه كأنه قطعة من القمر من الفرحة، فقال لي : " اجلس" فجلست فقال : " أبشر يا كعب بخير يوم طلع عليك منذ ولدتك أمك، تاب الله عليك" .

اقرؤوا سورة التوبة و ستقفون عند حقيقة أنها تخاطبك فتسألك: أي صنف من الأصناف الثلاثة أنت؟

هل أنت من المؤمنين الحاملين للرسالة ؟

أم من الذين سيتوبون لله و يناشدونه أن يستخدمهم و لا يستخلفهم فتخدم الإسلام من خلال إصلاح الأرض؟

أم أنت من الذين ثبطهم الله و قيل لهم اقعدوا مع القاعدين؟

قصة انتصار الحق والخير على الباطل

سيرة الحبيب ﷺ أو "رسالة الإصلاح في الأرض" أو "قصة انتصار الحق و الخير على الباطل و المصالح الشخصية"، رسالة مدتها ثلاث و عشرون سنة، موجهة للبشرية كلها لأنها تجربة إنسانية فيها وحي و لكن هذا الوحي لا يخطط و إنما يرسم المنهج ألا و هو القرآن، و فيها معجزات و لكنها لا تغير الأحداث و إنما تعين على الثبات فقط. فهي بالتالي تجربة إنسانية صالحة لكل زمان **" لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ"** الأحزاب:21.

لا تنمية بدون إيمان :

1 – أحب الرسول حبا شديدا : ما يعينك على محبته دراسة سيرته ﷺ و استيعابها. " لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من أهله و ماله و الناس أجمعين " رواه مسلم.
2 – يجب أن تكون صاحب رسالة لتصلح في الأرض

اللحظات الأخيرة في حياة النبي ﷺ

حجة الوداع:

في السنة العاشرة كان سن الرسول ﷺ ثلاثا و ستين سنة، و قد كانت حجة الوداع قبل وفاته ﷺ بثلاثة أشهر و ثلاثة أيام. و سميت بحجة الوداع لأن رسول الله ﷺ ودع فيها المسلمين و ودع فيها الأمة، و قد خرج معه للحج مائة ألف.

و في طريقه للحج تحدث إحدى البشائر الختامية، فقد جاء علي بن أبي طالب كرم الله وجهه و معه وفد من قبيلة همذان إحدى قبائل اليمن يريدون الحج معه بعد أن أسلموا بكل سهولة عندما عرض عليهم علي الإسلام، و رغبوا في الحج مع رسول الله ﷺ بعد أن عرض عليهم الحج و لما رآهم رسول الله ﷺ قال لهم" يأتيكم أهل اليمن أرق أفئدة، الإيمان يماني و الحكمة يمانية: و أشار بيده إلى اليمن و قال " الإيمان هنا ".

و بدأ الحجيج يتحرك و بدأ الرسول ﷺ في التلبية أثناء الطريق و لم يتوقف لسانه عنها، و نزل سيدنا جبريل و قال لنبي الله ﷺ : "إن الله يقول لك مر أصحابك أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية فقال لهم ارفعوا أصواتكم" : "لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك إن الحمد و النعمة لك و الملك لا شريك لك" و ظلوا يرددونها طيلة الطريق حتى اقتربوا من مكة و قد بحت أصواتهم.

و يصل الرسول ﷺ و يقرر أن يحج ماشيا من مكة إلى منى و من منى إلى عرفات و من عرفات إلى المزدلفة، و عندما أحاط به الناس و ازدحموا عليه لم يستطع السير فركب ليراه كل الناس و قال لهم :"خذوا عني مناسككم".

و يصل إلى عرفات و يخطب خطبته الشهيرة خطبة الوداع :
"أيها الناس اسمعوا عني و اعقلوا فإني لا أدري لعلي لا أراكم بعد عامي هذا" . فيصمت الناس، و يسير العباس و ابنه الفضل بين صفوف الناس ليحثهم على الاستماع و الإنصات لرسولهم.

فيقول ﷺ: " أتدرون أي شهر هذا أتدرون أي يوم هذا أتدرون أي بلد هذا؟ قالوا: "هذا الشهر الحرام هذا البلد الحرام هذا اليوم الحرام".

فقال النبي ﷺ: "فإن دمائكم و أموالكم و أعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، كل المسلم على المسلم حرام دمه و ماله و عرضه" .

هذه آخر كلمات النبي...
لكل من يتكلم في الناس و أعراض النساء..
لكل من يأكل أموال الناس بالباطل...
لكل من يقتل الأبرياء ....



" أيها الناس اتقوا الله في النساء فإنهن أسيرات عندكم، أخذتهن بأمانة الله و استحللتم فروجهن بكلمة الله فاتقوا الله في النساء. أيها الناس اسمعوا عني ما أقول و اعقلوه. أيها الناس إنما المسلمون إخوة إنما المسلمون إخوة و ظل يرددها حتى قلنا ليته يسكت فقد كنا خائفين أن نحاسب عليها"

هذه آخر كلمات النبي...
لا طائفية و لا مذهبية...الكل إخوة

" أيها الناس إني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة، فلا تسودوا وجهي يوم القيامة"
"أيها الناس سآتي يوم القيامة أستنقذكم من النار فيقول الله تبارك و تعالى لي يا محمد دعهم فإنك لا تدري ماذا فعلوا بعدك فأقول سحقا سحقا بعدا بعدا". **و كأن الحبيب يطلب منا ألا نعرضه لهذا الموقف.**

"أيها الناس إنكم ستسألون عني يوم القيامة بين يدي ربي فهل ستشهدون لي أني قد بلغت؟ " فبدأت الأصوات ترتفع بالبكاء و تقول نشهد أنك قد بلغت الرسالة و أديت الأمانة و نصحت الأمة و جاهدت في سبيل الله، فصاح يا ربيعة اصرخ بها كي يسمعوني أصواتهم، فظل ربيعة يسألهم أتشهدون لرسول الله يوم القيامة فقالوا نشهد أنك قد بلغت الرسالة و أديت الأمانة و نصحت الأمة و جاهدت في سبيل الله.
فقال: "اللهم اشهد اللهم فاشهد".

و في آخر يوم عرفة نزلت الآية **:" الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً"** المائدة:3. ففرح سيدنا عمر رضي الله عنه و بكى سيدنا أبو بكر رضي الله عنه. و قد كان يهودي يقول لسيدنا عمر عندكم آية لو نزلت علينا لاتخذنا ذلك اليوم عيدا فقال له هذه الآية، فقاله له عمر: نعم والله هي نزلت يوم عيد : يوم الجمعة و يوم عرفة. لقد فرح عمر لأن الإسلام اكتمل، أما أبو بكر فلما سئل لم تبكي قال: "إن أي شيء يتم فلا بد له من نقصان و لكل شيء نهاية، و مادام الأمر قد اكتمل فهذا نعي رسول الله".

ثم نزل الرسول ﷺ إلى منى و جمع الناس و سألهم : "أي يوم هذا؟ فقالوا الله و رسوله أعلم فسكت طويلا حتى قلنا: ربما سيغير إسمه فقال: أليس هذا يوم النحر؟ فقلنا: نعم.
ثم قال: أي بلد هذا؟ فقلنا: الله و رسوله أعلم فقال: أليس هذا البلد الحرام؟فقلنا: نعم.
ثم قال: أي شهر هذا؟ فقالوا: الله و رسوله أعلم، فقال: أليس هذا الشهر الحرام؟ فقلنا: نعم.
فقال: فإن دمائكم و أموالكم و أعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا.

ثم نزل إلى مكة ليطوف طواف الوداع فطاف بالبيت و عندما وصل إلى الملتزم و هي المسافة الفاصلة بين باب الكعبة و الحجر الأسود ألصق بطنه الشريفة على الملتزم و ألصق خده الأيمن على الملتزم و رفع يديه إلى السماء و ظل يدعو و يبكي و كأنه يبكي شوقا للقاء الله أو يدعو للأمة أو ربما لألم الفراق، و بكى عمر بن الخطاب فقال له : "نعم إبك يا عمر هاهنا تسكب العبرات".
و عند خروجه من مكة يجمع الناس و يقول لهم : " إنما أنا بشر و يوشك أن يأتي رسول ربي فيقبض روحي و إنكم سوف تسألون عني بين يدي ربي فماذا ستقولون لربي؟"
فقالوا : "سوف نقول بلغت و وفيت و أديت فجزاك الله خير ما جزى به نبيا عن أمته"
فقال الرسول ﷺ : "الحمد لله، الحمد لله".

و عندما وصلوا إلى المدينة دخل ﷺ المسجد النبوي و جمع الناس ليقول لهم: " إني راض عن أبي بكر و عن عمر بن الخطاب و عن عثمان بن عفان و عن علي بن أبي طالب و عن عبد الرحمن بن عوف و عن سعد فذكر العشرة المبشرين بالجنة و راض عن الأنصار و المهاجرين. أيها الناس أذكركم بالله في أهل بيتي. أيها الناس احفظوني في أصحابي فلا يبلغني أن أيا منكم يظلم أحد أصحابي يوم القيامة. أيها الناس إرفعوا ألسنتكم عن المسلمين "

ثم نظر إلى الناس و قال: "عرضت علي الأمم يوم القيامة فرأيت النبي و معه الرجل، و رأيت النبي يأتي و معه الرجلان، و رأيت النبي يأتي و معه الرهط، ثم رفع إلي سواد عظيم فقلت أمتي أمتي فقيل لا هذا موسى و معه قومه، و لكن انظر إلى الأفق الآخر فإذا هو سواد أعظم فقيل لي تلك أمتك و معهم سبعمائة ألف يدخلون الجنة بلا حساب فاستزدت ربي يارب زدهم، فزادني مع كل ألف سبعمائة ألف".

و قبل وفاة النبي بخمسة عشرة يوما، رجع متعبا من الحج و بدأ يصلي السنن قاعدا فسألوه لم يا رسول الله فقال من همي بالناس؟

و يدخل عليه سيدنا عمر بن الخطاب فقال له شبت يا رسول الله ممازحا له، و قد كانت لرسول الله بضع شعرات بيض عند أذنيه، فقال نعم شيبتني هود. فقال عمر لم يا رسول الله؟ فقال فيها آية شيبتني : **" فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ "**هود:112.

و كان جبريل قبل حجة الوداع يدارس الرسول القرآن مرة كل سنة، و لكنه في السنة الأخيرة دارسه القرآن مرتين، فقال لفاطمة:" يا فاطمة أرى أن الأجل قد اقترب فاصبري يا فاطمة، فإنه ليس هناك امرأة من المسلمين ستكون أعظم مصيبة منك. يا فاطمة إذا كنت أعظمهم مصيبة فكوني أعظمهم صبرا، اصبري يا فاطمة" فقالت : "الله المستعان".
و قبل وفاته بثلاثة عشر يوما نزلت آخر آية من القرآن :" **وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ** ". البقرة:281.

ثم قال لأصحابه: "أريد أن أزور شهداء أحد" كأنه يودع الأموات بعد أن ودع الأحياء، و وقف يقول لهم :" السلام عليكم يا شهداء أحد أنتم السابقون و أنا بكم لاحق".
و في طريق عودته بكى فقالوا : لم تبكي يا رسول الله؟ فقال: "اشتقت لإخواني"، قالوا: "نحن معك يا رسول الله أولسنا إخوانك؟" قال: "لا أنتم أصحابي، أما إخواني فهم قوم سيأتون من بعدي يؤمنون بي و لم يروني، اشتقت لهم فبكيت".

تبكي يا رسول الله شوقا لنا و نحن لا نبكي شوقا إليك؟
كيف سيكون لقاؤنا به يوم القيامة؟

و بينما هو راجع يقول لأحد الصحابة اسمه أبو مويهبة: " يا أبا مويهبة أريد أن أزور البقيع" ثم استطرد : "لقد خيرت أن أملك مفاتيح خزائن الدنيا و أخلد فيها ثم أدخل الجنة و بين أن ألقى ربي و أدخل الجنة" فقال له أبو مويهبة: "بأبي أنت و أمي اختر أن تملك خزائن الدنيا و تبقى مخلدا فيها"، فقال له:" لا يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربي لقد اشتقت إلى ربي".

و بدأ يمرض النبي ﷺ مرضا شديدا، و لم يعد يستطيع الصلاة بالناس فقال:" مروا أبا بكر يصلي بكم"، و قبل أربعة أيام من وفاته استطاع أن يتحرك فدخل المسجد أثناء الصلاة فيراه أبو بكر فيريد أن يقوم فيشير له أن يبقى و يصلي، فصلى بهم أبو بكر واقفا و الرسول جالس و بعد انتهاء الصلاة قال له: "إن الله تعالى يأبى أن يقبض روح أحد أنبيائه إلا بعد أن يؤم برجل من أمته".

و قبل ثلاثة أيام، و قد اشتد على الرسول ﷺ المرض نادى زوجاته و قال لهن "أتأذنون لي أن أمرض في بيت عائشة؟" فقلن له: "نأذن لك يا رسول الله"، فأراد أن يقوم فلم يستطع فجاء علي بن أبي طالب و الفضل بن العباس و حملاه و ذهبوا به إلى بيت عائشة فرآه الناس محمولا فبدأ الناس يجزعون، و امتلأ المسجد النبوي بالناس و بدأ يقول : "لا إله إلا الله إن للموت لسكرات".

تقول عائشة: " أصبح النبي ﷺ يتصبب عرقا، فأخذت يده أمسح بها العرق لأن يده أكرم من يدي، فتذكرت أنه كان يدعو للمرضى و الضعفاء و يضع يده على رؤوسهم و يقول: "اللهم رب الناس أذهب الباس اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما"، فأخذت يده و وضعتها على رأسه و ظللت أدعو بها فرفع يده و قال لي: "لا يا عائشة لا ينفع الآن كان ذلك في المدة" أي عندما كان في العمر بقية، لكن الآن لا ينفع. تقول: "فعرفت أنه ميت".
و ظل على هذه الحال و المسجد مملوء بالناس فسمع أصواتهم فقال: "ما هذا؟" قالوا: الناس تخاف عليك يا رسول الله، فقال: "احملوني إليهم" فأراد أن يقوم فما استطاع فصبوا على وجهه سبع قرب من الماء و قام و حملوه على المنبر و قال آخر كلماته :
"أيها الناس كأنكم تخافون علي؟" فقالوا نعم يا رسول الله.
"أيها الناس موعدكم معي ليس الدنيا موعدكم معي عند الحوض، و الله كأني أراه من هنا".
"و الله ما الفقر أخاف عليكم و لكن أخشى عليكم الدنيا أن تتنافسوها كما تنافسها الذين من قبلكم فتهلككم كما أهلكتكم".
"أيها الناس إن عبدا خيره الله بين الدنيا و بين لقاء ربه فاختار لقاء الله".
و لم يفهم أحد من هو هذا العبد إلا شخصا واحدا هو أبو بكر الصديق الذي ارتفع صوته بالبكاء إلى درجة النحيب و قام و قال له : " فديتك بأبي، فديتك بأمي، فديتك بأهلي، فديتك بمالي فديتك بكل ما أملك". فنظر الناس لأبي بكر كيف استطاع أن يقطع كلام النبي، فقال لهم: "الرسول دعوا أبا بكر فما من أحد منكم كان له علي فضل إلا كافئته به إلا أبا بكر لم أستطع مكافئته فتركت مكافئته لله عز وجل".

"أيها الناس من كنت قد جلدت له ظهرا فهذا ظهري فليقتص مني، و من كنت أخذت منه مالا فهذا مالي فليأخذ منه، و من كنت قد شتمت له عرضا فهذا عرضي فليقتص مني فإني أحب أن ألقى الله نقيا، و لا يخشى الشحناء فإنها ليست من طبعي، فقام رجل و قال له: "لك علي ثلاثة دراهم فقال له: "جزاك الله خيرا" و قال للعباس أعطه دراهمه.
ثم قال : "الله الله في الصلاة، الله الله في الصلاة أي حافظوا على الصلاة و ظل يرددها".

"أيها الناس الله الله في صلة الأرحام، الله الله في النساء، أوصيكم بالأنصار خيرا"
ثم بدأ يدعو : "آواكم الله، نصركم الله حفظكم الله، أيدكم الله، رفعكم الله.

"أيها الناس أبلغوا مني السلام كل من سيتبعني من أمتي إلى يوم القيامة.



وصلنا سلامك يا رسول الله
و عليك السلام يا رسول الله

و نزل و عاد إلى بيته، تقول عائشة: " دخلت عليه فاطمة فقال لها أدن مني يا فاطمة فأسرها كلمة في أذنها فبكت و لما رأى بكاءها ناداها أدن مني يا فاطمة فأسرها كلمة فضحكت".
و بعد وفاته سألوها: "ماذا قال لك؟" قالت: "قال لي في الأولى إني ميت الليلة فبكيت فلما وجدني أبكي قال لي إنك أول أهلي لحاقا بي فضحكت".

و يوم وفاته عند صلاة الفجر قام و فتح الباب الذي يطل على الروضة و كان خاصا به يخرج منه وحده، فوجد المسجد مليئا بالناس لأنهم كانوا يبيتون في المسجد منذ مرضه، فتبسم النبي و كانت آخر ابتسامة له ﷺ من أجل الصلاة. فأحس الناس به و أنه ينظر إليهم فكانوا على وشك الخروج من الصلاة فرحا لخروجه عليهم إلا أنه أشار إليهم ليبقوا في مكانهم. و عندما كان ينظر إليهم شعروا كأن الشمس أشرقت عليهم مع أن الوقت ليل قالوا لم نر رسول الله أجمل ولا أضوى من هذا اليوم.

و جاءت الوفاة عند شروق الشمس يوم الاثنين...

ولد ﷺ ساعة شروق الشمس و هذا يدل على أن ولادته بداية للرسالة ... رسالة للإنسانية جمعاء،
و مات عند شروق الشمس لأن رسالته مازالت باقية

مات رسول الله ﷺ و هو في حضن عائشة، كان يتوقع أن تكون وفاته و هو يصلي أو يجاهد أو يقرأ القرآن، تقول عائشة : "مات رسول الله بين سحري و نحري".

ابتدأ الإسلام بحضن جبريل في غار حراء

و ختم بوفاة الحبيب ﷺ في حضن زوجته.

تحكي عائشة فتقول: دخل عليه جبريل و قال له "السلام عليك يا رسول الله" فيرد عليه: "و عليك السلام". فيقول له جبريل: "إن معي ملك الموت يستأذنك أن يدخل عليك و لن يستأذن على أحد من بعدك"، فيقول له: "إئذن له يا جبريل". فيدخل ملك الموت و يقول له: "أرسلني ربي أن أخيرك بين البقاء في الدينا و بين لقاء الله".

و رفع النبي ﷺ أصبعه للسماء و هو يقول: "بل الرفيق الأعلى بل الرفيق الأعلى"، تقول عائشة فعرفت أنه يخير، فقلت له خيرت فاخترت و الذي بعثك بالحق.

و يأتي ملك الموت ليقف على رأس الحبيب ﷺ و يقول: "أيتها الروح الطيبة روح محمد بن عبد الله أخرجي إلى رضا من الله و رضوان و رب راض غير غضبان".

تقول عائشة رضي الله عنها: "فثقل رأسه و جسمه فعرفت أنه مات فلم أدر ما أفعل فما كان مني غير أني فتحت الباب المطل على الروضة و الذي كان الحبيب يخرج منه، فنظر إلي المسلمون بدهشة، فصرخت فيهم مات رسول الله مات رسول الله" فانفجر الناس بالبكاء.

أما علي فأقعد فلا يستطيع أن يقوم، و أما عثمان فكالطفل يأخذون بيده و أما فاطمة فتحاول الصبر و ظلت تردد : يا أبتاه أجاب ربا دعاه...يا أبتاه جنة الفردوس مأواه...يا أبتاه إلى جبريل ننعاه.

أما عمر فقد رفع سيفه و قال : "من قال أن رسول الله قد مات قطعت رأسه، إنما ذهب للقاء ربه كما ذهب موسى و سيعود".

أما أثبت الناس فكان أبا بكر الذي دخل على النبي ﷺ و احتضنه و تأكد أنه مات و ظل يقبله و يقول : "وا حبيباه، وا نبياه، وا خليلاه". ثم نظر في وجهه الجميل و هو ميت فقال: "ما أجملك حيا و ما أجملك ميتا يا رسول الله طبت حيا و طبت ميتا". ثم خرج من البيت و قال: "اسكت يا عمر، أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات و من كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت". و بدأ أبو بكر يقرأ هذه الآية :" **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ** " آل



عمران:144. فقال عمر: "كأني أسمعها لأول مرة فعرفت أنه مات، و خرجت أبحث عن مكان أظل فيه لوحدي و أبكي فناداني أبو بكر و قال لي : رسالة النبي، علينا أن نعرف من سيحمل رسالة النبي قبل دفنه".

و يجتمعون في بيت النبي ﷺ و يبايعون أبا بكر الصديق قبل دفن النبي ﷺ.

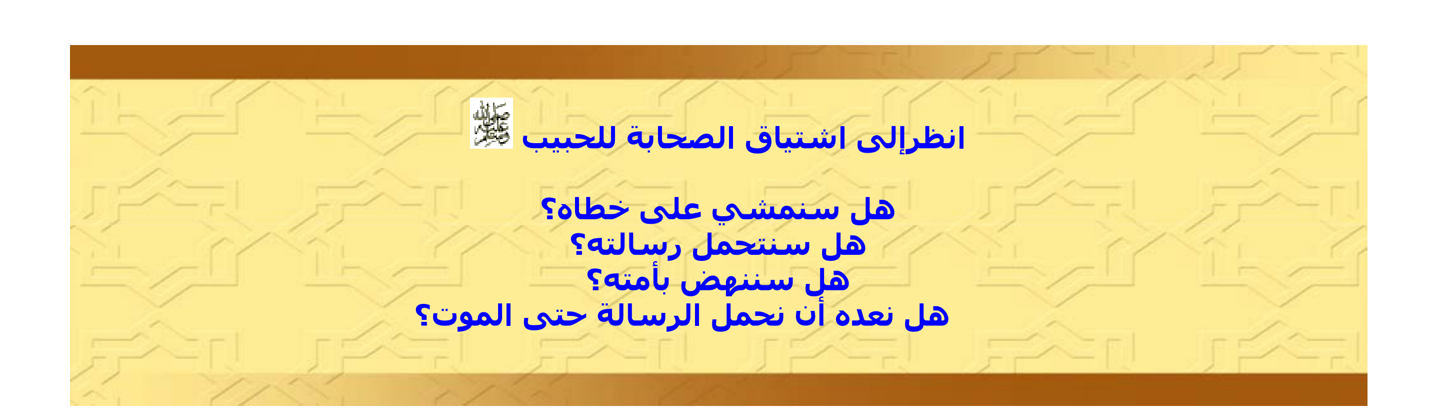
و يبدأ غسل النبي فقال لهم علي بن أبي طالب أمرني الحبيب ﷺأن نغسله في ثيابه، و دخل أهل بيته يغسلوه و هم علي و الفضل و العباس و أسامة بن زيد، و جاء واحد من الأنصار إسمه أوس وقال لهم: "أين نصيبي؟ أين نصيب الأنصار؟ دعوني أغسل معكم النبي".

ثم جاءت أفواج المسلمين لتصلي عليه يتقدمهم أبو بكر و عمر، و بعده أفواج النساء و الأطفال.

و جاء وقت الدفن، و الكل يتساءل كيف سنضع عليه التراب؟ ثم تذكروا قول النبي لهم : "حياتي خير لكم أهديكم إلى دين الحق و وفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم فما كان منها من خير حمدت الله و ماكان منها من شر استغفرت لكم الله"، فقالوا "أو تعرفنا يا رسول الله؟" قال: "أعرفكم بأنسابكم و أسمائكم". قالوا : "و كيف ستدعو لنا و الدود قد أكل منك؟" فقال: "لقد حرم الله الأرض على الأنبياء".

و وضعوا عليه التراب و دفن الحبيب ﷺ. تقول فاطمة سألت أنس : أطابت أنفسكم أن تضعوا التراب على وجهه؟ فبكى أنس وظل صامتا. يقول أنس : "دخل النبي المدينة يوم الإثنين فأضاء منها كل شيء و مات يوم الإثنين فأظلم منها كل شيء" . و عاد الصحابة إلى بيوتهم يبكون و لا ينامون.

قي اليوم التالي صعد بلال ليؤذن للصلاة، و كلما حاول أن يقول أشهد أن محمدا رسول الله لا يستطيع أن يكمل فقد كانت أول مرة يؤذن فيها و الرسول غير موجود، و حاول و حاول و لم يستطع و هو يجهش بالبكاء، فنزل دون أن يكمل الآذان، و قال لأبي بكر : "إعفني من الآذان و الله لا أستطيع أعذرني ما عدت أستطيع أن أؤذن لأحد بعد رسول الله".



انظرإلى اشتياق الصحابة للحبيب ﷺ

هل سنمشي على خطاه؟
هل سنتحمل رسالته؟
هل سننهض بأمته؟
هل نعده أن نحمل الرسالة حتى الموت؟







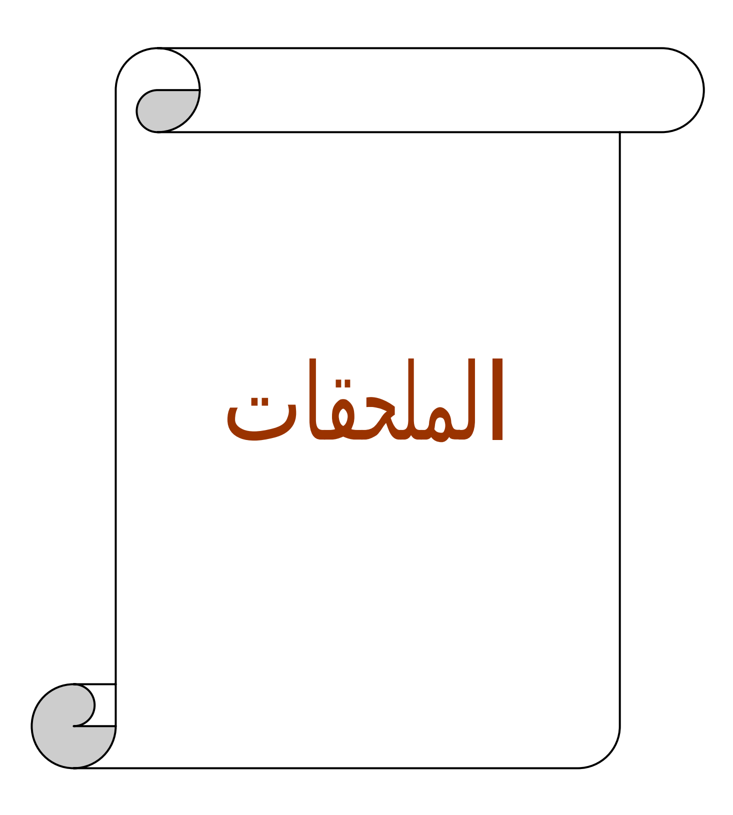


الدروس المستفادة من سيرة النبي ﷺ

- قصة انتصار الحق و الخير على الباطل
- قوة التخطيط
- الصبر والتضحية
- التدريب "دار الأرقم بن ابي الأرقم"
- التعايش مع الآخر والإنفتاح
- إفشاء السلام ..لأن الأصل في الدين السلام ..وليس الصدام و التعطش للدماء
- الإيمان بفكرة المواطنة
- المرأة حاضرة بقوة في حياة النبي ﷺ ...و ليس هناك نهضة إلا برفع الظلم عن المرأة
- الثقافة و الفنون لإحداث النهضة ورفع الروح المعنوية
- تجميع الناس على الرسالة، فلا مذاهب و لا طوائف
- لغة الخطاب الديني مناسبة للوقت الذي تمر به الأمة
- أخلاق أساسية نتعلمها: الصدق، الوفاء، الأمانة، الإتقان، العمل
- احترام رأي الشعوب و أخذ رأي الناس و حرية التعبير عن الرأي
- ليس هناك نهضة إلا بوجود قائد يجتمع عليه الناس
- الإيمان هو الدافع للنجاح ... "نحن قوما أعزنا الله بالاسلام ...فان ابتغينا العزة في غير الاسلام ..أذلنا الله"







الملحقات







مراجع في السيرة النبوية

- السيرة النبوية لابن كثير
- السيرة النبوية لابن هشام
- السيرة النبوية : دروس و عبر للشيخ مصطفى السباعي
- هذا الحبيب للشيخ أبو بكر الجزائري
- فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي
- فقه السيرة للشيخ محمد سعيد رمضان البوطي
- المنهج الحركي في السيرة النبوية للدكتور منير الغضبان
- محمد صلى الله عليه و سلم للأستاذ محمد رضا
- الرحيق المختوم للشيخ صفي الرحمن المباركفوري
- الجامع الصحيح في السيرة النبوية للدكتورة سميرة الزايد

مواقع في السيرة النبوية

http://sirah.al-islam.com
www.islamiyyat.com/prophet-seera.htm
www.islamonline.net/seera/seera.shtml







مواقع مفيدة تهمك

www.amrkhaled.net
www.lifemakers.ma
www.qaradawi.net
www.islamonline.net
www.wagdyghoneim.com
www.abdelkafy.com
www.alhabibali.com
www.jebril.com
www.olamaalshareah.net
www.dorar.net
www.islamweb.net
quran.muslim-web.com
www.alnawader.net
www.almaktba.com
www.al-eman.com/Islamlib/
www.islamichistory.net
www.kalemat.org
ozkorallah.net
www.sultan.org
www.gosaas.com
www.islamway.com
www.islamweb.net
www.lahaonline.com
radio.alrashed.net/Ar/main.asp








اللهم إنا نسألك أن نحيى على خطى الحبيب
و نموت على خطى الحبيب

اللهم أحينا على سنة الحبيب
و أمتنا على سنة الحبيب
و احشرنا بصحبة الحبيب
اللهم صل عليه في الأولين و الآخرين
و في الملأ الأعلى إلى يوم الدين
اللهم ارزقنا من يده شربة هنيئة لانظمأ بعدها أبدا
يا كريم يا مجيب

اللهم نسألك أن نخطط لنهضتنا كما خطط الحبيب
و أن ننفذها كما نفذ الحبيب
و أن نعيش للرسالة كما عاش الحبيب
و أن نلقاك بعد الموت لقاء الحبيب بالحبيب
يا مجيب يا قريب

اللهم إنا عليك نتوكل و بك نستنصر
و لك نلجأ و بك نستغيث
فأنت ولينا أنت المغيث

يا رب
مات الحبيب و ترك الرسالة
تركها لنا هما و مهمة و أمانة
و ليس لنا سواك
اللهم أعنا على أدائها
و ارزقنا الإخلاص في حملها

حتى نلقاك في جنتك
و أنت راض عنا
و قد بلغنا و استقمنا
على خطى الحبيب

